كشف غياهب الظلام

عن أوهام جلاء الأوهام

للعلامة الشيخ سليمان بن سحمان

رحمه الله

أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م





الرياض: الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ - مقابل مسجد الراجحي الجديد

ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١ - تليفاكس ٢٣٢١٠٤٥ - جوال ٠٥٠٥٢٨٠٣٢٨



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ، صلاة دائمة الى يوم الدين . أما بعد ، فإني رأيت نبذة ألفها رجل من أهل الشام يقال له « احمد باشا العظمي » سلك فيها مسلك أهل الغواية والضلالة ، ونهج فيها مناهج أهل الغباوة والجهالة ، وأكثر فيها من الهمط بالكذب والظلم والعدوان ، وقلد فيما يحكيه فيها أهل الفرية والبهتان ، وبسط لسانه بالوقاحه والهذيان ، وعام في بحر الشبهات والشكوك والطغيان ، وهام في أودية الجهالة والضلالات ، وتاه في مهامه تلك الفلوات ، بما لفق فيها من الهمط والخرط والتمويهات ، وخزعبلات ذوي الشقاشق والترهات ، التي لا يصغي اليها الا القلوب المقفلات (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقد أقذع هذا الشامي في مسبة شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام من ارشد الله تعالى بدعوته كثيراً من العباد ، واهلك من رد عليه ذلك وناد ، فلم يوفق لدعوة المرشد الى الرشاد المقيم من السنة لاخبها ونهجها ، المقوم مائلها ومعوجها ، بانهج منهج الصواب ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى . ومن حكمته سبحانه أن يبتلي خيار هذه الامة بشرارها ، ومؤمنيها بفجارها ، وعلمائها بجهالها ؛ وهذه سنة الله التي قد خلت من قبل ، وامتحانه الذي يظهر به ميزان الترجيح

والعدل ، وتتم به نعمته على أهل العلم والفضل ، (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرور او لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليهم أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) فكان السبب الداعي الى تحامل هؤلاء الجهلة الضلال ، وما لفقوه من الاكاذيب المخترعة والاوضاع المفترحة المبتدعة العضال ، ما خصه الله ومنحه اياه من الدعوة الى توحيد الله باخلاص العبادة وترك عبادة ما سواه من جميع البريات ، وما قرره رحمه الله على شهادة أن محمدا رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته ﷺ كل سنة وقول ، والوقوف معها حيث ما وقفت ، والانتهاء حيث انتهت ، في أصول الدين وفروعه ، باطنه وظاهره ، خفيه وجليه ، كليه وجزئيه ، فلما اشتهر هذا منه ، وظهر بذلك فضله ، وتأكد علمه ونبله ، وانه سباق غايات وصاحب آيات ، لا يشق غباره ، ولا تدرك في البحث والافادة آثاره ، حسده أعداء الله ورسوله ، حيث لم يدركوا هذه الفضيلة ، ولم يصلوا الى هذه المنقبة الجليلة ، فرموه بهذه الشنعات الرذيلة ، وشمروا له عن ساق العداوة بكل مقدور وحيلة ، فأبى الله الا أن يظهر دينه على يد هذا الامام ، وان ينصره على من ناوأه من سائر الانام ، وأن يظهر به شعائر الايمان والاسلام ، وان أعداءه ومنازعيه ، وخصومه في الفضل وشانئيه ، يصدق عليهم المثل السائر ، بين أهل المحابر والدفاتر .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً انه لدميم

وله رحمه الله في المناقب والمآثر ، ما لا يخفى أهل الفضائل والبصائر ، فلما اختصه الله بهذه الكرامة تسلط أعداء الدين ، وخصوم عباد الله المؤمنين ، على مسبته والتعرض لبهته وعيبه ، قال الشافعي رحمه الله تعالى : « ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ الا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند انقطاع أعمالهم » وأفضل الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر ؛ وقد ابتليا من طعن أهل الجهالة والسفاهة بما لا يخفى ، ولما رأيت ما في هذه النبذة من البهت والكذب والزور ، والكفر والزندقة والفجور ، مما تنفر عنه طباع المؤمنين ، وتستك عند ذلك أسماع الموحدين ، استعنت الله تعالى على رد اباطيله ، ونقض اساجيله واضاليله ؛ على وجه الاختصار والاقتصار ، وترك ما لا يتعلق بنا من مباحثه وتفاصيله ، اذ القصد بالاصالة بيان ما كان عليه شيخنا رحمه الله تعالى من الدعوة الى دين الله ورسوله ، وترك عبادة ما سواه ، وتجريد متابعته الرسول ﷺ في كل ما أمره به ونهي عنه ، وتقديم قوله على من خالفه كائناً من كان ، ونفى ما لفقه هؤلاء الجهلة لنفترون ، من الاكاذيب المخترعة ، والاقوال المفترعة التي لا يحكيها عن الشيخ الا من أعمى الله بصيرة قلبه ، وكان له نصيب وافر من قوله تعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون) والله المسؤول المرجو الاجابة ، ان يجزل لنا الاثابة ، وان يمدنا بمعونته وتوفيقه للاصابة ، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

فصل

قال الملحد المعترض : أما بعد ايها الاخوان المتلقبون بالمتنورين ، أراكم تدعون الناس لبدعة الاجتهاد في الدين وغيرها من البدع التي جرت دعاتها قبلكم الى ما لا نرضاه لكم ، زين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا انهم من

المهتدين . نحن وانتم متفقون بالشهادتين ، مقرون بالاركان لا نختلف بأصول الايمان ، ولا ننكر اركان الاسلام ، غير اننا نقول بالمحكم ، ونرجع اليه ، وانتم تتبعون المتشابه وتعولون عليه ، نحن نحتاط بالارتياب وانتم لا تخرجون مما يريب ، نحن ننتمي الاجماع والجماعة وانتم تترخصون بالانفراد والتأويل بالرأي ، فتم بعدان ذهب الله بزعما. تلك المذاهب والنحل ، وانتشرتم بعد ان طوى دعاة تلك البدع تدعون الناس لما لا ينفعهم في الدنيا ، ولا ينجيهم في الاخرة الى آخر ما حكاه من الهذيان العاري عن التحقيق ، بل هو ليس على منهج مستقيم ولا على اقوم طريق .

والجواب : ومن الله استمد الصواب . انا لا ندري ولا نعرف من هؤلاء المتلقبون بالمتنورين ، فاذا كانوا على منهج قويم وصراط مستقيم ، وعلى خلاف ما عليه اصحاب الجحيم ، وكانوا متمسكين بدين الله ورسوله ، متشرعين به داعين اليه ، فسيجيبونكم على هذه الخرافات ، وينفون ما تنسبون اليهم من هذه الترهات ، التي لا يصغي اليها الا القلوب المقفلات ، ويتحلى بها أهل الجهالة والضلالات ، وان كانوا على غير ذلك فلا حاجة بنا الى الجواب عنهم ، وحسبنا أن نجيب على ما تنسبون الينا من هذه المفتريات ، وما تلبسون به الحق بالباطل من تلك الضلالات ، وعلى ما تنتحلونه من البدع والمكفرات ، وتدعون أن ذلك هو دين الله ورسوله ، من غير اقامة حجة ، ولا ايضاح محجة ، وانما تعتمدون في ذلك على أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، وهم قد نهجوا في تلك الطريق منهجاً وعراً ، ونبذوا كتاب الله وراءهم ظهراً وأتوا زوراً وبهتاناً وهجراً . وزين لهم الشيطان انهم ينالون بذلك أجراً ، ويحوزون به عزاً وفخراً ، فأركبهم مراكب الاسلاف قسراً ، وامطى كواهلهم في ذلك السنن قهراً ، وحسن لهم أن الآباء بحقيقة الحق أدرى ،

وأنهم ينهج منهج الشريعة أحرى ، فعدلوا الى عبادة الاولياء والصالحين ، وحلوا ربقة التوحيد والدين ، فجدوا فى الاستغاثة بهم فى النوازل والحوادث ، والخطوب المعضلة الـكوارث ، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات ، من الاحياء منهم والاموات ، وكثير منهم يعتقد النفع والاضرار في الجمادات ، كالاحجار والاشجار ، وينتابون ذلك فى أغلب الازمان والاوقات ، ولم يكن لهم الى غيرها اقبال ولا التفات ، فهم على تلك الاوثان عاكفون ، ولها في كثير الاحايين ملازمون ، (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) فسلكتم على طريقة هؤلاء القوم الضلال تهرعون ، وبأخلاقهم وأفعالهم متمسكون ، تقولون انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ، فهذه هي حالكم ، في اعتقاداتكم وديانتكم ، التي بها تدينون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

فصل

قال المعترض : مذهب الوهابية · كان الناس في اختباط وتردد من حقيقة مذهب الوهابية ومقولاتهم بسبب ما كانوا يتسترون به من مظاهر التوحيد وادعاء التمسك بالكتاب والسنة حتى طغوا وبغوا وتغلبوا على الحجاز ، وناظرهم العلماء فكشف الله الستر عنهم وسلط عليهم ابراهيم باشا المصري فكاد يفنيهم ، ويقطع دابرهم ، لكن لله ارادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد ، وقد تصدى لتحرير مذهبهم ، وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز ، منهم احمد بن زيني الملقب بدحلان نزيل مكة المكرمة المتوفي في المدينة المنورة سنة ٣٣ وبسط ذلك في تاريخه المسمى خلاصة الكلام ، في امراء

البلد الحرام ، وانا انشاء الله آخذ عنه ما يتعلق بموضوعنا مختصراً بدون تصرف ، وبالله المستعان .

والجواب ان يقال : لا عزو من هذا ولا بدع ، فان الناس من أهل الريب والالتباس كانوا من أمر الشيخ رحمه الله في اختباط وتخليط من حقيقة ما كان عليه الشيخ رحمه الله على قدر أغراضهم وشهواتهم وارادتهم الباطلة فرموه بالامور العظيمة ، من الاقوال الشنيعة الذميمة ، وعادوه وآذوه ، وأخرجوه من بلده لما دعاهم الى توحيد الله ، باخلاص العبادة وترك عبادة ما سواه كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ « ياليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك . قال : أو مخرجي هم ؟ قال نعم . انه لم يأت أحد بمثل ما أتيت به الا أوذي وعودي وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً » فهذه حال الرسل وأتباعهم على الحقيقة في كل زمان ومكان ، وأما من هداه الله لدين الاسلام ، وشرح صدره للايمان به وتوحيده ، فانه لم يتخبط في حال الشيخ ، ولم يتردد فيه كما تردد وتخبط فيه من أعمى الله بصيرة قلبه ، لانه قد كان من المعلوم عند كل عاقل خبر الناس وعرف أحوالهم ، وسمع شيئاً من أخبارهم وتواريخهم ، ان أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ ، واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب ، كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من أمر دينهم في جاهلية ، يدعون الصالحين ، ويعتقدون في الاشجار والاحجار والغيران ، يطوفون بقبور الاولياء ، ويرجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم من كفر الاتحادية الحلولية ، وجهالة الصوفية ، ما يرون أنه من الشعب الايمانيـة ، والطريقة المحمدية ، وفيهم من اضاعة الصلوات ، ومنع الزكاة ، وشرب المسكرات ، ما هو معروف ومشهور ، فحى

الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده ، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبت الطواغيت والملحدين ، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى ، بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى ، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفاء ، وامر باقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وترك المنكرات والمسكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وامر بمتابعة السلف الماضين ، في الاصول والفروع من مسائل الدين ، حتى ظهر دين الله واستعلن ، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحدت الحدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ، وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لاعلاء كلمه الله أهل الشرك والفساد حتى سارت دعوته ، وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها وتألفت بعد عداوتها ، وصاروا بنعمة الله اخواناً ، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيا في الصحور ، وفتح عليهم الحسا والقطيف . وقهروا سائر العرب من عمان الى عقبة مصر ، ومن اليمن الى العراق والشام ، دانت لهم عربهم وأعطو الزكاة ، فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد الابل في طلب الدنيا والدين ، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والاقبال والسنا كما قال عالم صنعاء وشيخها في ذلك :

قفي واسألي عن عالم حل سوحها . به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة احمد فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد سر لي ما جاءني من طريقه وكنت أرى هذى الطريقة لي وحدي

وقال عالم الاحسا وشيخها :

لقد رفع المولي به رتبة الهدى بوقت به يعلو الضلال ويرفع

تجر به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالالمعي ترفع

وهذا في أبيات لا نطيل بذكرها وقد شهد غيرهما بمثل ذلك واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته .

وأما قوله : من حقيقة الوهابية ومقولاتهم بسبب ما كانوا يتسترون به من مظاهر التوحيد وادعاء التمسك بالكتاب والسنة .

فالجواب ان يقال : حقيقة ماعليه الوهابية هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وسلف الامة وأئمتها في باب معرفة الله واثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز وصحت بها الاخبار النبوية ، وتلقتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم ، كما سيأتي بيان ذلك قريباً فيما بعد انشاء الله تعالى . قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى :

فصل

ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ونذكر طرفاً من أخباره واحواله ، ليعلم الناظر فيه حقيقة امره ، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان واغراه ، وبالغ في كفره واستهواه ، فنقول : قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه ، وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء النبلاء من اصحابه وتلامذته ، انه على ما كان عليه السلف الصالح وائمة الدين اهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله واثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الاخبار النبوية ، وتلقتها اصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم ، يثبتونها ويؤمنون بها ، ويمرونها ، كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وقد درج على هذا من بعدهم من

التابعين وتابعيهم من اهل العلم والايمان وسلف الامة وائمتها ، كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، وطلحة بن عبيد الله ، وسليمان بن يسار ، وامثالهم . ومن الطبقة الاولى كمجاهد بن جبر ، وعطاء بن ابي رباح ، والحسن البصري ، وابن سيرين ؛ وعامر الشعبي ، وجنادة بن ابي امية ، وحسان بن عطية ، وامثالهم . ومن الطبقة الثانية علي بن الحسين ، وعمر بن عبدالعزيز ، ومحمد بن مسلم الزهري ، ومالك بن انس ، وابن ابي ذئب ، وابن الماجشون ، وكحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، والفضيل بن عياض ، وعبد الله بن المبارك ؛ وابي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومحمد بن ادريس ، واسحاق بن ابراهيم ، واحمد بن حنبل ، ومحمد بن اسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج القشيري ، واخوانهم وامثالهم ونظراؤهم من اهل الفقه والاثر في كل مصر وعصر . واما توحيد العبادة والالهية فلا خلاف بين اهل الاسلام فيما قاله الشيخ ، وثبت عنه من المعتقد الذي دعا اليه ، يوضح ذلك ان اصل الاسلام وقاعدته شهادة ان لا اله الا الله وهي اصل الايمان بالله وحده ، وهي افضل شعب الايمان ، وهذا الاصل لا بد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ، ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، والبراءة من عبادة ما سواه كائناً من كان ، وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الانس والجن ، وأرسلت لها الرسل ، وأنزلت بها الكتب ، وهي تتضمن كمال الذل والحب وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم ، وهذا هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره ، لا من الاولين ولا من الاخرين ، فان جميع الانبياء على دين الاسلام ، وما يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا ، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته قال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله

واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى عن الخليل (إذ قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذي فطرني فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقيــة في عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى عنه (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدوٌ لي الاّ رب العالمين) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضــاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم انهم قالوا لقومهم (اعبــدوا الله مالكم من اله غيره) وقال عن أهل الكهف (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به) في موضعين من كتابه . وقال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) قال رحمه الله : والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها ، يدخل فيه شرك عبــاد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يدعونها ويلتجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها ، لتقربهم الى الله زلفى . كما قد حكى الله عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعـالى :

﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون ﴾ قال رحمه الله : ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، ولو في خلق ذرة من الذرات ، قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما اقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يمسك الرحمة ولا يخفى ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لاقل شيء وادناه من ضر او رحمة . وقال تعالى ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ، الى قوله ﴿ فاني تسحرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره ايمانهم هنا بما اقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره . قال رحمه الله : وقد بين القرآن فى غير موضع ان من المشركين من اشرك بالملائكة ومنهم من اشرك بالانبياء والصالحين ومنهم من اشرك بالكواكب ومنهم من اشرك بالاصنام وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل اصنافهم ، كما قال تعالى ﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾. وقال تعالى : ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم الآية ﴾ وقال ﴿ لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ﴾ ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة

الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي أفعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده واحسانه وكرمه فهذه الانواع اشرف انواع العبادة واجلها بل هي لب سائر الاعمال الاسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منه فهو خداج مردود على صاحبه وانما اشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتاهيله لذلك ـ قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون) . وقال تعالى : (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون) . وقال تعالى : ام اتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) الآية وحكي عن أهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم انهم ما سووهم به في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات . قال رحمه الله : فجنس هؤلاء المشركين وامثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين نحكم بانهم مشركون ونرى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا نكفر بها ولانحكم على احد من أهل القبلة الذين باينوا لعباد الاوثان والاصنام والقبور بمجرد ذنب ارتكبوه وعظيم جرم اجترحوه وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ونحوهم ممن كفرهم السلف لا نخرج فيهم عن اقوال أئمة الهدى والفتوى من سلف هذه الامة ونبرأ الى الله مما اتت به الخوارج . وقالته في أهل الذنوب من المسلمين . قال رحمه الله : ومجرد الاتيان بلفظ

الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية وقد اكذب الله المنافقين فيما اتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم مع انهم اتوا بالفاظ مؤكدة من التأكيدات . قال تعالى : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهدان المنافقين لكاذبون) فاكدوا بلفظ الشهادة وان المؤكدة واللام والجملة الاسمية فاكذبهم الله واكد تكذيبهم بمثل ما اكدوا به شهادتهم سواء بسواء وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفضيع، وبهذا تعلم انمسمي الايمان لا بد فيه من الصدق والعمل ومن شهدان لا اله الا الله وعبد وغيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام واتى بشيء من أعمال الاسلام . قال تعالى : لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضاً) افتو منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ، الآية : وقال تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله وسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) ، الآية . قال تعالى : (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) الكفر ونوعان مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاء به الرسول والمقيد ان يكفر ببعض ما جاء به الرسول حتى ان بعض العلماء كفر من انكر فرعا مجمعا عليه كتوريث الجد والاخت وان صلى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهـذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الاربعة بل كفروا ببعض الالفاظ التي تجري على السن بعض الجهال وان صلى وصام من جرت على لسانه . قال رحمه الله : والصحابة كفروا من منع الزكاة وقاتلوهم

مع اقرارهم بالشهادتين والاتيان بالصلاة والصوم والحج . قال رحمه الله : واجتمعت الامة على كفر بني عبيد القداح مع انهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد في قاهرة مصر وغيرها، وذكر ان ابن الجوزي صنف كتابا في وجوب غزوهم وقتالهم سماه النصر على مصر قال : وهذا يعرفه ممن له أدنى المام بشيء من العلم والدين ، فتشبية عباد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ، ويقال باسلامهم وايمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون . واما مسائل القدر والجبر والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من المقاولات والنحل ، فهو ايضاً فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين ؛ يبرأ مما قالته القدرية النفاة والقدرية المجبرة وما قالته المرجئة والرافضة وما عليه غلاة الشيعة والناصبة يوالي جميع اصحاب رسول الله ﷺ ويكف عما شجر بينهم ، ويرى انهم احق الناس بالعفو عما يصدر منهم واقرب الخلق الى مغفرة الله واحسانه لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم وما جرى على ايديهم من فتح القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح وفتح البلاد ومحو آثار الشرك وعبادة الاوثان والنيران والاصنام والكواكب ونحو ذلك مما عبده جهال الانام ، ويرى البراءة مما عليه الرافضة وانهم سفهاء لئام ، ويرى ان افضل الامة بعد نبيها ابو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم اجمعين . ويعتقد ان القرآن الذي نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين وخاتم النبيين ، كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، ويبرأ من رأى الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ويحكى تكفيرهم عن جمهور السلف اهل العلم والايمان ، ويبرأ من رأى الكلابية اتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القائلين بأن كلام الله هو المعنى القائم بنفس الباري ، وان ما نزل به جبريل

حكاية أو عبارة عن المعنى النفسي ، ويقول هذا من قوله الجهمية واول من قسم التقسيم هو بن كلاب واخذ عنه الاشعري وغيره كالقلانسي ، ويخالف الجهمية في كل ما قالوه وابتدعوه في الدين ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدي رسول الله ﷺ وسنته في العبادات والخلوات والاذكار المخالفة للمشروع ، ولا يرى ترك السنن والاخبار النبوية لرأى فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده بل السنة اجل في صدره واعظم عنده من ان تترك لقول احد كائنا من كان ، قال : عمر بن عبد العزيز لا رأي لاحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ نعم عند الضروره وعدم الاهلية والمعرفة بالسنن والاخبار وقواعد الاستنباط والاستظهار يصار الى التقليد لا مطلقا فيما يتعسر ويخفى ، ولا يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة خلافا لغلات المقلدين ، ويوالي الائمة الاربعة ويرى فضلهم وامامتهم وانهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول ، ويوالي كافة أهل الاسلام وعلمائهم من أهل الحديث والفقه والتفسير وأهل الزهد والعبادة ، ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأى مبتدع أو قول مخترع فلا يحدث في الدين ما ليس له أصل يتبع وما ليس من أقوال أهل العلم والاثر ، ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم ولا يبيح من ذلك الا ما اباحه الشرع وامر به الرسول ﷺ .

ومن نسب اليه خلاف هذا فقد كذب وافترى ، وقال ما ليس له به علم وسيجزيه الله ما وعد به امثاله من المفترين وأبدى رحمه الله من التقارير المفيدة والابحاث الفريدة على كلمة الاخلاص والتوحيد شهادة ان لا اله الا الله مادل عليه الكتاب المصدق والاجماع المستبين المحقق من نفي استحقاق العبادة والالهية

(م - ٢)

عما سوى الله واثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته ، وان هذا هو معناها وضعا ومطابقة خلافا لمن زعم غير ذلك من المتكلمين كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع أو بأنه تعالى غني عما سواه مفتقر اليه ما عداه فان هذا لازم المعنى اذ الاله الحق لا يكون الا قادرا غنيا عما سواه ؛ واما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك ، والمتكلمون خفي عليهم هذا وظنوا ان تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة والفناء فيه هو تحقيق التوحيد ، وليس الامر كذلك ، بل هذا لا يكفي في الايمان وأصل الاسلام الا اذا اضيف اليه واقترن به توحيد الالهية ، وأفراد الله بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والانابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله هذا أصل الاسلام وقاعدته والتوحيد الاول توحيد الربوبية والقدرة والخلق والايجاد هو الذي بني عليه توحيد العمل والارادة وهو دليله الاكبر وأصله الاعظم كما قال تعالى : (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى آخر الايات) قال : العلامة ابن القيم رحمه الله شعراً :

ان كان ربك واحدا سبحانه ‏ فاخصصه بالتوحيد مع احسان
أو كان ربك واحدا انشاك لم ‏ يشركه اذ انشاك رب ثان
فكذلك ايضاً وحده فاعبده لا ‏ تعبد سواه يا اخا العرفان

وهذه الجمل منقولة عن السلف والائمة من المفسرين وغيرهم من أهل اللغة اجمالا وتفصيلا ، وقد قرر رحمه الله على شهادة ان محمدا رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته ﷺ على كل سنة وقول والوقوف معها حيث ما وقفت والانتهاء حيث انتهت في اصول الدين

وفروعه باطنه وظاهرة خفيه وجليه كليه وجزئية ما ظهر به فضله وتأكد علمه ونبله وانه سباق غايات وصاحب آيات لا تشق غباره ولا تدرك في البحث والافادة آثاره الى ان قال رحمه الله : (وما حكيناه عن الشيخ حكاه أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة مجملا ومفصلا ، وهذه عبارة ابي الحسن الاشعرى في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، قال ابو الحسن الاشعرى جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، والله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وان الله تعالى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما قال (لما خلقت بيدي) وكما قال (بل يداه مبسوطتان) وان له عينين بلا كيف وان له وجها جل ذكره كما قال تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وان اسماء الله تعالى لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علما كما قال (انزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) واثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزله ، واثبتوا لله القوة كما قال (اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة) وقالوا انه لا يكون في الارض من خير ولا شر الا ما شاء الله وان الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) وكما قال المسلمون ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وقالوا ان احدا لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر على أن يخرج عن علم الله وان يفعل شيئا علم الله انه لا يفعله ، واقروا انه لا خالق الا الله وان اعمال العباد يخلقها الله وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا شيئا وان

الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين بمعصيته ولطف للمؤمنين ونظر لهم واصلحهم وهداهم ولم يلطف للكافرين ولا اصلحهم ولا هداهم ولو اصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وان الله تعالى يقدر ان يصلح الكافرين ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه اراد ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم واضلهم وطبع على قلوبهم ، وان الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ويؤمنون انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم الى الله ويثبتون الحاجة الى الله في كل وقت والفقر الى الله في كل حال ، ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلوق الكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون الله تعالى يرى بالابصار يوم القيمة كما يرى القمر ليلة البدر ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال الله تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وان موسى سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا ، وان الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلمه بذلك انه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولم يكفروا احدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما اشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر .

والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره وان ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأنما اصابهم لم يكن ليخطئهم ؛ والاسلام هو ان يشهد ان لا اله الا الله على ما جاء في الحديث ، والاسلام عندهم غير الايمان ويقرون بأن الله مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة

رسول الله ﷺ وانها لاهل الكبائر من امته وبعذاب القبر وان الحوض حق والمحاسبة من الله للعباد حق والوقوف بين يدي الله حق . ويقرون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ويقولون اسماء الله هي الله ، ولا يشهدون على احد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لاحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى انزلهم حيث شاء ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الاثار التي رواها الثقاة عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ، ولا يقولون كيف ولا لم ، لان ذلك بدعة ، ويقولون ان الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وان كان مريداً له ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ويقدمون ابا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا رضي الله عنهم ، ويقرون انهم الخلفاء الراشدون المهديون وانهم افضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله ان الله ينزل الى السماء فيقول: «هل من مستغفر» كما جاء الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ولا يبتدعون في دينهم ما لم يأذن به الله ويقرون ان الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال تعالى : (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ويرون العيد والجمعة والجماعة ، خلف كل

امام بر وفاجر ، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ الى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح وان لا يخرج عليهم بالسيف وان لا يقاتلوا في الفتنة ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى بن مريم يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام وان الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم ، ويصدقون بان في الدنيا سحرة وان الساحر كافر كما قال تعالى ، وان السحر كائن موجود في الدنيا ، ويرون الصلاة على كل من مات من اهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ويقرون ان الجنة والنار مخلوقتان وان من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وان الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت او حراما ، وان الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه وان الصالحين قد يجوز ان يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم وان السنة لا تنسخ القرآن وان الاطفال أمرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء فعل بهم ما اراد وان الله عالم ما العباد عاملون وكتب ان ذلك يكون ، وان الامور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله والاخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه واخلاص العمل والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب فهذه جملة ما يأمرون به وينتحلونه ويرونه .

وبكل ماذكرنا من قولهم نقول : واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل . فهذه عقيدة الوهابية التي لها ينتحلون وديانتهم التي بها يدينون وطريقتهم التي هم بها متمسكون فمن اصفى الله سريرته ونور بصيرته ونظر فيها بعين الانصاف وترك طريقة أهل الظلم والاعتساف ، وجدها على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من التابعين والائمة المهتدين ، ومن اعمى الله بصيرة قلبه وجعل على بصره غشاوة فانه لا يزده ذلك الا عتواً ونفورا وتكبرا وفجورا لانه قد اشرب قلبه بعداوة هذا الدين واهله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال الله تعالى (ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) ومن نظر بعين البصيرة ما ذكرناه من حقيقة دين الاسلام الذي بعث الله به نبيه محمد ﷺ وما كان عليه أئمة الاسلام وهداة الانام عرف ان احق الناس بسلوك طريقتهم واتباع اثارهم هم الوهابية وانهم هم الذين اخلصوا دينهم لرب البرية ، وان قول هذا الملحد اسلام ووهابية لا يجتمعان قول من لم يعرف الاسلام على الحقيقة ولم يسلك منهج السلف الصالح والصدر الاول على على هذه الطريقة والله المستعان .

وأما قوله حتى بغوا وطغوا وتغلبوا على الحجاز فالجواب ان يقال ليس الامر بتوحيد الله وافراده بالعبادة بجميع انواعها لله تعالى وترك عبادة ما سواه من الاحجار والاشجار والاموات والغائبين من الانبياء والاولياء والصالحين والطواغيت المعبودين من دون الله والقيام بوظائف الجهاد في سبيل الله بغي وطغيان كما يزعمه اعداء الله ورسوله الذين ما شموا روائح دينه وشرعه بل يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب

المفسدين بل ليس معهم من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه ، بل الجهاد في سبيل الله احد اركان الاسلام العشرة التي لا يتم الاسلام ولا يستقيم بناه الا عليها ، فبالجهاد في سبيل الله قام قائم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحدت الحدود الشرعية وعزرت التعازير الدينية ودخل الناس في دين الله افواجا واستجابوا لمن دعاهم الى الله وأدخلوا سائر أهل نجد ممن لم يقبل هدى الله الذي بعث به رسوله في دين الله قهرا وجاهدوهم حتى تبين لهم صحة هذا الدين وذاقوا حلاوته واطمأنوا به وجاهدوا مع الامير محمد بن سعود من لم يدخل فيه حتى استوثقت له جزيرة العرب ودانت ثم قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن مفتي الديار النجدية رحمه الله في المقامات التي ألفها في الاعتبار بما فعل الله بمن عاد أهل هذه الملة الحنيفية والطريقة المحمدية في حال دعوة الشيخ لهم الى دين الله ورسوله ، ثم ان الذين انكروا هذه الدعوة من الدول الكبار والشيوخ وأتباعهم من أهل القرى والامصار اجلبوا على عداوة أهل الاسلام وهم اذ ذاك في عدد قليل وفي حال تخلف الاسباب عنهم وفقرهم فرموهم عن قوس العداوة فمن أهل نجد دهام ابن داوس وابن زامل وال بجاد أهل الخرج وابن راشد راعي الحوطة وتركي الهزاني وزيد ومن والاهم من الاعراب والبوادي كذلك العنقري في الوشم ومن تبعه وشيوخ قرى سدير والقصيم وبوادي نجد وابن حميد ملك الاحساء. ومن تبعه من حاضر وبادو كلهم تجمعوا لحرب المسلمين مراراً عديدة مع عريعر واولاده ، منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصينها بالابواب والبناء. قد اشار الى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله :

وجاؤا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجى الوحوش رنينها

فنزلوا البلاد واجتمع من أهل نجد حتى من يدعي انه من العلماء.

وهو من امثل علمائهم وعقلائهم لمـا سئل كيف اشكل عليكم امر عريعر وفساده وظلمه وانتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لو ان الذي حربكم ابليس كنا معه ، والمقصود ان الله تعالى ردهم بغيضهم لم ينالوا خـيراً وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها .

وأما وزير العراق فمشى مراراً عديده بمـا يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد ، واجرى الله تعالى عليهم من الذل ما لا يخطر ببال . قبل ان يقع بهم ما وقع . من ذلك إن ثويني في مرة من المرار مشى بجنوده الى الاحساء بعد ما دخل أهلها في الاسلام في حال حداثتهم بالشرك والاضلال . فلما قرب من تلك البلاد اتاه رجل مسكين لا يعرف من غير مما لات احد من المسلمين فقتله فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف وذلك ممـا به يعتبر فانفلت تلك الجنود وتركوا ما معهم من المواشي والاموال خوفا من المسلمين ورعبا فغنمها من حضر وقد قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك :

تقاسمتم الاحسـاء قبل منالهـا فللروم شطر والبوادى لهم شطر

في أبيات كثيرة ثم جددوا اسبابا لحرب المسلمين وساروا بدول عظمية يتبع بعضها بعضا وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقائدهم على كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوت وقصر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابر وحفر اللغوب فأعجزه الله ومن معه ممن ارتد عن الاســلام فولى مدبرا بجنوده فاجتمع سعود بن عبد العزيز فى ثاج وغزوه الذين معه رحمه الله والذين معه من المسلمين اقل من المنتفق أو آل ظفير الذين مع الـكيخيا فالقي الله الرعب في قلوبهم مع كثرتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على ان يدعهم سعود يرجعون الى بـلادهم فأعطاهم أمانا على الرجوع فذهبوا في ذل عظيم فلما

قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصرا لله لهذا الدين فأهلك الله من انشأ هذه الدول ثم قام علي كيخيا فصار هو الباشا فأخذ يجدد آلة الحرب فجمع من الكيد والاسباب اعظم مما كان معه في تلك الكرة ، فلما كملت اسبابه وجمع الجموع فلم يبق الا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله صبيين مملوكين عنده يبيتون معه فقتلوه اخر الليل فخمدت تلك النيران وتفرقت تلك الاعوان فما قام لهم قائمة ، فيالها عبرا ما اظهرها لمن له أدني بصيرة فاعتبروا يا اولى الابصار اين ذهب عقل من انكر هذا الدين وجادل وكابر في دفع الادلة على التوحيد وما حل . وكذلك ماجرى فى حرب اشراف مكة لهذه الدعوة الاسلامية والطريقة المحمدية وذلك انهم من أول من أول من بدأ المسلمين بالعداوة فحبسوا حاجهم فمات في الحبس منهم عدد كثير ومنعو المسلمين من الحج اكثر من ستين سنة وفى اثنا. هذه المدة سار اليهم غالب الشريف بعسكر كثيف وكيد عنيف وقدم أخاه عبد العزيز قبله فى الخروج فنزل قصر بسام فاقام مدة يضرب بالمدافع والقنابر وجر عليه الزحافات فابطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه القليل رجاله ، فرحل منه ووافا غالبا ومعه اكثر الجنود ومعه من الكيد مثل ما كان على اخيه أو يزيد ، فنزلوا جميعاً الشري فجد في حربهم بكل كيد فاعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذي لم يتأهب اهله للحرب بالبناء والسلاح فابطل الله كيده ورده عنهم بعد الاياس فسلط الله المسلمين على ما كان معه من الاعراب خصوصاً مطيرفأوقع الله بهم في العداوة ومعهم مطلق الجربا فهزمهم الله تعالى وغنم المسلمون جميع ما كان معهم من الابل والخيل وسائر المواشي ، فصار ماذكرناه من نصر الله وتأييده لاهل هذا الدين عبرة عظيمة وفي جملة قتلاهم حصان ابليس

وبعد ما ذكرناه جدّ غالب في الحرب واجتهد لكن صار حربه الاعراب ولم يتعد النير فيغزوا على من استضعفه ويغير فأعطى الله أعراب المسلمين الظفر عليه في عدة وقعات من أعظمها وقعة الخرمة على يد ربيع وغزوه من أهل الوادي وبعض قحطان ، فهزمه الله تعالى واشتد القتل في عسكره فأخذوا جميع ما كان معه من المواشي وغيرها فصار بعد ذلك في ذل وهوان ففتح الله الطائف للمسلمين وصار أميره عثمان بن عبدالرحمن فاجتمع به دولة للمسلمين وساروا لحرب الشريف ومعهم عبد الوهاب ابو نقطة أمير عسير وسالم شكبان امير اهل بيشة فنزلوا دون الحرم فخرج اليهم عسكر من مكة فقتلوه فطلب الشريف المذكور منهم الامان فلم يقبلوا منه إلا الدخول في الاسلام والبيعة للامام سعود فأعطاهم البيعة على يد رجال بعثوهم اليه ، هذا بعد وقعات تركنا ذكرها كراهة الاطالة لان القصد لهذا الوضع الاعتبار بما جرى لاهل هذه الدعوة من النصر والتأييد والظهور على قلة أسبابهم وكثرة عدوهم وقوته ، وذلك من آيات الله وبيناته على أن ما قام به هذا الشيخ في حال فساد الزمان . الدين الذي بعث الله به المرسلين وتبين أن هذه الطائفة فى هـذه الازمنة هي الطائفة المذكورة في قوله ﷺ : « ولاتزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وقد كانت هـذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة في الشام والعراق ومصر وغيرها بوجود اهل السنة واهل الحديث في القرون المفضلة وبعدها ، فلما اشتدت غربة الاسلام وقل اهل السنة واشتد النكير عليهم وسعى اهل البدع في ايصال المكر اليهم منّ الله بهذه الدعوة فقامت بها الحجة واستبانت الحجة والمقصود ان كل من ذكرنا ممن عاداهم من اهل نجد والاحساء وغيرهم من البوادي اهلكهم الله ولحقتهم العقوبة

حتى في الذراري والاموال ، فصارت أموالهم فيئاً لاهل الاسلام وانتشر ملكهم وصار كل من بقي في اماكنهم سامعاً مطيعاً لامام المسلمين القائم بهذا الدين ، فانتشر ملك اهل الاسلام حتى وصل الى حدود الشام مع الحجاز وتهامة وعمان ، فصاروا بحمد الله في أمن وأمان يخافهم كل مبطل وشيطان . ففي هــذا معتبر لاهل الاعتبار مع ما وقع بمن حار بهم من الخراب والدمار ، واستيلاء المسلمين على ما كان لهم من العقار والديار ، فلا يرتاب في هــذا الدين بعد هذا البيان إلا من عميت بصيرته وفسدت علانيته وسريرته ، انتهى .

فاذا تبين لك ما ذكرناه آنفاً عرفت انمـا ذكره هذا الملحد من قوله حتى بغوا وطغوا انه كلام من لا يعرف الاسلام من الكفر ولا شم روائح الدين ، ولا عرف ما كان عليه الصحابة ومن بعدهم من التابعين ، ولا مادرج عليه ائمـة العلم والدين . من بيان دين الله ورسوله وجهاد من خرج عنه من المرتدين ، والبغاة الخارجين ، والكفار المعتدين ، والظلمة المفســدين ، والا فقد كان من المعلوم ، والمتقرر المفهوم ، ان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى تبين بدعوة النــاس الى دين الله ورسوله بعد ما خرجوا منه الى عبادة الاوثان والاحجار والاشجار والاوليــاء والصالحين وغيرهم من سائر المعبودين . وقد ذكر الشيخ حسين بن غنام الاحسائي في تاريخه ما وقع في نجد وغيرها من سائر الاقطار من الكفر العظيم مما لا يتسع له هذا الموضع ، فنذكر ما وقع في نجد من ذلك حتى يتبين لك حقيقة ما كان عليه الشيخ رحمه الله تعالى ، وحقيقة ما كان عليه اهل نجد قبل دعوته . قال الشيخ في تاريخه : وكان في بلدان نجد من ذلك لمر عظيم ، والكل على تلك الاحوال مقيم ، وفي ذلك الوادي مسيم ، حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ، وقد مضوا قبل بدو نور الصواب ،

يأتون من الشرك بالعجاب ؛ وينسلون اليه من كل باب ، ويكثر منهم ذلك عند قبر زيد بن الخطاب ، ويدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ، ويسألونه كشف النوب من غير ارتياب (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وكان ذلك في الجبيلة مشهور وبقضاء الحوائج مذكور لا كذلك قريوة في الدرعية يزعمون ان فيها قبوراً ، اصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً ، فصار حظهم في عبادتها موفوراً ، فهم في سائر الاحوال عليها يعكفون ، أأفكا آلهة دون الله تريدون ، وكان اهل تلك التربة ، اعظم في صدورهم من الله خوفا ورهبة ، والخم عندهم رجاء ورغبة ، فلذلك كانوا في طلب الحاجات بهم يبتدون ، ويقولون انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ، وفي شعيب غبيرا يفعل من الهجر والمنكر ، ما لا يعهد مثله ولايتصور ، ويزعمون ان فيه قبر ضرار بن الازور ، وذلك كذب محض وبهتان مزور ، مثله لهم ابليس وصور ؛ ولم يكونوا به يشعرون .

وفي بليدة الندى ذكر النخل المعروف بالفحال ، يأتونه النساء والرجال ويغدون عليه بالبكر والآصال ، ويفعلون عنده أقبح الفعال ؛ ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج ، ولم تأتها لنكاحها الازواج ، فتظمه بيديها وتقول ، يافحل الفحول ، أريد زوجا قبل أن يحول الفحول ، هكذا صح عنهم القول ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ، وشجرة الطريفية تشبث بها الشيطان واعتاق ، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق ، ويعلقون فيها اذا ولدت المرأة ذكر الخرق عليها لعلهم عن الموت يسلمون ، وفي أسفل الدرعيـة غار كبير ، يزعمون ان الله تعالى فلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الاميرة أراد بعض الفسقة ان يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار

باذن العلي الكبير ، وكان تعالى لها من ذلك السوء مجير ، فكانوا يرساون الى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون ، اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعلمون ، ثم ذكر في البلد الحرام وما في المدينة المنورة وما في الطائف وجدة وما في جميع قري اليمن وما في مصر والشام والعراق والموصل وما في الهجرة والبحرين والحساء والقطيف من الكفر العظيم ، والشرك الوخيم ، أضعاف أضعاف ما في نجد من ذلك ، فهذه حال أهل نجد وحال أهل الاقطار والامصار فان كان ما عليه هؤلاء هو دين الله ورسوله وهو الاسلام الذي من تمسك به كان معصوم الدم والمال ، فليس على وجه الارض حينئذ شرك ولا كفر فانا لله وانا اليه راجعون ، وان كان هو الكفر والشرك الذي حرمه الله ورسوله وحكم على أهله بالخلود في النار كما قال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) فالمجادل عن من هذا دينه ، وهذه نحلته ، ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، وممن أضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة ، وزعم ان جهاد هؤلاء وادخالهم فى دين الله هو البغي والطغيان فهو من اكفر خلق الله واضلهم عن سواء السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم اعلم أيها المنصف المتعري من ثوب الجهل المركب وثوب التعصب للباطل ، ان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى حال دعوته الي دين الله ورسوله ، لم يقاتل الناس ابتداء بل مكث برهة من الزمان يدعو الناس الى افراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وترك عبادة ما سواه من الاولياء والصالحين والاحجار والاشجار والطواغيت ، ويخبرهم ان التقرب والاعتقاد في الاولياء والصالحين هو محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لغير الله لا ملك

مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، فلما تبين بهذا واشتهر أمره بالدعوة الى دين الله ورسوله ، واستنكف اعداء الله من ذلك واستكبروا عن قبول دعوته فآذوه وعادوه وأخرجوه من بلدة العينة ثم هاجر الى الدرعية ، فآووه وواسوه ، وقاموا بنصرته والجهاد معه لما انكر عليه اهل نجد وغيرهم من الطوائف ما دعاهم اليه فشمروا له عن ساق العداوة وبدأوه بالقتال ، يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فحينئذ قاتلهم مدافعة لهم لما بغوا عليه وظلموه ، قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) وقد قال الشيخ الامام وعلم الهداة الأعلام الشيخ حسين بن غنام منظومة يذكر فيها مامن الله به على المسلمين من النصر والتأييد والتمكين لما كسر الله ثويني واحزابه فقال رحمه الله تعالى :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر ودیجور لیل الشرك مزقه الظهر
وشمس الاماني أشرقت في سعودها ولاح بأفق السعد انجمه الزهر
وجلا ظلام الخطب بيض صائع كان سناها في عيابه بدر
واسفر وجه الوقت بعد تعبس وحالت بصنع الله أحواله الكدر
فأيامه بالانس بيض شوارق تضيء كما أضوى بديجوره فجر
وهبت رياح النصر والفوز والهنا لحق لنا منها البشائر والبشر
وروّح روح الانس كل موحد ففي قلبه سكر وما مسه خمر

كان به من نشأة اللطف نشوة ترنح منها العطف واستحكم السكر
وغنت بروضات السرور بلابل يرجعن الحانا يهش لها الصخر
فاصل التهاني دانيات قطوفه وفرع المنى غض وأوراقه خضر
ونادى مناد الحق بالخلق معلنا الا فليجل الحمد وليعظم الشكر
فما قلب ذي ظهر بفيفا اضله وفاجأه عند التوى ذالك الظهر
بافرح منا بالبشير وقوله أتي الفتح والاقبال والعز والنصر
اذيق العدى كاس الردى فسما الهدى وشلت يمين الشرك وانقصم الظهر
وفلت جنود المعتدين ومزقت وزال ظلام الشرك وامحق النكر
فمن حامد منا ومثن وساجد لمولاه شكرا بعدما انكشف الامر
لقد أقبلوا والارض ترجف منهمو وقد أدبروا يقفوهم الذل والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى الينا فما أغناهم الكيد والجر
وقدزاغت الابصار واختنك الفضا علينا كان الارض مما بنا شبر
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنى وبادوا وما سادوا وعقباهم الخسر
جنود فساد وابتداع وفتنة يقودهم الاضلال والبغي والفجر
يريدون أن يطفو مصابيح نوره ويخفوا قويما لا يرام له ستر
أبى الله أن يسمى الضلال على الهدى ويطمس أعلام الحنيفية الكفر
وتعلو البواغي والطواغي وحزبها على عصبة فى الدين شرعهم الذكر
وينسخ آيات الكتاب وحكمه لحون الغنا والعود والطبل والزمر
لقد فل عضب الشرك بل ثل عرشه وسل حسام الدين واندرس الشر
وحالت مغانيه واقوت ربوعه وزالت مبانيه فساحاته صفر
كان لم تكن فيه الملاهي مرنة ولم يجتمع للهو في ساحة سمر

فعى الشرك أحزاب الضلالة بعد ما ... تغشاهم الاذلال والعار والوزر
وقامت نواعي الرفض يندبن اهله ... بحرقة قلب فيه من فقدهم جمر

الى أن قال :

فمن مبلغ عني العداة رسالة ... انيبوا فما يؤيكم السهل والوعر
اتيتم الينا راغمين قطيعة ... فحل بكم بأس وعاجلكم جزر
ورمتم ذري السمحا وجب سنامها ... وهدم دعامات عليها رسي قصر
وناويتم الاسلام والله دونه ... واحزابه والسمر والبيض والبتر

الى أن قال :

الم يأن ان تأووا الى معقل الهدى ... فقد جاءت الآيات واستتبع النذر
تبين نهج الحق والرشد للورى ... فليس لمن ينحو سبيل الردي عذر
وقامت على الدين القويم شواهد ... يقصر عن تعدادها الضبط والحصر
فآياته محفوظة عن معارض ... ورایاته لا يستطاع لها كسر
يشيعها التسديد حيث تيممت ... ويتبعها التأييد والنصر والقهر
تشعشع من خمسين عاماً ضياؤه ... ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر
سقى قبر من احياه شؤبوب رحمة ... وعم سحاب العفو من ضمه القبر
فقد جاءنا يدعو الى الدين بعد ما ... عفى رسمه والارض من نوره قفر
فجادله الاحبار فيما أتي به ... من الحق والبرهان يكشفه السبر
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه ... وصار اليه الفلج والورد والصدر
فعودي بغيا واهتظاما ونصرة ... لملة اباء عليها مضى العمر
وهموا بما لم يدركوا من وقيعة ... فما ناله مما أرادوا به ضر
نفته العدا لما جفته أقارب ... فآواه بل ساواه من خصه البر

فجاهـد حتى اطلع الله بدره ... بآل سعود حين شدوا له الأزر
فهم انجم للمهتـدين وصـارم ... شباه بهـام المعتـدين له طر
لقد احرزوا خصل الثنـاء وابرزوا ... من الدين مطويا فلاح له نشر

في أبيات لا نطيل بذكرها .

فصـــل

وأما قول المعترض الملحد وناظرهم العلماء فكشف الله الستر عنهم .

فالجواب أن يقال لهذا الملحد المفتري ، قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن هذه المناظرة التي وقعت بين علمـاء مكة المشرفة وبين علماء الموحدين من المسلمين من أهل نجد انها أشهر من نار على علم ، ولم يكن ماجرى بينهم من المناظرة خفيا حتى تذكرها على سبيل الاجمال تعمية على من لم يعلم حقيقة الحال ، وقد كان من المعلوم انكم قوم بهت تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وتموهون على الناس ان العلماء ناظروهم وكشفوا سترهم وهذا كذب وظلم وعدوان وتحكم بالباطل وهذيان ، وليس معكم من الحجة والبيان الا هذه الاماني الكاذبة التي هي في الحقيقة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ونحن نذكر ما جرى بينهم من المناظرة من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تخرص بالهذيان ، ليتبين لكل منصف تعنتكم بالباطل الذي لا يجدي ، وتعلقكم بما لا ينجيكم في غد بل يردي ، فاعلم ان هذه المناظرة جرت ووقعت في السنة الحادية عشر بعد المائتين والالف .

قال الشيخ الامام حسين بن غنام رحمه الله في تاريخه روضة الافكار وفي

هذه السنة أرسل الشريف غالب رسلا الى عبد العزيز اصلح الله تعالى له الحال ، وبلغه جميع الآمال ، يطلب منه علماء من اهل الدين والتوحيد ، ويزعم انه يقصد بذلك تحقيق هذا الامر ويريد ويحرص على قدومهم مع من أرسله من البريدة حتي يقف على الحال عن يقين وعيان ، ويحيط بعد ذلك بالعرفان ، وينجلي له من المناظرة في شريف ذلك المكان ، ماخفي عليه مدة ازمان ، وربما تشرق له أنوار شمس البيان ، ويحصل منه بعد الاباء والاصرار اذعان ؛ وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وادمان ، فلما عرف اهل الايمان ، ما قصده ذلك الانسان ، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان ، رغب ان يكون انقدح له من الدعوة شيء ، او نشر له من الحق طي ، وربما يبدو منه اياب وفي ، بعد فرط صدود وامتناع ولي ، ويقصى من شاء عن القرب لذلك الجنان ، وايضاً فالهداية والتوفيق قد يكونان ، فى اوقات دون اوقات ، ولله في دهره نفحات ، كما جاء عن النبي ﷺ فى بعض الروايات ، وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته ، وبديع هديه وسنته ، وعظيم فضل الله ومنته ، انه يدعو الى الله بالتى هي احسن واحكم ، ويرشد العباد للتى هي اقوم ، فرآى اسعافه بذلك المرام ، واسعاده واختار أن ينيله مأموله ومراده ، فعسى ان يكون له سبب للسعادة ، فعند ذلك أرسل اليه من أهل الدين من يكشف عنه شبه المبطلين ، ويوضح له سبيل المهتدين ، وهم اناس من اهل الميز والتبيين ، وحسن المحاظرة فى المناظرة بالبراهين ، وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر وكان هو المرأس عليهم والمؤمر ، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه ، وخولهم من معروفه أعمه ، فجردوا للمسير الهمه ، وقطعوا تلك المهامه المدلهمة ، حتي أتم الله تعالى عليهم الفضل والنعمة ، وصرف عنهم البؤس والنقمة ، فوصلوا بعد انضاء الاعوجيات ، وارقال تلك المهريات ،

في سباسب الفلاة ، ومواصلة السرى في الدجنات ، بلد الله الحرام ، ومحلة الحج الذي هو أحد أركان الاسلام ، فدخلوها معتمرين فطافوا وسعوا واتوا بالعمرة على التمام ، ونحروا الجزر التي ارسلها الامير سعود الى بيت مولاه في المروة التي تراق فيها دماء شعائر الله اوصل الله تعالى اليه أجر ذلك وثوابه ، وانا له على ذلك القبول واثابه ، وبلغه فى الدارين مقصوده وطلابه ، فقابلهم الشريف بالاقبال ، وابدى لهم طلائع الاجلال ، وتلقاهم بطلاقة وجه واستهلال ، وانزلهم منزل التوقير والسلامة ، ووالى عليهم حشمته واكرامه ، وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال ، وعقدوا للمناظرة مجال ، وتجارت الاذهان فيه للجدال ، وشرعوا سنة المقال ، وراموا سنة الحق بالمحال ، ولم يأتوا ولله الحمد على كل بما يثلج لهم وهج البال ، من النصوص السالمة من الضعف والاعتلال ، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك والضلال ، سوى موضوعات الملحدة والضلال ، واكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال ، التي اعفت منار الحنيفية وما لها من معالم واطلال ، حين جرت على مباهج مناهج محاها الاذيال ، فلما تحققوا ذلك وعلموه وتيقنوا انهم لم يجدوا فى الدفع وفهموه ، اجمعوا رأيهم واحكموه على المغالطة في اللفظ فأبرموه فراشوا فى المقال النصال ، وجددوها للرمي فى النضال ، ورصدوا اللحن فى اللفظ والقال ، لما تبين منهم الخذلان والاذلال ، فلم يعثروا في سرد صحيح السنة القامعة لهم والاقفال ، على ما فيه لبس لدى مصنف واشكال ، سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن فى الاعراب والاشكال ، فارتفع من بعضهم عند ذلك التحطيئة بالمبادرة والاعتجال ، وناهيك بهذا من نقص في اللب والاختلال ، وسخافة فى العقل وخيال ، ووسوسة من الشيطان ابرزها له في الخيال ، وحسبك له كونه في الفلج بالحجة لم يبال ، ولم يبد منه فضيحة

واعتجال ، مع انهم بذلك الالزام والفلج لم يذعنوا ويجحدونه وهم به مستيقون ، (وكذلك زينا لكل امة علمهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) .

وصفة ماجرى منهم انهم حضروا ببيت الشريف ، تجاه بيت الله المنيف ، وجالت خيول الاذهان لدى غالب . والكل جرى في ذلك المضمار لادراك المآرب . فأول ما افتتحوا به التكلم والتخاطب . واجمعوا عليه في المطالب . فصدر منهم البذاءة والتنافس . ووقع منهم بتلك المجالس . وجرى منهم التحاور والمفاوضة . والتخاطب فيه والمراوضة . مسألة قتال الموحدين الناس . والكشف عن وجهها حجب الالتباس . فطلب من احمد بيان الحجة والدليل . والبرهان السالم من الاعاليل . والنص القاطع للاحتمال والتأويل . والقامع لسائر الاقاويل . على ذلك المنهج والسبيل . فأتي لهم جزاه الله تعالى الثواب الجزيل . من النص القاطع القامع لكل اذن واعية وسامع . واصل لهم من الاصول فيها . مايؤدي بالمراد ويكفيها . وجلب من الاحاديث الصحيحة الراجحة . والادلة الباهرة اللائحة ما شفى وكفى . وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا . وازاح عن محياها القتام . ونفا فعصفت على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا . وفرق آثارهم ومنارهم بعد ما هب عليهم وسفا . واوقفهم على المنصوص . فأقروا وسلموا لتلك النصوص . وصدر منهم الاذعان . بعد بعد ما حملهم الشيطان . على كون تلك لم تكن فى الكتب مسطرة . ولا موصلة فيها ومقررة . وتفوهوا بحضرة الشريف بذلك . حتى اوقفهم احمد على ما هنالك . ونقل من الكتب التي عندهم . ما ضعضع وجدهم . وجلب عليهم علتهم وجهدهم . فوطفت جباههم من العرق . لما داخلهم من الخجل والفرق . فلم يكن حينئذ بد ولا حيلة حين قرأوا حجته ودليله . ولم يستطع

منهم انسان • على جحود ذلك البرهان . بل صدر منهم اقرار بذلك واعلان .
ولم يكترثوا بما صدر قبل من الكتمان . وبما ابتدأوا به من الزور والبهتان •
فأمسوا بذلك يقرّون . وبمضمونه يصدقون (ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبئس ما يشترون ، ثم تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة ، في دعوة الاموات
فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيـدة ، والاقوال
الصحيحة العديدة ، ممن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الائمة الكبار ، والاتباع
المتقدمين الاخيار ، ما أدهش العقول والافكار ، ممـا لا يسع المنصف له
انكار ، ولكنهم جحدوا وقوع ذلك في الوجود ، وانكروا أن يكون ذلك
في الاقطار موجود ، وذاك عنـدهم واقع مشهود ، وهم على ذلك كل ساعة
شهود ؛ والعياذ بالله تعالى عن هـذا الافكار باللسان ، مع انهم متيقنونه في
الجنان ، ويشاهدونه الحاق عندهم بالعيان ، فنقول سبحانك هذا بهتان ، ولابدع
فيما جرى وصدر ، فقد قال كبيرهم أول من حضر ، وتأهب للمناظرة واتزر ،
وجر ذيول الخيلاء وافتخر ، واختـال من الكبر والاشر ، اعلم اني أقول ولا
اماري ، ولا اخاصمك ولا اناظرك ولا اباري ، ان اتيتني بالدليل من الكتاب ،
أو سنة النبي التي هي خصم لكل كذاب ، ولا اجاريك ولا اطالب بمـا قاله
علمـاء المذاهب ، سوى ما قاله به أمامي ابو حنيفة لاني مقلد له فيما قال ، فلا
اسلم لسوى قوله من قال ، ولو قلت قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال ، لانه
اعلم مني ومنك بأولئك ، وادل انتهـاج تلك المسالك ، والاخذ بغير أقوال
الائمة هو عين اقتحام جراثيم المهالك ، فليقف العاقل على هذا المقال ويقضي منه
العجب ، حيث صدر من هذا المدعي للعلم مع الله سوء هذا الادب ، فيابئس

ما اقترفه من الاثم واكتسب، لم يخف الله ولم يراقب ولم يخش سوء العواقب وحاول بذلك في الدنيا المراتب، حتى يكون من الجاه والرياسة فيها متوسط الكاهل والغارب، فلما انقضت تلك الايام والليال، وتقضت ساعات المناظرة والجدال. طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر. تأصيل ما برهن به واحتج به وقرر، وكتب ما سجله عليهم وسطر، فانتدب لذلك أدام الله نفعه وكثر، من الفوائد جمعه فحرر، من الكتب الذي عندهم في ذلك المكان، ما أراده من ذلك الامر والشان بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالاعيان. فجمع لديهم عجالة وعجل لهم فى سوحهم رسالة، أوجز فيها مقاله واتي فيها بما فيه كفاية في الحجة والدلالة يذعن بعد سماعها كل منصف عاقل. ويشهد بفضل قائلها كل فاضل، وتقر بصدقها وصحة مضمونها الاماثل. ولا عبرة بمنافق او غبي جاهل. بنى للحق المبين على اساسها صرحا واجاد فيما أحكمه من التحرير ايضاحاً وشرحاً. فأفاد فيما نحا، من التحبير صدعا وصدحا. وترك مناظريه يعاينون في الجواب عنها كدحا. فلم يدركوا من سعيهم ربحا، بل زاد وفيما زخرفوه من الصواب بعدا او نزحا، وهى عليك مجلوة وحججها مقرّوة متلوة محيطة لوضي. حسنها النقاب، سافرة الوجه للنقاد خالية من شين الاسهاب، والاطناب جالية دجى الرين والارتياب، ولكن عيبها سلامتها من الاعجاب.

وهذا نص الرسالة المزبور، والعجالة المنقحة المسطور، واتيت بها على تأصيلها ووضعها ولم اغير بديع منوالها وصنعها، الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

(المسألة الاولى) ما قولكم فيمن دعا نبيا أو وليا او استغاث به في تفريج الكربات؟ كقوله يا رسول الله أو يا بن عباس او يا محجوب او غيرهم

من الاولياء والصالحين . الجواب : الحمد لله واستعينه واستغفره واعوذ بالله من شرور انفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم باحسان واقتفى آثارهم الى آخر الزمان .

أما بعد فان الله تعالى قد أكمل لنا الدين ، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين ، قال الله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى) قال بن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع مافيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآية روى مالك في الموطأ ان رسول الله ﷺ قال « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بها كتاب الله وسنة رسوله » وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « تركتكم على المحجة البيضا ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » وقال ﷺ « ماتركت من شيء يقرب الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا شيء يقرب الى النار الا وقد حدثتكم به وقال ﷺ عليكم « بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة

ضلالة » فمن أصغى الى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيها الهدى والشفاء وقد ذم الله تعالى من اعرض عن كتابه ودعا عند التنازع الى غيره . قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)

اذا عرفت هذا فنقول الذي شرعه لنا رسول الله ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكرة الآخرة والاحسان الى الميت بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية كما في صحيح مسلم عن بريدة قال كان رسول الله ﷺ اذا حرج الى المقابر يقول : السلام عليكم يا أهل الديار وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافيه ؛ وفي سنن أبي داود عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ « مامن ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه » رواه مسلم فاذا كنا على جنازته ندعوا له لا ندعوا به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدّل أهل الشرك قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به ، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً الى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة بنص رسول الله ﷺ ، وعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي وعن النعمان ابن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، ومن المحال ان يكون دعاء الموتى مشروعاً ويصرف عن القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يوفق

له الخاوف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فهذه سنة رسول الله ﷺ وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن؟ أنهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد ، ومعلوم ان مثل هذا مما تتوافر لهم والدواعي على نقله وقد كان عندهم من اصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاة ولا استشفى به ولا انتصر به ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ من بعد موته ولا بغيره من الانبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الانبيـاء ولا الصلاة عندها فان كان عندكم في هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم اليه ، ولما قحط الناس في زمن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ونحن نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك في صحيح البخاري ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه ونحن نعلم بالضرورة ان النبي ﷺ لم يشرع لامته ان يدعو احداً من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور وان ذلك من الشرك الاكبر الذي حرم الله ورسوله قال الله تعالى (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا)

قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم أعـداء وكانوا بعبادتهم كافرين) . وقال تعالى : (ولا تدع مع الله الهـا آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقال تعـالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) قال مجاهد : يبتغون الى ربهم الوسيلة ، هو عيسى وعزير والملائكة ، و كذا قال ابراهيم النخعي قال كان ابن عباس يقول : (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هو عزير والمسيح والشمس والقمر . وعن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : عيسى وامه والعزير . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم ، فنزلت هذه الآية ، ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري ، ذكره التفسير وهذه الاقوال كلها في معنى الآية حق ، فان الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغي الى ربه الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الانبياء والصالحين فقد تناولته هـذه الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى انهم وسائط بينهم وبين الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين انهم لايملكون كشف الضر عن الداعين ولاتحويله ولايدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع الى موضع كتغير صفته او قدره ولهـذا قال ولاتحويلا فذكر لتعم أنواع التحويل فكل من دعا نبيا من الانبياء اوالصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن ، فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه

ولا تحويلا وهؤلاء المشركون اليوم منهم من اذا نزلت به شدة لا يدعو الا شيخه ولا يذكر الا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر امه فاذا تعسر أحدهم قال يا ابن عباس أو يا محجوب ، ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب ، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق ، فاذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحادة لله ولكتابه ، فأي الفريقين أحق بالاستهزاء وبالمحادة لله من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم أو من كان لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، كما امرت به رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به ونحن بحمد الله من أعظم الناس ايجابا لرعاية جانب الرسول ﷺ تصديقا له فيما اخبر وطاعة له فيما امر واعتناء بمعرفة مابعث به واتباع ذلك دون ماخالفه عملا بقوله تعالى (واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) ومعنا ولله الحمد أصلان عظيمان احدهما : ان لا نعبد الا الله ، فلا ندعو الا هو ولا نذبح النسك الا لوجهه ولا نرجو الا هو ولا نتوكل الا عليه .

الاصل الثاني ان لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان الاصلان هما شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله ﷺ فان شهادة ان لا إله إلا الله تتضمن اخلاص الالهية فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا بحب ولا بخشية ولا اجلال ولا رغبة ، ولا رهبة وشهادة ان محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به وطاعته وأتباعه في كل ما امر به فما أثبته وجب اثباته وما نفاه وجب نفيه ، وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى فقالوا » ومن يأبى يارسول الله ؟

قال « من أطاعني دخل ومن عصاني فقد أبى » اذا عرف هــذا فالذي نعتقده وندين به الله ان من دعا نبيا أو وليا أو غيرهما يسأل منهم قضــاء الحاجات وتفريج الكربات ، ان هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أوليا. وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فمن جعل الانبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعني ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس بقربهم منهم والناس يسألونهم ادبا منهم ان يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب الى الملك فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليــه الاجماع قال في الاقناع وشرحه من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا لان ذلك كفعل عابدي الاصنام قائلين ما نعبــدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، وقال الامام أبو الوفا بن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى . لمــا صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها والزامها بما نهى عنــه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزي ، انتهى .

قال الامام البكري الشافعي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى (والذين

اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، وكانت الكفار اذا سألوا من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا سألوا عن عبادة الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لاجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم ، انتهى كلامه . فتأمل ماذكره صاحب الاقناع وكذلك ماذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر . وقال الحافظ : العماد بن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى : والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي انا يحملهم على عبادتهم انهم عمدوا الى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم في أمور الدنيا فاما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن اسلم وابن زيد الا ليقربونا الى الله زلفى أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم اذا حجوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما لك ، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وان هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) فاخبر ان الملائكة التي فى السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالامراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير اذنهم فيما

احبه الملوك أو أبغضوه فلا تضربوا لله الامثال تعـالى الله عن ذلك ، انتهى .
وقال الامام البكري رحمة الله عند قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، الآية : فان قلت اذا اقروا فكيف عبدوا الاصنام قلت كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة ، ففرقة قالت : ليس لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدنا لتقربنا اليه زلفى ؛ وفرقة قالت الملائكة ذو وجاه ومنزلة عند الله فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا الى الله زلفى، وفرقة اعتقدت ان لكل صنم شيطانا موكلا بامر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بامر الله ولا أصابه شيطانه بنكبة بامر الله ، انتهى كلامه . فانظر الى كلام هؤلاء الائمة وتصريحهم بان المشركين ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ماذكره بن كثير وما حكاه عن زيد بن اسلم وبن زيد ثم قال وهذه الشبهة التي اعتقد المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، وتأمل ماذكره البكري رحمه الله عند آية الزمران الكفار ما ارادوا إلا الشفاعة ثم صرح بأن هذا كفر فمن تأمل ما ذكره الله في كتابه تبين له ان الكفار ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله فانهم لم يعتقدوا فيها انها تخلق الخلائق وقال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار الى قوله فسيقولون الله فقل افلا تتقون) ، وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله فانى يؤفكون) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون

لله قل افلا تذكرون) (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله) الآيتين الى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها ان المشركين معترفون ان الله هو الخالق الرزاق وانما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه في قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إلهاً آخر وأخبر ان الشفاعة كلها له وانه لا يشفع أحد عنده الا باذنه وانه لا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله وانه لا يرضى الا التوحيد فالشفاعة مقيدة بهذه القيود، قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (مالكم من دونه ولي ولا شفيع) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا . الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (لا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه) وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله انه قال : آتي تحت العرش فأخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لا احصيها الآن فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم قال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال : فيحد لي حداً فادخلهم الجنة ثم ادعو فذكر اربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء. وقال الامام البكري الشافعي رحمه الله عند قوله تعالى(وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس له من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون) نفى الشفاعة وان كانت واقعة في الآخرة لانها من حيث انها لا تقع الا باذنه كانها غير موجودة من غيره وهو كذلك، لكن جعل

ذلك لتبين الرتب ، وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد به المؤمنون العاصون انتهى .

وقال عند قوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) دل على ان الشفاعة تكون للمؤمنين فقط قال الامام الحافظ عماد الدين بن كثير عند قوله تعالى (قل من رب السموات والارض قل الله) يقرر تعالى انه لا إله الا هو لانهم معترفون انه هو الذي خلق السموات والارض وهو ربها ومدبرها ومع هذا فقد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم وانما عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون انها مخلوقة عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، وكما اخبر عنهم قوله (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فانكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده الا باذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ، ثم قد ارسل رسله من اولهم الى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى .

والمقصود بيـان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ فانهم ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله وبيان ان طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد أنه من الشرك الذي كفر الله به المشركين وبيان ان الشفاعة كلها لله ليس لاحد معه من الامر شيء . وانه لا شفاعة الا بعد اذن الله وانه تعالى لا يأذن الا لمن رضي قوله وعمـله وانه لا يرضى الا التوحيد كما تقدمت الادلة الدالة على ذلك ومعلوم ان أعلى الخلق وافضلهم واكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا الا بعـد اذنه لهم

وأمرهم فيأذن سبحانه لمن شاء ان يشفعوا فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة انما هي له تعالى والذي شفع عنده انما شفع باذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهي ارادته ان يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التي اثبتها المشركون ومن وافقهم وهي التي ابطلها سبحانه في كتابه بقوله تعالى (واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لابيع فيه ولا خلة ولاشفاعة) ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص فروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه » وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » رواه الترمذي وابن ماجه فأسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد واخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه • قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا) فاخبر سبحانه انه لا يحصل شفاعة تنفع الا بعد رضاه قول المشفوع له واذنه للشافع وأما المشرك فانه لايرتضيه ولا يرضى قوله ولا يأذن للشفعاء ان يشفعوا فيه ، فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع واذنه للشافع فما لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هى منه فانه هو الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع له والذي وفقه لفعل ما يستحق من الشفاعة ، فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ومتخذ الرب الهه

وحده ومعبوده هو الذي ياذن للشافع فيه ، قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) الى قوله (قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)

فبين الله المتخذين شفعاء مشركون وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم وانما تحصل باذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه ، والمقصود لن الكتاب والسنة دلا على ان من جعل الملائكة والانبياء أوابن عباس أو ابا طالب او المحجوب وسائط بينه وبين الله يشفعون له عند الله لاجل قربتهم من الله كما يفعل عند الملوك ، انه كافر مشرك حلال الدم والمال وان قال اشهد أن لا إله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله وصلى وصام وزعم انه مسلم بل هو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحبون انهم يحسنون صنعا ، ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحاً بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كلهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وان السموات السبع ومن فيهن والارضين السبع ، ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرهم من السور ، وجده مصرحاً بأن المشركين يدعون الصالحين كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور ، وكذلك أخبر عنهم انهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك عنهم في سورة الفرقان وسبأ والنجم ، وجده مصرحاً أيضاً بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا الا الشفاعة والتقرب الى الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور ، فاذا تبين لكم ان القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث اعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وانهم يدعون الصالحين وانهم ما ارادوا

منهم الا الشفاعة ، تبين لكم ان هذا الذي يفعل عند القبور من سؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد انه الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين ، فان هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالمخلوق ؛ وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه . ومن قال ان الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الانبياء أو غيرهم من الاولياء والصالحين فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر واخفى لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء . (الثاني) أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا باعوان من الذل فلا بد له من اعوان وانصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الذل ، وكلما في الوجود من الاسباب فهو سبحانه ربه وخالقه ، فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانة ليس له شريك في الملك بل لا إله الا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، ولهذا لا يشفع أحد عنده الا باذنه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما ، فان من شفع عنده بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه ؛ والله لا شريك له بوجه من الوجوه .

(الثالث) أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه أو يعظه ، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، والله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها

وكل الاسباب انمـا تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، وهو سبحانه اذا اجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض ، فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع له فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هـذا المحسن والداعي ارادة الاحسان والدعاء ، ولا يجوز ان يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلمه ، والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده الا باذنه كما تقـدم بيانه بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهراً لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهم يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم وتارة لجزاء احسانهم ومكافأتهم حتى انه يقبـل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبـل شفاعة مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته يخاف ان لا يطيعه ، ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى في ضرره ، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا أحد يقبل شفاعة أحد الا لرغبة أو لرهبة والله تعالى لا يرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغني سبحانه عما سواه وكل ما سواه فقير اليه والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه من الشفاعة عند المخلوق . قال تعـالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله سبحانه وتعـالى (عما يشركون) وقال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغـون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فأخبر سبحانه انمـا يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولاتحويله ، وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون

اليه ، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والانبياء. وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله .

وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه ، ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

وأما المسألة الثانية وهي من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يصل ولم يزك هل يكون مؤمناً ؟ فنقول أما من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال ، وان قال لا اله الا الله محمد رسول الله وان صلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه ، وأما ان وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ولكنه ترك الصلاة والزكاة ، فان كان جاحداً للوجوب فهو كافر اجماعا ، وأما ان أقر بالوجوب ولكنه ترك الصلاة تكاسلا عنها ، فهذا قد أختلف العلماء في كفره ، والعلماء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة ، واذا تنازعوا في شيء رد ما تنازعوا فيه الى الله والى الرسول ، اذا لواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل احد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) قال العلماء الرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرد الى سنته بعد وفاته ، قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع الى غيره فقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) اذا عرف هذا فنقول : اختلف العلماء رحمهم الله في تارك الصلاة كسلا من غير جحود فذهب الامام أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه ومالك الى انه لا يحكم بكفره ، واحتجوا

بما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له » وذهب امامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليه واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحاكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الائمة والتابعين الى انه كافر ، وحكاه اسحاق بن راهوية اجماعا ذكره عن الشيخ احمد بن حجر فى شرح الاربعين ، وذكره في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبوبكر وعمر وابنه عبدالله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهؤلاء مخالفا من الصحابة واجابوا عن قوله ﷺ من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له ، ان المراد عدم المحافظة عليهن في وقتهن بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وعن بريدة بن الحصيب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » رواه الامام احمد وأهل السنن وقال الترمذي حديث حسن صحيح اسناده على شرط مسلم ، وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « بين العبد والكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد اشرك » واسناده صحيح على شرط مسلم ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه

ذكر الصلاة يوما فقال : «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا ولانجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وابي ابن خلف» رواه الامام احمد وابو حاتم بن حبان في صحيحه ، وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : أوصانا رسول الله ﷺ فقال «لا تشركوا بالله شيئاً ولا تتركوا الصلاة عمداً فمن تركها عمداً خرج من الملة» رواه ابن ابي حاتم في سننه وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله» رواه الامام احمد ، وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال: «أوصاني رسول ﷺ ان لا أترك صلاة متعمدا فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة» رواه ابن ابي حاتم ، وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة الحديث ، وعن عبدالله بن شقيق العقيلي قال كان اصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الاعمال تركه كفر غير الصلاة رواه الترمذي ، فهذه الاحاديث كما ترى صريحة في كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من اجماع الصحابة كما حكاه اسحاق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم ، ثم ان العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهري وداود فانهم قالوا : يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب ، ومن احتج لهذا القول بقوله ﷺ «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها» فقد ابعد النجعة ، فان هذا الحديث لا حجة فيه ، بل هو حجة لمن يقول بقتله كما سيأتي بيانه انشاء الله واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فشرط الكف

التوبة من الشرك واقام الصلاة وايتاء الزكاة فاذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم ؟ قال بن ماجة حدثنا نصر بن علي حدثنا أبو حاتم حدثنا الربيع بن انس عن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة مات والله عنه راض » قال انس وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما انزل (فان تابوا) قال خلع الاوثان وعبادتها (واقاموا الصلاة) و (اتوا الزكاة) وقال في آية اخرى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) وأما السنة : فثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول ﷺ « قال أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة وقد بعث النبي ﷺ كتابا فيه « من محمد رسول الله الى أهل عمان أما بعد : فأقروا بشهادة ان لا اله الا الله وأني رسول الله والزكاة وخطوا المساجد والا غزوتكم » خرجه الطبراني والبزار وغيرهما ذكره الحافظ بن رجب الحنبلي في شرح الاربعين وروى ابن شهاب عن حنظلة عن علي بن الاشجع ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، بعث خالد بن الوليد وأمره ان يقاتل الناس على خمس ، فمن ترك واحدة منهن قاتله عليها كما تقاتل على الخمس ، شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

وقال سعيد بن جبير : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أن الناس

تركوا الحج قاتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة ، وبالجملة فالكتاب والسنة دالان على أن القتال ممدود الى الشهادتين والصلاة والزكاة ، وقد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الاسلام فانه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين وأولى ، انتهي .

وأما حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فهذا الاشكال فيه بحمد الله ، وليس لكم فيه حجة ، بل هو حجة عليكم ، قال علماؤنا رحمهم الله اذا قال الكافر لا اله الا الله فقد شرع في العاصم له فيجب الكف عنه ، فان تم ذلك تحققت العصمة والا بطلت ويكون النبي ﷺ قد قال حديثاً في وقت فقال : « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » ليعلم المسلمون ان الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصوماً ، ثم بين النبي ﷺ في الحديث الآخر أن القتال ممدود الى الشهادتين ، فقال « أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فبين ان تمام العصمة وكمالها انما يحصل بذلك ، ولان لاتقع الشبهة بأن مجرد الاقرار يعصم على الدوام كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم وافقوه رضي الله عنهم ، انتهى .

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم في معنى حديث ابي هريرة ان الصحابة رضي الله عنهم اجمعوا علي قتال ما نعي الزكاة بعد مناظرة حصلت بين ابي بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما ، واستدل عمر على ابي بكر بحديث ابي هريرة ، فبين صديق الامة رضي الله عنه ان الحديث حجة على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر وسائر الصحابة وقاتلوا مانعي الزكاة وهم يشهدون أن لا

اله الا الله وان محمداً رسول الله ويصلون ، ونحن نسوق الحديث ، ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم ان فهمكم الفاسد لم يقل به احد من العلماء وانه فهم مشوم مذموم مخالف للكتاب والسنة واجماع الامة .

فنقول ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب ، قال عمر لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها » قال أبو بكر لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لاقاتلنهم على منعه ، قال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق وهذا الحديث خرجه البخاري في كتاب الزكاة ومسلم في كتاب الايمان وهو من أعظم الادلة على فساد قولكم ، فان الصديق رضي الله عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب ، وقد تكلم النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم ، وقال : باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ماجاء به النبي ﷺ وان من قال ذلك عصم نفسه وما له الا بحقها ، ووكلت سريرته الى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الاسلام واهتمام الامام بشرائع الاسلام ، ثم ساق الحديث ثم قال : قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلام حسن لا بد من ذكره لما فيه من الفوائد قال رحمه الله : مما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا اذ ذاك صنفين صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الكفر هم ، وهم الذين عنى ابو هريرة بقوله من كفر من العرب والصنف

الآخر فرّقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وانكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها الى الامام وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها الا ان رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على ايديهم في ذلك كبني يربوع ، فانهم جمعوا صدقاتهم وارادوا ان يبعثوا بها الى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ، ووقعت الشبهة لعمر رضي الله عنه فراجع ابا بكر رضي الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبي ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم نفسه وماله » وان هذا كان من عمر تعلقاً بظاهر الكلام قبل ان ينظر في آخره ويتأمل شرائطه ، فقال له ابو بكر : الزكاة حق المال يريد ان القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بايفاء شرائطها ، والحكم المعلق بشرطين لا يحصل باحدهما والآخر معدوم ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة اليها وكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان اجماعاً من الصحابة رضي الله عنهم ، ولذلك ردوا المختلف فيه الى المتفق عليه ، فلما استقر عندهم صحة رأى ابي بكر رضي الله عنه وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم ، وهو معنى قوله فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، عرفت انه الحق ، يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها والبرهان الذي اقامه نصاً ودلالة انتهى .

فتأمل هذا الباب الذي ذكره النووى رحمه الله تعالى وهو امام الشافعية على الاطلاق تجده صريحاً في ردّ شبهتكم ان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله لا يباح دمه وماله ، وان ترك الصلاة والزكاة فالترجمة نفسها صريحة في رد قولكم ، فانه صرح بالامر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وتأمل

ما ذكره الخطابي أن الذين منعوا الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها الا ان رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم كبني يربوع فانهم أرادوا أن يبعثوا بها الى ابي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وانه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر في هؤلاء . ثم ان عمر وافق أبا بكر على قتالهم ، وتأمل قوله واحتج عمر بقول النبي ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » وكان هذا من عمر تعلقاً بظاهر الكلام قبل ان ينظر الى آخره ويتأمل شرائطه وتأمل قوله : ان قتال الممتنع من الصلاة كان اجماعا من الصحابة ، وقد أشار الخطابي الى أن حديث ابي هريرة مختصر قال النووي رحمه الله قال الخطابي : ويبين لك ان حديث ابي هريرة مختصر ان عبد الله بن عمر وانس رضي الله تعالى عنهما روياه بزيادة لم يذكرها ابو هريرة ففي حديث بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : أمرت ان اقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم واموالهم الا بحقها » وفي رواية أنس « أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » انتهى .

قلت وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من طريق ابي هريرة وروايته ان رسول الله ﷺ قال « أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها » وفي استدلال ابي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما ، دليل على انهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر وأنس وابو هريرة وكان

هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة في رواياتهم في مجلس آخر ، فان عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما احتج بالحديث ، فان هذه الزيادة حجة عليهم ، ولو سمع ابي بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما احتج بالقياس والعموم ، والله أعلم انتهى . كلام النووي فتأمل ماذكره عن الخطابي تجده صريحاً في رد قولكم ، وتأمل قوله فان عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما احتج بالحديث ، فان هذه الزيادة حجة عليهم ، وبالجملة فحديث ابي هريرة حجة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه الا قوله الا بحقها لكان كافياً في بطلان شبهتكم ، فان الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا اله الا الله بل هما أعظمها على الاطلاق ، ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث ، أعني حديث أبي هريرة « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » ان جميع الشراح والمحشين لم يؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم اليه ، فانه حديث صحيح مخرج في الصحاح وهؤلاء شراح البخاري ومحشوه نحو من اربعين كما نبه عليه القسطلاني في خطبة شرح البخاري ، وكذا شراح مسلم هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض ؟ بل الذي ذكروه خلاف ما ذهبتم اليه ولو لم يكن الا إحتجاج عمر به على ابي بكر ثم موافقته لابي بكر على قتال مانعي الزكاة لكان كافيا ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذراً ونذراً ، قال النووي رحمه الله تعالى قوله ﷺ « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله تعالى »

قال الخطابي : معلوم أن المراد بهذا أهل الاوثان دون أهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف ، قال : ومعنى حسابه على الله تعالى فيما يسرونه ويخفونه ، قال : ففيه ان من اظهر الاسلام واسر الكفر

يقبل إسلامه أي في الظاهر ، وهذا قول اكثر العلماء ، وذهب مالك ان توبة الزنديق لا تقبل ، ويحكي ذلك عن احمد بن حنبل ، هــذا كلام الخطابي ، وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى معنى هذا وزاد عليه واوضحه ، فقال : اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان ، وأن المراد مشركو العرب وأهل الاوثان ممن لا يوحــدون وهم كانوا أول من دعي الى الاسلام وقوتل عليه ، فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكفي في عصمته بقول لا اله الا الله اذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقــاده ، فلذلك في الحديث الآخر « واني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » هذا كلام القاضي ، قلت ولا بد من الايمان بما جاء في الرواية الاخرى لابي هريرة حتى يشهدوا أن لا أله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به انتهى كلام النووي .

فتأمل ما ذكره الخطابي وما ذكره القاضي عياض أن المراد بقول لا اله الا الله التعبير عن الجائه الى الايمان واستدل بذلك الحديث الآخر الذي فيه « واني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » وتأمل قوله ان المراد بحديث ابي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا يوحدون وأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول لا اله الا الله اذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده ، وتأمل قول النووي ولا بد من الايمان بما جاء به رسول الله ﷺ ، وبالجملة فقوله ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » لم نعلم احدا من أهل العلم اجراه على ظاهره ، وقال ان من قال لا اله الا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وان ترك الصلاة ومنع الزكاة ، هذا لم يقل به احد من العلماء ، ولازم قولــكم ان اليهود لا يجوز قتالهم لانهم يقولون لا اله الا الله ، وان الصحابة مخطئون في قتالهم ما نعي الزكاة لانهم يقولان لا اله الا الله ، سبحان

الله ما أعظم هذا الجهل : كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، ومن العجب انكم تقرؤون في صحيح البخاري هذا الباب في كتاب الايمان حيث قال : بابَ (فان تابوا واقاموا الصلاه واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم .

حدثنا عبد الله بن محمد السندي قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد سمعت ابي يحدث عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول ﷺ قال : « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا ويشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث الذي ذكره البخاري وباي شيء تدفعون به هذه الادلة ؟ وقال الامام أبو عيسى الترمذي في سننه في باب امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله : حدثنا هناد حدثنا ابو معاوية عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول ﷺ « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » الحديث ثم اردفه بحديث ابي هريرة فى قتال ابي بكر لما نعي الزكاة وساق الحديث بتمامه ثم قال : باب ماجاء امرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة حدثنا سعد ابن يعقوب الطالقاني ان ابن المبارك قال اخبرنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « امرت ان الناس حتى يشهدوا لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وليستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم وأموالهم الا بحقها ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » وفى الباب عن معاذ بن جبل وابي هريرة هذا حديث حسن صحيح .

والمقصود بيان فساد هذه الشبهة التي زيفها من يدعى انه من العلماء على

الجبلة من الناس أن من قال لا إله الا الله محمد رسول الله فهو مسلم لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الاسلام ، وهذا كلام الله ؟ وهذا كلام رسوله ، وهذا كلام العلماء صريحاً في رد هذه الشبهة ، بل قد دل الكتاب والسنة والاجماع على ان الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة وان اقروا بالوجوب كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك بل قد صرح العلماء. ان اهل البلد اذا تركوا الاذان والاقامة يقاتلون كما يأتي ، وصرحوا أيضا بأنهم لو تركوا اقامة صلاة الجماعة يقاتلون ، وكذلك لو تركوا صلاة العيد . وعلماء حرم الله الشريف يقولون : من قال لا إله الا الله فقد عصم ماله ونفسه وان لم يصل ولم يزك . فسبحان مقلب القلوب والابصار ، وهل هذا الا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة المذاهب ؟ وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل وان الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله ويحكون عليه الاجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم فاذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الاسلام كأهل القرية اذا تركوا الاذان أو تركوا صلاة الجماعة او تركوا صلاة العيد فانهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة رأساً ؟ وهؤلاء يقولون : من قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه وان كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة بل يصرحون أن البوادي اسلام حرام علينا دماؤهم وأموالهم مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون ، بل الظاهر عندهم انهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت سبحان الله ما أعظم هذا الجهل ؟ وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح الاحاديث ما فيه الهدى لمن هداه الله .

وبينا ان العصمة شرطها التوحيد واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه

الثلاث لم يكف عنه ولم يخل سبيله وقد قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال النبي ﷺ : « امرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله .

واما كلام الفقهاء في كتبهم فنذكره على التفصيل ، اما كلام المالكية ، فقال الشيخ علي الاجهوري في شرح المختصر : من ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجدتها من الضروري وقتل بالسيف حدا على المشهور ، وقال بن حبيب وجماعة خارج المذهب : كافر واختاره بن عبد السلام ، انتهى .

وقال في فصل الاذان : قال المازري في الاذان معنيان (أحدهما) اظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار اسلام وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه ان عجز عن قهرهم على اقامته الا بالقتال .

(والثاني) الدعاء للصلاة والاعلام بوقتها . وقال الآبي في شرح مسلم والمشهور ان الاذان فرض كفاية على أهل المصر لانه شعار الاسلام ، فقد كان رسول الله ﷺ ان لم يسمع الاذان أغار والا امسك .

وقول المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب لانه نص عن عياض في قول المصنف والوتر غير واجب الا أنهم اختلفوا في التمالي على ترك السنن هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم واكراههم لان في التمالي على تركها اماتتها ، انتهى .

وقال في فصل صلاة الجمعة قال ابن رشد صلاة الجماعة مستحبة للرجل في نفسه فرض كفاية في الجملة ويعني بقوله في الجملة انها فرض كفاية على أهل المصر ولو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى .

وعبارة غيره وان تركها أهل بلد قوتلوا وأهل دار أجبروا عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله على الاجهوري ، فانظر تصريحهم ان تارك الصلاة يقتل باتفاق أصحاب مالك وانما اختلفوا في كفره ، وان ابن حبيب وبن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافراً وتأمل كلامهم في الطائفة الممتنعة عن الآذان وعن اقامة الجماعة في المساجد انهم يقاتلون ، فاين هذا من قولكم ان من ترك الفرائض مع الاقرار بوجوبها لا يحل قتالهم ؟ لانهم يقولون لا اله الا الله ، واما كلام الشافعية فقال الامام العلامة احمد ابن حمدان الاذرعي رحمه الله في كتاب « قوت المحتاج فيشرح المنهاج» من ترك الصلاة جاحداً وجوبها كفر اجماعا ، وذلك جاريا في كل جحود مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة ، فان تركها كسلا قتل حداً على الصحيح والمشهور ، أما قتله فلأن الله تعالى امر بقتل المشركين ثم قال (فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) . فدل على ان القتل لايرفع الابالايمان واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ولما في الصحيحين « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » ثم قال اشارات منها قتله رده ووجد لشرذمة منهم منصور التميمي وابن خزيمة ، وقضية كلام الرونق انه كلام منصوص حيث قال : واذا قتل ففي ماله ودفنه بين المسلمين قولان : احدهما ما رواه الربيع عن الشافعي ان ماله يكون فيئا ولا يدفن بين المسلمين ، والثاني مارواه المازني

عن الشافعي أن ماله لورثته ويدفن في مقابر المسلمين وقال في المستعمل سألت الربيع ما يصنع بماله اذا قتله ؟ قال يكون فيئاً ، ومنها قول في الروضة تارك الوضوء يقتل على الصحيح جزم به الشيخ ابوحامد وفي البيان لو صلى عرياناً مع القدرة للستر أو الفريضة قاعدا بلا عذر قتل ، وكذلك لو ترك التشهد أو الاعتدال حكاه بن الاستاذ عن البحر فان صح طرد في سائر الاركان والشروط ، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه ، ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حبس ومنع من المفطرات ، وقال إمام الحرمين يجوز أن يجعل الممتنع مما يضيق عليه كالممتنع من الصلاة يجبر عليه فانِ أبى ضربت عنقه ، قال المصنف والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط اخراجها عن وقت الضرورة انتهى كلام الاذرعي ، فانظر كلامه في قتل من ترك الصلاة كسلًا وان الربيع روي عن الشافعي أن ماله يكون فيئا ولا يدفن في مقابر المسلمين ، وتأمل كلام أبي حامد وكلام صاحب الروضة في قتل تارك الوضوء وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعداً بلا عذر أنه يقتل ، فاين هذا من قولكم أن من قال لا إله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه ؟ وقال الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي فى التحفة في باب حكم تارك الصلاة : أن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع ، أو تركها كسلًا مع اعتقاده وجوبها قتل لآية (فان تابوا) وخبر « أمرت ان أقاتل الناس » لانهما شرطان وفي الكف عن القتل والمقاتلة الاسلام وإيتاء الزكاة لان الزكاة يمكن الامام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا ، فكانت فيها على حقيقتها بخلافها في الصلاة ، فانه لا يمكن فعلها بالمقاتلة ، وقال في باب صلاة الجماعة : وقيل هي فرض للرجل فيجب بحيث يظهر بها الشعار في ذلك المحل ببادية أو غيرها

وأن لم يظهر الشعار بان امتنعوا كلهم أو بعضهم كاهل محل من قرية كبيرة ولم يظهر الشعار الا بهم قوتلوا يقاتلهم الامام أو نائبه لاظهار هذه الشريعة الكبيرة وقال في باب الاذان : والاقامة سنة وقيل فرض كفاية فيقاتل أهـل بلد تركوها أو أحدهما بحيث لم يظهر الشعائر ، وقال في باب صلاه العيدين : هي سنة وقيل هي فرض كفاية فعليه يقاتل أهل بلد تركوها انتهى كلامه في التحفة .

فانظر إلى كلامه في قتل تارك الصلاة كسلًا ، وتأمل قوله أن الاية والحديث شرطان في الكف عن القتل والمقاتنة الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وان الامام يأخذ الزكاة ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا ، وتأمل كلامه في باب صلاة الجماعة وانها تجب بحيث يظهر الشعار في ذلك المحل حتى فى البادية وانهم يقاتلون اذا امتنعوا بل كلامه في الاذان والاقامة وان الامام يقاتل على تركها وعلى ترك أحـدهما على القول بأنهما فرض كفاية ، وتأمل كلامه في الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العيدين ، فأين هذا من كلام من يقول أن أهل البلد والبوادي اذا قالوا لا اله الا الله محمد رسول الله لم يجز قتالهم وان لم يصلوا ولم يزكوا ؟ فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل ، وأما كلام الحنابلة فقال في الاقناع وشرحه في كتاب الصلاة من جحد وجوبها كفر ، فان تركها تهاوناً وتكاسلًا لا جحودا يهدد ، فان أبى أن يصلبها حتي تضايق وقت الذي بعدها وجب قتله لقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) الى قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فمتى ترك الصـلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على اباحة القتل ، ولقوله ﷺ لمن ترك الصلاة متعمدا ، فمتي ترك الصلاة لم يأت بشرط التخليه فيبقي على اباحة القتل ، ولقوله عليه السلام « من ترك الصلاة

متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله » رواه الامام أحمد عن مكحول وهو مرسل جيد ، ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد نصاً فان تاب بفعلها والا قتل بضرب عنقه ، لما روى جابر عن النبي ﷺ أنه قال « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، وروى بريدة أن النبي ﷺ قال « من تركها فقد كفر » رواه الخمسة وصححه الترمذي انتهى .

وقال في باب الاذان والاقامة فان تركهما أي الاذان والاقامة أهل بلد قوتلوا أي : قاتلهم الامام أو نائبه حتى يفعلوهما لانهما من أعلام الدين الظاهرة، فيقاتلوا على تركهما كسلا كصلاة العيد ، وقال رحمه الله في باب صلاة الجماعة وهي واجبة وجوب عين فيقاتل تاركها وان أقامها غيره لان وجوبها على الاعيان بخلافه . وقال في باب صلاة العيدين : وهي فرض كفاية ان تركها أهل بلد يبلغون الاربعين بلا عذر قاتلهم الامام كالاذان فانه من شعائر الاسلام الظاهرة وفي تركها تهاون بالدين . وقال في باب اخــراج الزكاة . ومن منعهما أي الزكاة بخلا بهما وتهانا أخذت منه قهرا كدين الادمى وان غيب ماله أو كتمه وأمكن أخذها بان كان فى قبضة الامام أخذت منه من غير زيادة. وان لم يمكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبا فان تاب وأخرج كف عنــه والا قتل لاتفاق الصحابة على قتال مانعيها . وان لم يمكن أخذها الا بالقتال وجب على الامام قتاله وان وضعها مواضعها انتهى كلامه في الاقناع وشرحه .

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلا من غير جحود انه يستتاب فان والا قتل كافراً مرتدا ، وتأمل كلامه في أهل البلدان اذا تركوا الاذان والاقامة او صــلاة العيــد انهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك ، فهذا كلام المالكية ، وهذا كلام الشافعية ، وهذا كلام الحنابلة ، الكل منهم قد صرح بما ذكرناه

فاذا كانوا مصرحين بقتال من التزم شرائع الاسلام إلا انهم تركوا الاذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد فكيف بمن ترك الصلاة رأساً كالبوادي ؟ ولا يزكون ولا يصومون ، بل ينكرون الشرائع وينكرون البعث بعد الموت هذا هو الغالب عليهم الا من شاء الله وهم القليل ، والا فأكثرهم ليس معهم من الاسلام الا أنهم يقولون : لا اله الا الله ، ومع هذا يجادل علماء مكة ويقولون انهم مسلمون ، وان دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الاسلام وان لم يصلوا ولم يزكوا ولم يصوموا لانهم يقولون لا اله الا الله ، وهل هذا الا رد على الله ؟ حيث يقول (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وهؤلاء يقولون يخلى سبيلهم وان لم يصلوا ولم يزكوا ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام » وهؤلاء يقولون من قال : لا إله الا الله فقد عصم دمه وماله وان لم يصل ولم يزك كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، فهذا كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا اجماع الصحابة على قتال من ترك الصلاة أو منع الزكاة ، قال صديق الامة أبو بكر رضي الله عنه : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ وفي رواية عناقا لقاتلتهم على منعها ، وهذا اجماع العلماء . قال في شرح الاقناع : اجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الاسلام ، فانه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة كالمحاربين وأولى انتهى. قال أبو العباس رحمه الله تعالى : القتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى

لا تكون فتنة ، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأي طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام او الحج أو عن التزام تحريم الدماء والاموال والخمر والزنا والميسر أو نكاح ذوات المحارم أو من التزام جهاد الكفار او ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجباب الدين أو محرماته التي لا عذر لاحد في جحودها او تركها التي لا يكفر الواحد بجحودها ، فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها ؟ وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء ، وانما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة اذا اصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر والاذان والاقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا ؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها انتهى .

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحه بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة كالصلوات الخمس أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو ترك المحرمات كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فانه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الاسلام وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائع الاسلام ، وان ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم ، فأين هذا من قولكم ان من قال لا اله الا الله فقد عصم ماله ودمه وان ترك الفرائض وارتكب المحرمات ؟ بل من تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، عرف ان قولكم هذا مضاد لما فعله النبي ﷺ وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده ، فياسبحان الله ! ما علمتم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وهم يقولون لا اله الاالله ، وسبى نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم ، أما علمتم

أن رسول الله ﷺ أراد أن يغزو بني المصطلق عند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) اما علمتم ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه حرق الغالية مع انهم يقولون لا اله الا الله ، اما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم ﷺ ، مع أنه ﷺ اخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم ، وقال: « اينما لقيتموهم فاقتلوهم » اما علمتم ان الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ، اما علمتم ان الصحابة قاتلوا بني يربوع لما منعوا الزكاة مع انهم مقرون بوجوبها ، وكانوا قد جمعوا صدقاتهم وارادوا أن يبعثوا بها الى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة ، وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لعمر رضي الله عنه حتى جلاها الصديق أبو بكر ، وقال : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها ، فقال عمر : فوالله ما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق وقد تقدم ذلك مبسوطاً ، وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة اما علمتم ان رسول الله ﷺ بعث البراء الى رجل تزوج امرأة ابيه كما رواه الترمذي في سننه حيث قال : باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه ، حدثنا أبو سعيد الاشبح أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء رضي الله عنه قال : مر بي خالي أبو بردة ومعه لواء ، فقلت الى أين تريد ؟ فقال : بعثني رسول الله ﷺ الى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه حديث حسن غريب ، انتهى .

ولو تتبعنا الآيات والاحاديث والآثار وكلام العلماء في قتل من قال

لا اله الا الله وترك بعض حقوقها لطال الكلام جداً فكيف بمن ترك الاسلام كله ؟ وكذب به واستهزأ على محمد الا انهم يقولون لا اله الا الله كهزلاء البوادي وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الانصاف ، فقد ذكرنا الادلة من كلام الله وكلام رسوله واجماع الصحابة واجماع أهل العلم بعدهم فان كان هذا الذي ذكرنا له معنى آخر ما فهمناه يبنود لنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء ، ورحم الله امرءاً نظر لنفسه وعرف انه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار .

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة البناء على القبور فنقول ثبت في الصيح والسنن عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه كما رواه مسلم في صحيحه ، حيث قال : حدثنا يحيي حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ابن ابي ثابت عن إبي ليلى عن ابي الهياج الاسدي قال : قال ، لي علي الا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفا الاسويته ، حدثنا أبو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ « ان يجصص القبر وان يبني عليه وان يكتب عليه ، وقال أيضاً حدثنا هارون الايلي قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمر بن الحارث ان ثمامة بن شفي حدثه قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فامر فضالة بقبره يسوّى ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها » وقال الترمذي : باب ما جاء في تسوية القبور ، حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي ثابت عن أبي وائل ان عليا رضي الله عنه قال لابي الهياج الاسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لاتدع

تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته قال وفي الباب عن جابر ، وقال ابن ماجة : باب ماجاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها ، حدثنا ازهر بن مروان قال حدثنا عبد الرزاق عن ايوب عن ابي الزبير عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبور ، حدثنا عبد الله ابن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ ان يكتب على القبر شيء . حدثنا محمد بن يحيي حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم ابن مخيمره عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نهى ان يبني على القبر قال النووي رحمه الله في شرح مسلم قال الشافعي في الام رأيت الائمة في مكة يأمرون بهدم ما يبني ، ويؤيد الهدم قوله ولا قبراً مشرفا الا سويته ، وقال الاذرعي رحمه الله تعالى في قوت المحتاج ثبت في صحيح مسلم النهي عن التجصيص والبناء ، وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة ، قال القاضي : ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها ، والوصية عليها باطلة ، قال الاذرعي ولا يبعد الجزم بالتحريم في ملكه وغيره من غير حاجة على من علم النهي بل هو القياس الحق ؛ والوجه في البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار ، والتحريم يثبت بدون ذلك ، وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الابنية العظيمة وانفاق الاموال الكثيرة عليه فلا ريب في تحريمه ، والعجب كل العجب ! ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر ويعمل الوصية بذلك انتهى كلام الاذرعي رحمه الله ، ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرهما ، وجد احدهما مضاداً للآخر مناقضا له لايجتمعان ابدا ، فنهى رسول الله ﷺ عن

البناء على القبور كما تقدم ذكره ، وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة ، والذي رأيته في المعلاة اكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله ﷺ ان يزاد عليها غير ترابها ، وانتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذي عليه لباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالاحجار والجص ، وقد روي ابوداود من حديث جابر أن رسول الله ﷺ نهى ان يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه ، ونهى رسول الله ﷺ عن الكتابة عليها كما تقدم من صحيح مسلم ، وقال أبو عيسى الترمذي ، باب ما جاء في التجصيص والكتابة عليها ، حدثنا عبدالرحمن بن الاسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ « ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبني عليها وان توطأ » هذا حديث حسن صحيح ، وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والاشعار ، وقال ابو داود : باب البناء على القبر حدثنا احمد ابن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال اخبرني ابن جريج قال حدثني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول : سمعت النبي ﷺ نهى أن يقعد على القبر وان يجصص وان يبني عليه ، انتهى . ولعن رسول الله ﷺ من اسرجها ، والذي رأيته ليلة دخولنا مكة شرفها الله تعالي في المقبرة اكثر من مائة قنديل ، هذا مع علمكم أن رسول الله ﷺ لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس ان رسول الله ﷺ « لعن زوّرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن ، وأعظم من هذا كله واشد تحريما الشرك الذي يفعل عندها هو ودعوة القبور وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكن تقولون لنا ان هذا لا يفعل عندها وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها ونقول اللهم اجعل ماذكروا حقاً وصدقاً ونسأل الله ان يطهر حرمه من الشرك .

ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد انه من الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه في المسألة الاولى ، وقد قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احداً) وقال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وقال تعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) الاية . وقال تعالى (له دعوة الحق) الى آخره ، وقد روى الترمذي عن انس ان النبي ﷺ قال : « الدعاء مخ العبادة » وعن النعمان ابن بشير قال قال رسول ﷺ « الدعاء هوالعبادة » ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه احمد وأبو داود الترمذي ، قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث الدعاء مخ العبادة قال شيخنا في النهاية مخ الشيء خالصه وانما كان مخها لامرين احدهما : انه امتثالا لامر الله تعالى حيث قال (أدعوني استجب لكم) فهو محض العبادة ، وخالصها ، والثاني : اذا رأى نجاح الامور من الله تعالى قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا هو أصل العبادة ولان الغرض من الثواب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء ، وقوله الدعاء هو العبادة ، قال شيخنا قال الطيالسي اتى بالخبر المعرف باللام ايدل على الحصر وان العبادة ليست غير الدعاء وقال شيخنا قال البيضاوي : لما حكم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية التى تستأهل ان تسمي عبادة من حيث ان فاعلها مقبل على الله معرض عمن سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا منه واستدل عليه بالآية يعني قوله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، فانها تدل على أمر مأمور به اذا اتي

به المكلف قبل منه لا محالة وترتب منه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والسبب على المسبب ، وما كان كذلك كان اتم العبادة وا كملها ، انتهى كلام العلقمي رحمه الله تعالى .

وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث فان وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب وإن زعمتم ان الحق خلافه فاجيبونا بعلم بالكتاب والسنة فانهما بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وقد ذكرنا لكم الادلة من الكتاب والسنة وكلام الائمة فاذا اجبتم على هذه المسائل الثلاث اجبناكم عن بقية المسائل انشاء الله تعالى ، ولنختم الكلام بقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) والحمد لله أولا وآخراً كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وأما قوله : وسلط عليهم ابراهيم باشا المصري فكاد يفنيهم ويقطع دابرهم لكن لله ارادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد ، فالجواب أن يقال : نعم قد ابتلى الله المسلمين بهذه الطائفة المصرية لما لله في ذلك من الحكمة ومن ذلك قوله تعالى (الم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال تعالى (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا

الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) والآيات في هذا المعنى كثيرة وأما تسلط أعداء الله ورسوله على المسلمين فلاسباب أحدها : ماتقدم بيانه والثاني ماذكره شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى مقاماته فقال رحمه الله تعالى : وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم المسلمين لما ردوا حاج الشامي عن الحج بسبب أمور كانوا يفعلونها فى المشاعر، فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة ، فما حصل ذلك فردهم سعود رحمه الله تعالى تدينا ، فغضبت تلك الدولة التركية وجري عندهم أمور يطول عدها ولا فائدة في ذكرها فأمروا محمد علي صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل ما يقدر عليه من القوة والكيد ، فبلغ سعودا ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم وأمره أن ينزل دون المدينة ؛ فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايفي وأهل بيشه وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجديدة . فاختار عبد الله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم وذلك أن العسكر المصري فى ينبع فاجتمع المسلمين فى بلد حرب وحفروا في مضيق الوادي خندقا وعبأوا الجموع فصار في الخندق من المسلمين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز فى الجبل فوق الخندق . فحين نزل العسكر ارزت خيولهم وعلموا أنه لا طريق لها الى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين ان رفعوها مرت ولا ضرت وان خفضوها اندفنت في التراب فهذه عبرة وذلك من أعظم ما معهم من الكيد ابطله الله فى الحال ثم مشوا على عثمان ومن معه فى الجبل فتركهم حتي قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم ؛ فما اخطأ لهم بندق . فقتلوا العسكر قتلا ذريعا ؛ وهذه أيضا من العبر لان العسكر الذي جاءهم أكثر منهم باضعاف ؛ ومع كل واحد من الفرود

والمزندات فما أصابوا رجلا من المسلمين ؛ وصار القتل فيهم . وهذه أيضا عبرة عظيمة ؛ هذا كله وأنا شاهده . ثم مالوا الى الجنب الايمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل من كان على الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان الا ما كان من حرب فلم يحضروا فاشتد على المسلمين لما صاروا في اعلى الجبل فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم فحمى الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من غد فاستنصر اهل الاسلام ربهم الناصر لمن ينصره ، فلما قرب الزوال من اليوم الثاني ، نظرت فاذا برجلين قد اتيا فصعدا طرف ذلك الجبل فما سمعنا لهم بندقاً ثارت الا ان الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذي جاؤا معه ، فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ، ونحن ننظر الى تلك الخيول قد حارت وخارت ، وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم بعض الرجال فولت تلك الخيول مدبرة ، وتبعتهم خيول المسلمين في اثرهم وليس معهم زاد ولا مزاد ، فانظر الى هذا النصر العظيم من الاله الحق رب العباد لان الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين ، فهذه ثلاث عبر لكن اين من يعتبر ؟ فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين ، ثم بعد ذلك سار طرسون كبير ذلك العسكر الذي هزمه الله فقصد المدينة فوراً ، وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين ان ينهضوا لقتالهم فوجدوهم قد هجموا على المدينة ودخلوها واخرجوا من كان بها من أهل نجد وعسير ، فحج المسلمون تلك السنة فاقبل ذلك العسكر ونزل رابغ ، ونزل المسلمون وادي فاطمة ، فخان لهم شريف مكة وضمهم اليه ، وجاؤا مع الحبث على غفلة من المسلمين ، فعلم المسلمون انه لا مقام لهم مع ما جرى من الخيانة

فرجعوا الى اوطانهم فخاف عثمان وهو بالطائف ان يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه ، لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج بأهله وترك لهم الطائف مخافة ان يجتمعوا على حربه وليس معه الا القليل من عشيرته ولا يأمن اهل الطائف ايضاً فنزل المسلمون بتربة بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا ما معهم من الزاد فجري بعد ذاك وقعات بينهم وبين المسلمين لافائدة في الاطالة بذكرها والمقصود ان استيلاءهم على المدينة ومكة والطائف كان باسباب قدرها الملك الغلاب .

فيريك عزته ويبدي لطفـه   والعبد في الغفلات عن ذا الشان

وفيها من العبر أن الله أبطل كيد العدو وحمى الحوزه . وعافى المسلمين من شرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المـدينة ومكة في نحو من ثلاث سنين أو اربع ، فتوفى الله سعود رحمه الله وهم غزاة على من كان معيناً لهذا العسكر من البوادى ، فأخذوا وغنموا فبقي لهم من الولاية ما كانوا عليه اولا، الا ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز ، وبعد وفاة سعود تجهزوا للجهاد على اختلاف كان من أولئك الاولاد ، فصار المسلمون جانبين جانباً مع عبد الله وجانباً مع فيصل اخيه ، فنزل الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربة باختيار وامر من أخيه له فوافق ان محمد علي حج تلك السنة فواجه فيصل ، هناك فطلب منه يصالحه على الحرمين فأبى فيصل وغلظ له الجواب وفيما قال :

لا اصلح الله منا من يصالحكم   حتى يصالح ذئب المعز راعيها

فأخذت محمد علي العـزة والانفة فسار الى بسل ، الظاهر انه كان حريصاً على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسل وقد استعد لحربهم خوفا ممـا جرى منهم فأقبلوا وهم في منازلهم ، فسارت عليهم العساكر والخيـول

فولوا مدبرين لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك الدول والخيول حتى وقفوا على التلول فسلم أكثر المسلمين من شرهم واستشهد منهم القليل ، ولابد في القتال من أن ينال المسلم أو ينال منه ، قال الله تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآيات ، وقال تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) الى قوله (والله يحب الصابرين) الآيات ، وقد قال هرقل لابي سفيان : فما الحرب بينكم وبينه ؟ قال سجال ينال منا وننال منه ، فهذه سنة الله في العباد وزيادة للمؤمنين في الثواب ، وتغليظ على الكافرين في العقاب ، وأما عبد الله فرجع بمن معه فلم يلق كيداً دون المدينة ، فتفكر في حماية الله لهذه الطائفة مع كثرة من عاداهم وناوأهم ومع كثرة من أعان عليهم ممن ارتاب في هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه ، فما أكثر هؤلاء ! لكن الله قهرهم بالاسلام ، ففي هذا المقام عبرة ، وهو ان الله اعزهم وحفظهم من شر من عاداهم ، فلله الحمد والمنة ، وبعد ذلك رجع محمد علي الى مصر ، وبعث الشريف غالب الى اسطنبول وأمر ابنه طوسون ان ينزل الحناكيه دون المدينة ، وأمر العطاس انه يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة واراد الله ان اهل الرس يخافون لانهم صاروا في طرف العسكر واستلحقوا لهم نفراً قليلا من المغاربة ، وطوسون على الحناكيه ، وصار في أولاد سعود نوع من العجلة في الامور ، فأمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصنوا بمن عندهم ، فأوجبت تلك العجلة ان استفزعوا اهل الرس أهل الحناكيه ، ولما جاء الخبر بأقبالهم نصرة لاهل الرس ارتحل المسلمون يلتمسون من أعانهم من حرب ما بينهم وبين المدينة فصادفوا خزنة العسكر فقتلوهم وأخذوا ما معهم ، فهذا مما يسره الله لهم من النصر من غير تعمد ولا دراية ، فرجع المسلمون الى عنيزة والعسكر نزلوا الشبيبية

قريباً منهم ، وييسر الله للمسلمين سبباً آخر وذلك من توفيق الله ونصره وجهزوا جيشاً وخيــلا فأغاروا على جانب العسكر فخرجوا عليهم فهزمهم الله وقتل المسلمون فيهم قتــلا كثيراً ، فألقى الله الرعب في قلوبهم على كثرة من أعانهم وقوة أسبابهم ، وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى الرس فتبعهم المسلمون ونزلوا الحجناوي خوفاً من هجوم المسلمين عليهم فقدم المطاس على الامر الذى عمده عليه محمد علي فوجد الحال قد تغير تصدهم ابتداء فمنعوه مما جاء له ثم أنهم سعوا في الصلح والمسلمون على الحجناوي ، وكل يوم يجري بين الخيل طراد فمل بعض المسلمين من الاقامة فلم يبق منهم الا شرذمة قليلة ، فجاء منهم أناس يطلبون الصلح فأصلحهم عبد الله رحمه الله تعــالى وطلبوا منه ان يبعث معهم رجلا من أهل بيته خوفاً ان يعرض لهم أحــد من المسلمين في طريقهم ، فمشى معهم محمد بن حسن بن مشاري الى المدينة والقصود ان الله سبحانه اذلهم وألقى الرعب في قلوبهم وحفظ المسلمين من شرهم بل غنمهم ممــا بأيديهم من حيث بذلهم المــال في شراء الهجن ، فاشتروا من المسلمين الذلول بضعفى ثمنهــا ، وهذا كله مما يفيد صحة هــذا الدين وانه الذي يحبه الله ويرضاه وهو الذي يسر أسباب نصر من تمسك به وخــذلان من ناوأهم وعاداهم في هذا الدين ، فتفكر يا من له قلب ، ولولا ما صار في أهل هذا الدين من مخالفة المشروع في بعض الاحوال لصار النصر أعظم مما جرى لكن الله تعالى عفى عن الكثير وحمى دينه عمن أراد اطفاءه ، فلله الحمد لا نحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه خلقه ، فتدبر هــذه الوقائع وما فيها من الدلالات الظاهرة على صدق هذه الدعوة الى التوحيد والتجريد وانكار الشرك والتنديد والاهتمام باقامة حقوق هم

باشا في بيته ولاذ بل منهم شيئاً وامر باشا حسين بك الذي محمد علي قبل هذا

الله تعالى ورسوله والنهي عما حرمه الله ورسوله من الشرك والبدع والفساد الذي وقع في آخر هذه الامة لكن خفي على أهل الشقاق والعناد ، فلو ساعد القدر وتم هذا الصلح لكان الحال غير الحال، لكن ما أراده الله تعالى وقع على كل حال ، لكن جرى من عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى ما أوجب نقض ذلك الصلح ، وهو انه بعث عبد الله بن كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها ان يكونوا في طرفه وفي امره فبعثوا بها الى محمد علي فلم يرض بذلك وقال انهم من جملة ما وقع عليهم الصلح ، فهـذا هو سبب النقض وانشأ عسكرا مع ابراهيم باشا ونزل الحناكية ودار الرأي عند عبد الله بن سعود وأهل الرأي يقولون اضبط ديرتك واحتسب بالرهبة كذلك اهل البلدان واتركوه على هيئته ، فان مشى تبين لكم الرأي وربما ان الله يوفقكم لرأي يصير سبب كسره ، وجاء حباب وغصاب يريدان ان يخلوا بعبد الله في السفر وملازمته في مجلسه ومأكله ومشربه ونومه ويقظته فادركاه على الخروج بالمسلمين والعربان فوصلوا الماويه وفيها عسكر فضربوهم بالريز في المدفع ووقع هزيمة وقى الله شرها وغدا فيها قليل من المسلمين وبعدها جسر ابراهيم باشا على القدوم فنزل القصيم وحربهم قدر شهرين وايدهم الله بالنصر لما كانوا مستقيمين صابرين ، وعزم على الرجوع عنهم لكن قوى عزمه فيصل الدويش وطمعه وخوفه وبعد هذا صالحوه أهل الرس وعبد الله بمن معه على غيره ، واقفى لبلده واشار عليه مبارك

، أنه يجيء بثلاثة آلاف من الابل عند ابن جلتهم ويجعل عليها الاشدة
ان استفزعوا اسـ ما كان له ولا يخلي في الدرعية له طارفة ويصعد مع عربان
الرس ارتحـل المسلم من كان له مروة من بدوي أو حضري راح معه كذلك
فصادفوا خزنة العسـ . القدر لم يظفر به عدوه وتبرأ منهم من اعانهم بالزحل من
النصر من غير تعمد ر

مطير وغيرهم ولله فيما جرى حكمة قد ظهر بعضها لمن تدبر وتفكر ، وهذا الرأى اسلم له ، والذي يريد القعود ويكون ظهره على السعة ويذكر له انك يا عبد الله اذا صرت كذلك صار لك في العسكر مكائد منها قطع سابلة ما بينه وبين المدينة ، وهذا رأي سديد ولكن لم يرد الله قبوله لان الاقدار غالبة ، ولو قدر هذا لكان ، فنزل الدرعية واخذ قدر ثمانية اشهر متحصنين عنه وهو يضربهم بالقنابر والقبوس فوقى الله شره وراد الله بعد ذلك انه يرحمهم مع اماكن خالية ما فيها أحد ، لان البلد مطاول وليس فيها سور ينفع ، والمقاتلة قليل وانتهى الامر الى الصلح فاعطاهم العهد والميثاق على مافي البلد من رجل أو مال حتى الثمرة التي على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه لكن الله تعالى وقى شره عن اناس معه عليهم حنانة بسبب اناس من أهل نجد يكثرون فيهم عنده فكف الله يده ويد العسكر ، وغدروا بسليمان بن عبد الله وآل سويلم وبن كثير عبد الله بسبب البغدادي الخبيث حداه عليهم فاختار الله لهم ، وبعد هذا شتتت أهل البلد عنها وقطع النخيل وهدم المساكن الا القليل وانتقل للرجوع بعسكره وروح من روح لمصر بعد روحة عبد الله بن سعود رحمه الله تبعه عياله واخوانه وكبار آل شيخ وبعد ذلك حج فسلط الله على عسكره الفناء ولاوصل مصر الا بالقليل ، فلما وصل مصر حل بهم عقوبات أهل الاسلام ، فمشى على السودان ولا اظفره الله فرجع مريضاً ثم ان محمد علي بعث ابنه اسماعيل وتمكن منهم بصلح فلما رأوا منه الخيانة باخذ عبيد وجوار احرقوه بالنار فى بيته ومن معه من العسكر ، ثم بعده روح لهم دفتردار ولاذبل منهم شيئاً وأما عساكر الحجاز التي وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسين بك الذي صار في مكة وعابدين بك الذي صار في اليمن فسيرهم محمد علي قبل هذا

لحرب لموره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حربهم فامده بهذين العسكرين فهلكوا عن اخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك ان موره وجريد فى الاصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر المصرية في حربهم ما يحصي وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ماجرى منهم على أهل الاسلام حتي العرناووط في جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة موره وجريد وبعد هذا اشتد الامر على السلطان وبعث يستنصر محمد علي فبعث لهم عسكراً كبيرهم قار علي فهلكوا في البحر قبل أن يصلوا ، ثم ان السلطان بعث نجيب افندي لمحمد علي يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث اليه يعتذر بالمرض ، وان ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث حسين بيه ، الذى سبأ أهل نجد وقتل منهم البعض في ثرمدا وفزع للسلطان قبل روحة ابراهيم باشا بعسكره الذي كان معه في نجد وتبعه ابراهيم باشا يمده ونزلوا موره لحرب أهلها فاذلهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلا عظيما .

فاما عسكر حسين بيه فلا قدم مصر منه الا صبي ، أما ابراهيم باشا فاشتري نفسه منهم بالاموال ، فانظر الى هذه العقوبة العاجلة التي اوقعها الله على الامر والمأمور واكثر الناس لا يدرى بهذه الامور ، فهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لاهل هذا الدين ان الله لما سلط عليهم عدوهم ونال منهم مانال صار العاقبة السلامة والعافية لمن ثبت على دينه واستقام على دين الاسلام ، ثم ان الله تعالى اوقع بعدوهم ما ذكرنا واعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل الاختصار لقصد الاعتبار فاعتبروا يا أولي الابصار ، ثم ان الله اجرى على من اعانهم من اهل نجد ممن شك منهم فى هذا الدين وكثر الطعن على المسلمين ان الله تعالى افناهم وهذه ايضا من العبر لم يبق احد ممن ظهر شره وانكاره وعداوته للمسلمين

الا وعوجل بالهلاك والذهاب ، ولا فائدة في الاطالة بعدهم ومن سأ انا أخبرناه عنهم باعيانهم ، واما ظهور خالد واسماعيل فانهم لما جاء الخبر بانهم وصلوا المدينة وخرجوا منها استشار فيصل رحمه الله في الغزو او الاقامة فاشرت بان يخرج بالمسلمين ويكون في البطينيات من الدجاني الى مادونه وينزل قريبا من العربان لان اكثر رعيتهم من الدهنا ويؤلف كبارهم بالزاد وينقل الحب من سدير والوشم وزاد الحسا والقطيف من تمر وعيش ويقرب منه كبار العربان بالزاد كذلك من معه من المسلمين ويصير له رجاجيل في القصيم عند من ثبت وينتظر ، فلو ساعد القدر وتم هذا الراى لم يقدر العسكر ان يتعدي القصيم للوشم والعارض وخافوا من قطع سابلتهم ولا لهم قدرة على حرب فيصل وهو في ذلك المكان فلو قدرنا ان يصير بعتر عسكرهم يبون يقصدونه هلكوا في الدهنا والصمان اذا ماج عن وجوههم يوم او يومين ، فلو قدر ان يفعل هذا الراى لما ظفروا به ولا وصلوا الى بلده لاسباب معروفة لكن لما اراد الله خيانة اهل الرياض في الامام فيصل وهم معه في الصريف قدم الرياض وخلاها لهم خوفا منهم ، فمشوا على الفرع هم والذين معهم من البادية والحاضرة وصار هلاكهم ان هجموا على الحلوة على غفله واخلا اهل الحلوة البلد لهم واراد الله ان تركي الهزاني وبعض اهل الحوطة يفزعون وكسر الله تلك العساكر العظيمة مابين قتل وهلاك وصاروا يتبعونهم موتي تحت الشجر ياخذون السلاح والمال والذي فزع عليهم مايجي عشيرهم ، فصارت آية عظيمة ورجع اقلهم الى الرياض وساعدهم من ساعدهم والله حسبهم وتصلبوا معهم الى أن جاءهم خرشد فزاع ونزل فيصل الدلم واشير عليه انه ما يعقد فيه ويتحصن بمن معه من المسلمين في بعض الشعبان التي بين الحوطة ونعام ويجعل ثقلته وراه ، فان حصل منهم ممشا جاهدهم بأهل القرايا ولا أراد الله أنه يفعل فلما تمكنوا من فيصل وأخذوه أرسلوه إلى

مصر صار عسكرهم في ذهاب وعذاب وفساد، فاوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد علي ورد الله الكرة لاهل نجد فرجعوا كما كانوا أولاً على ما كانوا عليه قبل حرب هالدولة ، كما قال تعالى في بني اسرائيل (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنا كم بأموال وبنين وجعلنا كم اكثر نفيرا . ان أحسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) نسأل الله ان يمن بالاحسان وينفي عنا أسباب التغيير انه ولينا وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم وأوقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم وأسباب كيدهم ، ثم ان الله تعالى اهلك تلك الدول بما اجرى عليهم من حرب النصاري في بلاد الروم فكل دولة مشت على نجد او الحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف وكانوا لا يحصى عددهم إلا الله فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة والظهور لمن جاهدهم في الله من الموحدين ، فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال ، فلا يشك في هذا الدين بعد ما جرى مما ذكرناه الا من اعمى الله بصيرته وجعل على قلوبهم اكنة عن فهم أدلة الكتاب والسنة ولم يعتبروا بما جرى لهذا الدين من ابتدائه الى يومنا هذا وكل من ذكرنا من الدول والبادي والحاضر رام اطفاءه وكلما ارادوا اطفاءه استضاءت انواره وعز انصاره فهذا ما جرى على الدول الذي زعم ابن منصور ان شيخنا جرها على اهل نجد وما جرى بسبب تلك الدول من ظهور هذا الدين والعز والتمكين وذهاب من ناواهم من هذه الدول وغيرها فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه وهو المرجو ان يوزعنا شكر ما انعم به علينا من هذا الدين الذي رضيه لعباده وخص به المؤمنين ، ومن عجيب ما اتفق لاهل

هذه الدعوة ان محمد بن سعود عفى الله عنه لما وفقه الله لقبول هذا الدين ابتدأ بعد تخلف الاسباب وعدم الناصر شمر في نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب او بعيد ، حتي ان بعض اناس ممن له قرابة به عذله عن هذا المقام الذي شمر اليه فلم يلتفت الى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب بل جد في نصرة هـذا الدين فملكه الله تعالى في حيـاته كل قرى من عاداه من اهل القرى ، ثم بعد وفاته صار الامر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين يجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لاشك فيه ولا التباس ، فصار الامر في ذريته لا ينازعهم فيه منازع ، ولا يدافعهم عنه عنه مدافع واعطاهم الله القبول والمهابة ، وجمع الله عليهم من اهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على امام واحد الا بهذا الدين وظهرت آثار الاسـلام في كثير من الاقاليم النجدية وغيرها مما تقـدم ذكره واصلح الله بهم ما افسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفئوه فأبى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور كما تقدمت الاشارة الى ذلك ، نسأل الله ان يديم ذلك وان يجعلهم أئمة هدى وان يوفقهم لما وفق له الخلفاء الراشدين الذين لهم التقدم في نصرة هذا الدين وعلينا وعلى المسلمين ندعو لمن ولاه الله أمرنا من هذه الذرية ان يصرف عنا وعنهم كل محنـة وبلية ، واحيى الله بهم ما درس من الشريعة المحمدية ، واصلح لهم القـلوب وغفر لنا ولهم الذنوب ، اللهم اغفر لنا ولهم لنتوب وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين .

وأما قوله : لكن لله ارادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد .

فأقول : نعم ان لله في ذلك ارادة وحكمة في بقاء جرثومة هذه الطائفة التي اختصها الله باظهار دينه واعلاء كلمته واتباع رسوله فيما أمر به ونهى عنه ،

وتقديم قوله على قول كل واحد كائناً من كان ، وتجديد ما اندرس من معالم الدين بعد أفول شموسه ونسيان آياته ، فلما ابتلاهم الله بهذه الدول المصرية بسبب ما اقترفوه من الذنوب ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، جعل لهم العاقبة وجمع شملهم بعد تشتتهم ، ولم شعثهم ، فكان لهم ولله الحمد وله المنة حوزة واجتماع على دين الله ورسوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة جمعة وجماعة ، ويجاهدون في سبيل الله فهم المتحققون بقول لا اله الا الله والمعتصمون بها لانها هي كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وقد أصبح اهل جزيرة العرب بدعوتهم اليها والى العمل بمقتضاها والجهاد على ذلك متمسكين بجذر عراها ، كما قال قتادة رحمه الله عن حال أول هذه الامة ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم ، وضاق بها ابليس وجنوده ، فأبى الله الا ان يمضيها ويظهرها ويفلجها وينصرها على من ناواها ، انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر انما يعرفها اهل هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ، ويسير الدهر في فئام من الناس لايعرفونها ولا يقرون بها ، فأهل نجد ولله الحمد هم المتمسكون بها وغيرهم من سائر اهل الاقطار والامصار الا من شاء الله انما يقولونها بأفواههم ويخالفونها بأهوائهم ، فيقولون لا اله الا الله وهم يدعون غير الله بأصوات عالية مجتمعة وقلوب محترقة خاشعة (عبد القادر ياجيلان ياذا الفضل والاحسان صرت في خطب شديد من احسانك لا تنسان) . وقولهم :

يا رفاعي انى انا المحسوب انا المنسوب
رفاعي لاتضيعني انا المحسوب انا المنسوب

وقول الآخر :

يا عيدروس شيء لله يامحي النفوس ، ويقول بلهجة قلب واحتراق كثير من

ياهل الشرك والابلاس ، وذوي الفقر والافلاس ، اليوم على الله وعليك ابن عباس ، ويسألونه الحاجات ويسترزقون ، (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) . وقد ذكر الامام حسين ابن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله : ان امرأة كف بصرها ، فنادت وليها أما الله فقد صنع ما ترى ، ولم يبق الا حسبك ، انتهى . واجتمع جماعة من الموحدين من اهل الاسلام في بيت رجل من اهل مصر ، وبقربه رجل يدعي العلم ، فأرسل اليه صاحب البيت فسأله بسمع من الحاضرين ، فقال له كم يتصرف في الكون ؟ قال يا سيدي سبعة قال منهم قال فلان وفلان وعدله اربعة من المعبودين بمصر ، فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين : انما بعثت لهذا الرجل وسألته لاعرفكم قدر ما انتم فيه من نعمة الاسلام او كلاما نحو هذا الى غير هذا مما هو معلوم مشهور مما لايشك فيه شاك ، انه من صريح الاشراك الذي يأباه الدين الحنيفي ، ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية ، فأي ملة صان الله ملة الاسلام لا تمانع ولا تدافع هذه الكفريات ، فهذا ونحوه وأعظم منه مما لم نذكره من كفريات هؤلاء الملاحدة الذين يزعم هذا الملحد انهم المسلمون وهذا نموذج من دياناتهم واعتقاداتهم يطلعك على قناطير مقنطرة من كفرياتهم التي خرجوا بها من ربقة الاسلام .

وأما الوهابية فهم يعلمون ويعتقدون ان الاله هو الذى تألهه القلوب محبة واجلالا وتعظيما وخوفاً ورجاء وتوكلا واستغاثة واستعانة واستعاذة ورغبة ورهبة وانابة وذلا وخضوعاً وخشوعاً وذبحاً ونذراً الى غير ذلك من هذه العبادات التي من صرفها لغير لله كان مشركاً بالله الشرك الاكبر الذي من أتى به فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . فالوهابية يعلمون ويعتقدون أن هذه العبادات

محض حق الله ، لا يصلح منها شيء لغير الله ، فيدعون الله وحده لا شريك له ولا يدعون معه أحداً سواه ، ويستغيثون به ولا يستغيثون بغيره ، ويتوكلون عليه لا على غيره ، ويستغيثون به ويستعيذون به لا بغيره ، ولا يخافون الا الله ولا يرجون الا اياه ولا يخضعون ولا يخشعون الا له ، ولا يذبحون ولا ينذرون الا له ولا ينيبون ويتوبون الا اليه ، فهم المتحققون بقول لا اله الا الله ، المخلصون له في جميع عباداتهم لا يشركون به أحداً من المخلوقات لا ملكا مقرباً ولا نبيا مرسلا فضلا عن غيرهما ، فبقاء جرثومة هذه الطائفة الوهابية مما حفظ الله به الاسلام ، يجددون ما اندرس من أعلامه العظام ويظهرون دين الله ورسوله بين الانام ، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته ، وتقوم بهم حجة الله على خلقه ، وقد قال ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم كذلك » .

وأما قوله : وقد تصدى لتحرير مذهبهم وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز منهم السيد احمد بن زيني الملقب بدحلان الى آخر كلامه .

فالجواب ان نقول : لم يكن هؤلاء الملاحدة اعداء الله ورسوله يعرفون من دين الله ورسوله الا ما عرفه جهال الكفار من الاقرار بتوحيد الربوبية فقط ، وهو الاقرار بأن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وانه لا يرزق الا هو ولا يحيي ولا يميت الا هو ، ولا يدبر الامر الا هو وان جميع السموات السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

وأما توحيد الالوهية الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون وقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدين كله لله وان يخلصوا العبادة لله وحده كما

قال تعالى : (وان المساجد لله ، فلا تدعو مع الله احـدا) وكما قال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء) فهم لايعرفونه واذا كان ذلك كذلك فكيف يحررون مذهب اهل الملة الحنيفية او يقررون ذلك بالادلة الواضحة السنية ولن يجدوا الى ذلك سبيلا ولا على تحرير ما نقلوه مما لفقوه من مقولاتهم دليلا وليس عندهم والله إلا الاكاذيب المخترعة الموضوعة والترهات المجترحة الباطلةالمصنوعة وأما الرد عليهم فنعم لكن بالباطل ليدحضوا به الحق وقد أجابهم على ذلك علماء اهل السنة والجماعة وبينوا ما في كلامهم من الاوضاع والاكاذيب وما في كلامهم من الكفر الذي لا يشك فيـه عاقل ولا يستريب فلله الحمد وله المنة ، وأما قوله : ومن اعجب ما رأيت انتساب اناس لهذا المذهب حماقة وجهلا ولو عرفوا حقيقته وأصوله لتبرؤا منه وقالوا كما نقول اسلام ووهابية لا يجتمعان .

فالجواب ان يقال : قد منا حقيقة مذهب الوهابيـة وبينا اصوله بالادلة الشرعية والبراهين العقلية وانهم كانوا على مثل ما كان عليـه رسول الله ﷺ واصحابه وما كان عليه التابعون والائمة المهتدون من بعدهم ، فمن انتسب اليهم فانما هو لاجل ما تحققه وعرفه من صحة ما هم عليـه من الدين القويم والصراط المستقيم المخالف لما عليه اصحاب الجحيم ، وانما الحماقة والجهل المركب المريض ما تدعو اليه وتنتحله من الكفر بالله والشرك به الذي هو أمرض من كل مريض ، فالعجب حينئذ غير عجيب ، والحماقة والجهـالة اقرب اليك من كل قريب ، لانك من هذا الدين وصحته في شك مريب ، وعلى معاداته ومعادلة اهله مجدا مجاهدا في التخريب عليهم والتأليب ، ومن عرف صحة هذا الدين كان حقيقيا أن يقول كما نقول اسلام ووهابية لا يفترقان :

رضيعا لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا يتفرق

بل اسلام وعباد القبور الوثنية لا يجتمعان الا كما يجتمع في قلب عبد مؤمن ان محمدا ﷺ صادق وان ابا جهل صادق .

والله لن يجتمعا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

فصل

قال الملحد : مؤسس هذا المذهب هو محمد بن عبد الوهاب التميمي من يمامة نجد ولد في سنة ١١١٥ هجرية ومات في سنة ١٢٠٦ كان أبوه عالما فاضلا ورعا وكان يتفرس في ابنه هذه الشقاوة الى آخر كلامه .

والجواب أن نقول : نعم كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مؤسس هذه الدعوة المحمدية والملة الابراهيمية ؛ وكان الناس قبل دعوته في جاهلية جهلاء لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه كما قد بينا ذلك فيما مضى مقررا موضحا لا يخفى ذلك الا على من اعمى الله بصيرة قلبه وقد اشتهرت دعوة الشيخ في جميع الاقطار والامصار ، واستجاب لها من شرح الله صدره للاسلام ، واقربها كما قال الشيخ الامام محمد بن احمد الحفظي اليمني رحمه الله تعالى في منظومته التي صنفها وبين فيها حقيقة ما دعي اليه الشيخ محمد رحمه الله فقال فيها :

احمده مهللا مسبحلا محوقلا محيعلا محسبلا

مصليا على الرسول الشارع وآله وصحبه والتابع

في البدء والختم وأما بعد فهذه منظومة تعد

حركني لنظمها الخير الذي قد جاءنا في آخر العصر القذي

لمـا دعا الداعي من المشارق ... بامر رب العالمـين الخالق
وبعث الله لنـا مجـددا ... من أرض نجد عالمـاً مجتهدا
شيخ الهـدى محمد المحمدي ... الحنبلي الاثري الاحمـدي
فقام والشرك الصريح قد سرى ... بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليـلا ... وطرق الاسـلام والسبيلا
إلا اساميـها وباقي الرسم ... والارض لا تخلو من أهل العلم
وكل حزب فلهم وليجـه ... يدعونه فى الضيق للتفريجه
وملة الاسلام والاحكام ... في غربة وأهلهـا أيتام
دعا الى الله وبالتهليـله ... يصرخ بين اظهر القبيلة
مستضعفا وماله منـاصر ... ولا له معـاون مؤازر
في ذلة وقـلة وفي يده ... مهفة تغنيه عن مهنده
كأنها ريح الصبا في الرعب ... والحق يعـلو بجنود الرب
قد اذكـرتني درة لعمر ... وضرب موسى بالعصى للحجر
ولم يزل يدعو الى دين النبي ... ليس الى نفس دعا أو مذهب
يعـلم الناس معاني اشهد ... ان لا اله غير فرد يعبد
محمـد نبيه وعبـده ... رسوله اليكمو وقصـده
ان تعبدوه وحده لا تشركوا ... شيئا به والابتداع فاتركوا
ومن دعا دون الاله احـدا ... اشرك بالله ولو محمـدا
ان قلتموا نعبدهمو للقربه ... أو للشفاعات فتلك الـكذبه
وربنـا يقول في كتابه ... هذا هو الشرك بلا تشابه
هذي معاني دعوة الشيخ لمن ... عاصره فاستكبروا عن السنن

فانقسم الناس فنهم شارد	مخاصم محـارب معاند
مابين خفـاش وبين جُعل	شاهت وجوه أهل هذا المثل
وبعد ما استجيب لله فمن	جادل في الله تردى وافتتن
ومن أجاب داعي الله ملك	ومن تولى معرضا فقد هلك

فى أبيات كثيرة لا نطيل ذكرها فهذا تأسيس دعوة الشيخ محمد رحمه الله لدين الاسلام كما ذكره العلماء الاعـلام ، وكان مشهوراً معلوما عند الخاص والعام لا ينكره إلا أشباه سائمة الانعام أو الناغة النوكاء الطغام ، وأما مولده رحمه الله تعالى فكان سنة خمس عشرة بعد المائة والالف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من أرض نجد ونشأبها وقرأ القرآن بها حتى حفظه واتقنه قبل بلوغه العشر ، وكان حاد الفهم سريع الادراك والحفظ يتعجب أهله من فطنته وذكائه ، وبعد حفظ القرآن اشتغل وجد في الطلب وأدرك بعض الارب قبل رحلته لطلب العلم ، وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في المجلس ، قال أخوه سليمان : كان والدة يتعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه ووالده هو مفتي تلك البلاد وجده مفتي البلاد النجدية آثاره وتصنيفه ،فتاواه تدل على علمه وفقهه ، وكان جده اليه المرجع في الفقه والفتوى ، وكان معاصراً للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب اجتمع به بمكة ، وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام ، قدّمه والده في الصلاة ورآه اهـلًا للائتمام ، ثم طلب الحج الى بيت الله الحرام فأجابه والده الى ذلك المقصد والمرام ، وبادر الى قضاء فريضة الاسلام واداء المناسك على التمام ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، وأقام بها قريباً من شهرين ثم رجع الى وطنـه قرير العين ، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الامام احمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم

وذاق حلاوة التحصيل والفهم ، وزاحم العلماء الكبار ، ورحل الى البصرة والحجاز مرارا ، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشائخ الاخيار وأتى الى الاحساء وهي اذ ذاك آهلة بالمشائخ والعلماء فسمع وناظر وبحث واستفاد ، وساعدته الاقدار الربانية بالتوفيق والامداد ، وروى عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني ، وأجازه من طريقين ، وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالاولية كتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من فى السماء » وسمع مسلسل الحنابلة بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قالوا : كيف يستعمله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته » وهذا الحديث من ثلاثيات احمد رحمه الله. وطالت اقامة الشيخ ورحلته بالبصرة ، وقرأ بها كثيراً من الحديث والفقه والعربية ، وكتب من الحديث والفقه واللغة ما شاء الله في تلك الاوقات وكان يدعو الى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ويستدل عليه ويظهر ماعنده من العلم وما لديه ، وكان يقول ان الدعوة كلها لله لايجوز صرف شيء منها لسواه ، وربما ذكروا بمجلسه اشارات الطواغيت أو شيئاً من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويلجأون اليهم فى المهمات فكان ينهي عن ذلك ويزجر ويورد الادلة من الكتاب والسنه ويحذر ويخبر ان محبة الاولياء والصالحين انما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ماجاء به سيد المرسلين ؛ وأما دعوى المحبة والمودة مع المخالفة في السنة والطريقة فهي دعوى مردودة غير مسلمة عند أهل النظر والحقيقة ، ولم يزل على ذلك رحمه الله ثم رجع الى وطنه ، فوجد والده قد انتقل

الى بلدة حريملا واستقر معه فيها يدعو الى السنة المحمدية ويبديها ويناصح من خرج عنها ويفشيها ، حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره ووضع له القبول وشهد له بالفضل ، ذووه من المعقول والمنقول وصنف كتابه المشهور في التوحيد ، واعلن بالدعوة الى الله العزيز الحميد . وقرأ عليه هذا الكتاب المفيد وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد ، وشاعت نسخه في البلاد وطار ذكره في الغور والانجاد وفاز بصحبته واستفاد من جرد القصد وسلم من الاشر والبغي والفساد ، وكثر بحمد الله محبوه وجنده ، وصار معه عصابة من فحول الرجال واهل السمت الحسن والكمال ، يسلكون معه على الطريق ويجاهدون كل فاسق وزنديق واذا ابوه عالماً فاضلاً ورعا ، وكان يتفرس فيه الشقاوة فلأي شيء لم يحجزه علمه وورعه عن تقديمه في الصلاة ، ورويته أهلاً للامامة والاستفادة منه ، فعلم إن هذا من الاكاذيب الموضوعة على الشيخ تنفيراً للناس عن الدخول في هذا الدين ، واذا كانت هذه صفته وكان والده يتفرس فيه ، فهذه الفراسة مع سائر العلماء الذين أخذ عنهم العلم ، فقول هذا المفتري مجرد ظلم وعدوان وتعمد للكذب والبهتان .

وأما قوله : وكان يميل الى مطالعة اخبار من ادّعوا النبوة ويكتم هذا الكفر في نفسه .

فالجواب: ان نقول مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الاّ كذبا ، فان هذا معلوم كذبه بالاضطرار ، لا يمتري فيه من له أدنى معرفة بمقادير الائمة الاخيار ، ومن طالع كتب الشيخ ومصنفاته ورسائله ، وتأمل حال نشأته ودعوته الى الله تبين له أن هذا من الكذب والافتراء ، وانه من وضع اعداء الله ورسوله ، الذين

يصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ، ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . ولو تأمل أعداء الله ورسوله مصنفات شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، وتكلموا بعلم وانصاف لوجدوا فيها ما يناقض ما لفقوه من الاكاذيب المفتريات وما موّهوا به من الزخارف والخرافات ولو زعمهم ذلك عن الوقوف في المحرمات ، فقد ذكر رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد ما رواه مسلم في صحيحه عن ثوبان ان رسول الله ﷺ قال : « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض ، واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة بعامة ، وان لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال : يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا» ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد «وانما أخاف على امتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيمة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من امتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، ثم قال رحمه الله بعد ذلك في مسائل هذا الباب الثامنة العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه انه من هذه الامة وان الرسول حق وان القرآن حق وفيه ان محمداً خاتم النبيين ،

ومع هذا يصدق في هــذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثير ، فهــل يقول بعد هذا البيان أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يميل الى مطالعة أخبار من ادعوا النبوة ويكتم هذا الفكر في نفسه ، كما قال ذلك امام كفرهم وضلالهم من استحوذه الشيطان وزجه في بحر الضــلالة والطغيان احمد بن زيني دحلان ، حيث زعم ان الشيخ محمدا كان يدعى النبوة في باطن الامر ويخفيه عن العامة ، فهل يقول هذا عالم يخاف الله ويتقيه ويخشى سطوته يوم يلاقيه ؟ وانما يخشى الله من عباده العلماء ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله : فلما مات أبوه في نحو سنة ١١٤٣ ابتدأ باظهار مذهبه حتى سنة ١١٥١ فأشهر امره وأظهر دعــوته وعقيدته في نجد وأطرافها الى آخر كلامه .

فأقول : قد قدمنا في بيان دعوة الشيخ الى دين الله ورسوله حقيقة ما كان عليه وما كان يعتقده ويدين الله به وانه كان على ما كان عليه السلف الصالح والصدر الاول فاغنى من اعادته هاهنا .

وأما قوله : وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ، ويسمي من يتبعه من غيرهم المهاجرين .

فالجواب أن يقال نسبة هذا الكلام الى الشيخ كذب ظاهر وفرية معلومة فان الشيخ لم يكن يسمى أهل بلده ولا من هاجر اليه بهذه التسمية على أن هذا لا يعاب به الشيخ لانه جار على قانون العلم وأصوله فلا غرو من هذا ولا بدع فان من نصر الله ورسوله ودينــه وشرعه حقيق ان يسمى بهذا الاسم وكذلك من هاجر الى الله ورسوله ، فان من ترك بلدا يظهر فيهــا الشرك أو

البدع أو الفرق وهجرها لذلك فهو مهاجر شاء الشيطان أم أبى ، وقد خرج من المدينة خلق لما حصر عثمان ووقعت الفتنة والفقهاء ذكروا وجوب الهجرة على من لم يقدر على اظهار دينه أو خاف الفتنة ، وقد سأل بعض الصحابة فقيل ابن انت أيام الفتنة ؟ يعني فتنة مقتل عثمان وما بعده فانشد :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير

وأما قوله : فلما مات قام بالدعوة ابنه عبد الله فلما مات قام ابنه سليمان ابن عبد الله فقتله ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ .

فالجواب أن يقال : نعم قد كان القائم بعد الشيخ محمد رحمه الله بهذه الدعوة ابنه عبد الله لما خصه الله تعالى به من العلم والمعرفة ، وكان اخوانه من اولاد الشيخ معاضدون له وكان لهم من العلم والمعرفة ما ظهر به فضلهم ونبلهم وكان الشيخ عبد الله رحمه الله هو الامام الذي ترجع اليه الامور في وقته ، ثم لما نقل ابراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ الى مصر مكث الشيخ عبد الله بها مدة طويلة ، ثم مات بمصر ، واما مقتل سليمان فكان فى سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف قبل موت أبيه بسنين عديدة ، وليس الامر كما ذكر هذا الملحد لانه لا خبرة له بأخبار المسلمين وأحوالهم لا في دينهم ولا في دنياهم فكان كحاطب ليل وحاطم سيل .

واما قوله : وممن تصدى للرد على محمد المذكور ومناظرته اخوه سليمان ابن عبد الوهاب حتى خاف منه فهاجر الى المدينة المنورة .

فالجواب أن يقال : نعم قد كان سليمان بن عبد الوهاب ممن تصدى للرد على الشيخ قبل أن يتوب من ضلاله وعمايته عن الحق فلما قذف الله في قلبه الاسلام وشرح الله صدره بنور الايمان تبين له ما كان عليه من الضلالة وما

كان ينتحله من السفسطة والجهالة . قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله في حال سليمان وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لاخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم وقد رأيت له رسالة يعترض فيها على الشيخ وتأملتها فاذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة مزجى التحصيل والبضاعة لا يدري ما طحاها ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها هذا وقد من الله وقت تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الاول وانه قد استبان له التوحيد والايمـان وندم على ما فرط من الضلال والطغيان وهذا نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب الى الاخوان احمد بن محمد التويجري واحمد ومحمد ابناء عثمان بن شبانة ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فأحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، واذكركم ما من الله به علينا وعليكم من معرفة دينه ومعرفة ما جاء به رسوله ﷺ من عنده وابصرنا به من العمى وانقذنا به من الضلالة واذكركم بعد ان جئتونا فى الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه وابتهاجكم به وثنائكم على الله الذي أنقذكم ، وهذا دأبكم في سائر مجالسكم عندنا وكل من جاءنا من حمد الله يثني عليكم ، والحمد لله على ذلك ، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هـذا ، اذكركم واحظكم ، ولكن يا اخواني بمعلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق واتبـاع سبل الشيطان ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبل الهدى ، والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا الا اليسير ، والايام معدودة والانفاس محسوبة ، والمـأمول منا أن نتقدم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال ، وان يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لما سواه

لعل الله يمحو عنا سيئات ما مضى وسيئات ما بقى ، ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله وما يكفر من الذنوب ، وان الجهاد بالبدن واللسان والقلب والمال وتفهمون أجر من هدى الله به رجلا واحداً ، والمطلوب منكم اكثر مما تفعلون الآن ، وان تقوموا لله قيام صدق ، وان تبينوا الحق على وجهه ، وان تصرحوا لهم تصريحاً بيناً مما انتم عليه اولا من الغي والضلال . فيا اخواني : الله ، الله ، فالامر اعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجأر الى الله في الفلوات وعدنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان ذلك بكثير منا ، وانتم رؤساء الدين والدنيا في مكانكم اعزّ من الشيوخ والعوام كلهم تبع لكم ، فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعلثوا بشيء من الموانع وتفهمون ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد ان يرى ما يكره ، ولكن ارشدكم في ذلك الى الصبر ، كما حكى عن العبد الصالح في وصيته لابنه ، فلا احق من ان تحبوا لله وتبغضوا لله وتوالوا لله وتعادوا لله ، وترى يعرض في هذا امور شيطانية ، وهي ان من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقي الشيطان لكم ان هذا مهوب صادق ، وان له ملحظ دنيوي ، وهذا امر ما يطلع عليه الا الله ، فاذا أظهر احد الخير فأقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من احد شر وادبار عن الدين فعادوه واكرهوه ، ولو احب حبيب ، وجامع الامر في هذا ان الله خلقنا لعبادته وحده لاشريك له ومن رحمته بعث لنا رسولنا يأمرنا بما خلقنا له ويبين لنا طريقه ، واعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة اهله وبغضهم وتبيين الحق وتبيين الباطل ، فمن التزم ما جاء الرسول فهو أخوك ولو ابغض بغيض ، ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو والدك او اخوك ، وهذا شيء اذكركموه مع اني بحمد الله اعلم انكم تعلمون ما ذكرته لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين ،

الكامل الذي لم يبق معه لبس وان تذاكروا دائما في مجالسكم ما جرى منا ومنكم اولا ، وان تقوموا مع الحق اكثر من قيامكم مع الباطل ، ولا احق من ذلك ولا لكم عـذر لان اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة في ذلك فتذاكروا ما أنتم فيه اولا في امور الدنيا من الخوف والاذى واعتلاء الظلمة والفسقة عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضاً ما منّ الله به عليكم من الدين . انظروا الى مسألة واحدة ، فمن ما نحن فيه من الجهالة كون البدوي نجري عليه أحكام الاسلام مع معرفتنا ان الصحابة قاتلوا اهل الردة واكثرهم متكلمين بالاسلام ، ومنهم من أتي بأركانه ومع معرفتنا انه من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وان من استهزأ بالدين أو شيء منه فهو كافر ، وان من جحد حكما مجمعاً عليه فهو كافر الى غير ذلك من الاحكام المكفرات ، وهذا كله مجتمع فى البدوى وازيد ونجري عليه أحكام الاسلام اتباعاً لتقليد من قبلنا بلا برهان . فيا اخواني : تأملوا وتذكروا في هـذا الاصل يدلكم على ما هو اكثر من ذلك ، وانا اكثرت عليكم الكلام لوثوقي بكم ، انكم ما تشكون في شيء. فيا تحـاذرون ونصيحتي لكم ولنفسي والعمدة في هـذا ان يصير دأبكم في الليل والنهار ان تجأروا الى الله تعالى أن يعيذكم من شرور انفسكم وسيئات اعمالكم وان يهديكم الى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وانبياؤه وعباده الصالحون ، وان يعيذكم من مضلات الفتن ، فالحق وضح وابلولج وماذا بعد الحق الا الضلال ، فالله الله ترى الناس الذي في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فان فعلتوا ما ذكرت لكم ما قدر احد من الناس يرميكم بشر وصرتوا كالاعلام هداية للحيران ، فالله سبحانه وتعالى هو المسؤل ان يهدينا واياكم سبل السلام ، والشيخ

وعياله وعيالنا طيبين ولله الحمـد ، ويسلمون عليكم وسلموا لنا على من يعز عليكم ، والسلام . وصلى الله على محمد ، اللهم اغفر لكاتبها ولوالديه ولذريته ولمن نظر فيه فدعا له بالمغفرة والمسلمين والمسلمات اجمعين . فأجابوه برسالة ينبغي ان تذكر ، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا سيد المرسلين من كاتبه الفقير الى الله أحمد التويجرى وأحمد بن عثمان وأخيه محمد الى من من الله علينا وعليه باتباع دينه واقتفى هدي محمد ﷺ نبيه وأمينه الاخ سليمان بن عبد الوهاب زادنا الله واياه من التقوى والايمان وأعاذنا واياه من نزعات الشيطان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ابلاغ الشيخ وعياله وعبد الله وأخوانه السلام وبعد ، فوصل الينا نصيحتكم جعلكم الله من الائمة الذين يهدون بأمره الداعين اليه والى دين نبيه محمد ﷺ فنحمد الله الذي فتح علينا وهدانا لدينه وعـدلنا عن الشرك والضلال وأنقذنا من الباطل والبدع المضلة ، وبصرنا بالاسلام الصرف الخالى من شوائب الشرك ، فلقد من الله علينا وعليكم وله الفضل والمنه بما نور لنا من اتباع كتابه وسنة نبيه ورسوله ﷺ وعدلنا عن سبيل من ضل وأضل بلا برهان ونسأله أن يتوب علينا وعليكم ويزيدنا من الايمان فلقد خضنا فيما مضى بالعدول عن الحق ودحضناه وارتكبنا الباطل ونصرناه جهلا منا وتقليداً لمن قبلنا فحق علينا أن نقوم مع الحق قيام صدق أكثر مما قمنا مع الباطل على جهلنا وضلالنا ، فالمأمول والمبغى منا ومنكم وجميع اخواننا التبيين الكامل لئلا يغتر بافعالنا الماضية من يقتدي بجهلنا وان نتمسك بما اتضح وابلولج من نور الاسلام ، وما بين الشيخ محمد رحمـه الله من شريعة النبي ﷺ فلقد حاربنا الله ورسوله

واتبعنا سبيل الغي والضلال ودعونا الى سبيل الشيطان ونكبنا كتاب الله وراء ظهورنا جهلا منا وعداوة ، وجاهدنا في الصد عن دين الله ورسوله واتبعنا كل شيطان تقليداً وجهلا بالله فلا حول ولا قوة الا بالله ، ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لا اله الا انت سبحانك انا كنا من الظالمين ، فالواجب منا لما رزقنا الله معرفة الحق ان نقوم معه اكثر واكثر من قيامنا مع الباطل نصرح بالتبيين للناس باننا على باطل فيما فات ونقوم له مثني وفرادى ، ونتوكل على الله عسى الله أن يتوب علينا ويعيذنا من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا وأن يهدينا سبل السلام وان يجعلنا من الداعين الى الهدى لا من الدعاة الى النار فنحمد الله الذى لا اله الا هو ، حيث من علينا بهذا الشيخ في آخر هذا الزمان وجعله باذنه وفضله هاديا للتائه الحيران، نسأل الله العظيم ان يمتع المسلمين به ويعيذه من شر كل حاسد وباغ ويبارك في ايامه وان يجعل جنة الفردوس مأواه وايانا وان ينفعنا بما بينه فلقد بين دين محمد ﷺ على رغم انف كل جاحد وصار علماً للحق حين طمس ومصباحاً للهدى حين درست اعلامه ونكس واطفأ الله به الشرك بعد ظهوره حين عبدت الاوثان صرفا بلا رمس ولم يزل من الله عليه برضاه ينادى ايها الناس هلموا الى دين نبيكم الذي بعث به ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ثم لم ينقم منه وعليه الا انه يقول ايها الناس اعبدوا ربكم واعطوه حقه ، الذي خلقكم لاجله وخلق لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه ان الله تعالى يقول: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال : (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) وقال: (فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن) وفسر اسلام الوجه بالقصد

في العبادة فان دعا غير الله ، او قصد غير الله ، او نذر لغير الله ، او استغاث بغير الله ، او توكل على غير الله ، او التجأ الى غيره فهذه عبادة لمن قصد بذلك ، هذا والله الشرك الاكبر وانا نشهد بذلك وقمنا مع اهله ثلاثين سنة وعادينا من امر بتجريد التوحيد العداوة البينة التي مابعدها عداوة فالواجب علينا اليوم نصر الله ودينه وكتابه ورسوله والتبري من الشرك واهله وعداوتهم وجهادهم باليد واللسان لعل الله ان يتوب علينا ويرحمنا ويستر مخازينا واكبر من هذا البدو الذين لايدينون دين الحق ، لا يصلون ولا يزكون ولا يورثون ولا لهم نكاح صحيح ولا حكم عن الله ورسوله يدينون به صريح ونقول هم اخواننا اسلام سبحانك هذا بهتان عظيم ومكابرة لما جاء به رسول رب العالمين ، فنقول لا خلاف ، ان التوحيد لا بد ان يكون بالقلب واللسان والعمل فان اختل من هذا شيء لم يكن الرجل مسلما فاذا عرف التوحيد ولم يعمل به فهو معاند كفرعون وابليس وان عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق شر من الكافر أعاذنا الله واياكم من الخزي (يوم تبلى السرائر) فالواجب علينا وعلى من نصح نفسه ان يعمل العمل الذي يحصل به فكاك نفسه وان يعبد الله ولا يعبد غيره فالعبادة حق الله على العبيد ليس لاحد فيها شرك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن السفلة والشياطين وحق الله ان نجأر اليه بالليل والنهار والسر والعلانية فى الخلوات والفلوات عسى ان يتوب علينا ويعفو عنا ما فات ويعيذنا من مضلات الفتن فالحق بحمد الله وضح وابلولج ، وماذا بعد الحق الا الضلال ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين .

فصل

وأما قوله : وما ظفر اللعين وأولاده بأحد ممن رد عليهم الا قتلوه وافرطوا في قتل العلماء سيما في مدة استيلائهم على الحرمين .

فالجواب ان يقال : هذا كله كذب وبهت بحت ما قتل الشيخ رحمه الله وأولاده احدا ممن رد عليهم صبرا بل هذا من الكذب الظاهر الذي لا يمتري فيه عاقل ثم لو فرض انهم ظفروا بأحد من هؤلاء المرتدين الذين نصبوا أنفسهم للسعي في اطفاء دين الله ورسوله والصد عن سبيله ودعوة الناس الى عبادة الاولياء والصالحين والدخول في دين المشركين بعد اذ انقذهم الله منه بدعوة شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام فأي مانع يمنع من قتل هؤلاء الزنادقة الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويصدون الناس عن الدخول في دين الاسلام والقيام بشعائره العظام ، لو فرضنا صدور ذلك من الشيخ وأولاده واما تسمية الشيخ باللعين فلو كان هذا الملحد من أهل العلم الممارسين وله أدني المام بالعلوم علم ان العلماء قد منعوا من لعن المعين ولكن هذه الوقاحة حاصل ما عنده وما لديه وسباب أهل الاسلام غاية مطلوبه وما ينتهي اليه ولم يجعل الله السب شرعا ينسب اليه والى دينه ورسله بل ذلك حرفة الفارغين ومحصل الجاهلين ومعول اهل البغي والغي والظلمة الفاسقين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله : وكانوا اذا جاءهم من يريد اتباعهم أمروه بأن يشهد على نفسه وعلى أبويه انهم كانوا مشركين فهذا من نمط ما قبله من الكذب والبهتان فما صدر هذا ولا كان ولا نقله احد من اهل العلم والعرفان عن اهل الدين والايمان بل كان ذلك منكرا من القول وزورا وتحكما بالباطل وفجورا وتسويلا من الشيطان لاوليائه وغرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون بل هم

في سكوتهم يعمهون وفي‌ديهم يترددون وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون .

وأما قوله : وان الناس كلهم منــذ ستمائة سنة على شرك ويأمرونه بلعن جماعة من العلماء والاشراف يسمونهم له فان فعل قبلوه وتحنوه مذهبهم وأمروه باعادة حجه ان كان حج قبل لانه حج على طريقة المشركين وان امتنع عن هذه الامور قتلوه فالقادم عليهم لايخلص من الموت الا بالكفر ونهبوا الحجرة الشريفة اخذوا كل ما فيها فاستعاد ابراهيم باشا ما وجده عنــدهم واعاده للحجرة وما قد كانوا اعطوه لاتباعهم .

فالجواب ان نقول : وهــذا أيضاً من جنس ما قبله من المفتريات والاقوال المنكرة المخترعة الموضوعات فما صدر ذلك ولا كان بنقل العدول الاثبات بل نقول سبحانك هذا بهتان عظيم .

وأما قوله : وكانوا يتأولون في تكفير المسلمين آيات نزلت في حق المشركين ويفسرونها لاتباعهم بما ينطبق على مذهبهم .

فالجواب ان نقول هذا كذب وافتراء على الشيخ فانه رحمه الله ما تأول الآيات النازلة في المشركين فجعلها في المسلمين وانما استدل بالآيات القرآنية النازلة في المشركين وجعلها لمن أشرك بالله وعدل به سواه وبدل دينه وفعل كما فعل المشركون من صرف خالص حق الله لمن اشركوا به واتخذوهم شفعاء من دونه ومن منع تنزيل القرآن وما دل عليه من الاحكام على الاشخاص والحوادث التي تدخل تحت العموم اللفظي فهو من أضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الاسلام وعلماؤهم قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ومن أعظم الناس تعطيلا للقرآن وهجرا له وعزلا عن الاستدلال به في موارد النزاع وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول هو الرد الى سنته وقد قال تعالى (وما اختلفتم فيه من

شيء فحكمه الي الله) وقال تعالى (لانذركم به ومن بلغ) فنصوصه وأحكامه عامة لاخاصة بخصوص السبب وما المانع من تكفير من فعل كما فعل المشركون وتنزيل الآيات التي وردت في تكفيرهم على من احتذا حذوهم واقتفى آثارهم. اتبع سبيلهم ولو كنت تعرف الكتاب العزيز وما دل عليه من الاحكام والاعتبار لاحجمت عن هذه العبارات التي لايقولها الا افلس الخلق من العلم والايمان .

فصل

قال المعترض أصول مذهبهم ، قال الشيخ رحمه الله ، كانوا يتسترون بالدعوة الى التوحيد وما هم منه على شيء يدّعون الانتساب الى مذهب الامام احمد ابن حنبل وهو بريء منهم يصرحون بتكفير كل من يخالف مذهبهم وان المسلمين كلهم مشركون ويستحلون دم كل مسلم وما له وعرضه ويصرحون بانه لا ايمان الا باتباعهم ولا يتحاشون من الطعن بالرسول عليه الصلاة والسلام بكل بذاءة .

والجواب ان يقال : معاذ الله وحاشا لله ما هذه الاوضاع التي افتعلها أعداء الله ورسوله أصول مذهب الوهابية بل هذا من التهور في المقال وتعمية وتدليسا على أعين الجهال ومن لا معرفة لديه بحقيقة الحال وقد قدمنا فيما مضى من جوابنا هذا حقيقة مذهب الوهابية وأصوله بما اغنى عن اعادته ها هنا ومن نظر في كلام هؤلاء الزنادقة علم وتحقق انهم ما عرفوا من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه .

والله ماشموا روائح دينه يا زكمة اتيت طبيب زمان

وأما ما نقله عن امام كفرهم وضلالتهم احمد بن دحلان وقد كان من

المعلوم عند أهل العلم والايمان انه هو الذي تولى كبر هذا الهذيان وزرعه في قلوب اخوانه وأوليائه من ذوي الكفر والطغيان وليس هـذا ببدع ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ٠

فأما قوله : كانوا يتسترون بالدعوة الى التوحيد وماهم منه على شيء. فهذه دعوى مجردة عن الدليل ولم يكن فيما يحكيه على اهدى منهج وسبيل والافقد كان من المعلوم ان الشيخ دعا الناس الى توحيد الله بعد ان كانوا مطبقين على دعوة الاموات والغائبين والاولياء والصالحين ، وانهم كانوا قبله في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء. فدعاهم الى الاخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه وجاهدهم على ذلك حتى دخلوا في دين الله أفواجا ولم ينكر هذا الا من طبع الله على قلبه وران عليه سوء عمله وكسبه ، وأما انتساب الوهابية الى مذهب احمد فنعم ، قد كان ذلك وهو حق على حقيقة وليس بايديهم الا كتب الحنابلة ولا يفتي علماؤهم ويحكم قضاتهم الا بما اشتملت عليه من الفروع والاصول وليس يضرنا تهور من زعم ان ذلك منا دعوى مع وجود الحقيقة والسلوك على الطريقة ومن تأمل أقوالهم وسبر احوالهم واستقرأ اخبارهم وتحقق انهم هم المتمسكون بمذهب الامام احمد على الحقيقة لا على الانتساب والدعوى . وأما براءة الامام احمد منا فانى لك بهذا وانت لا تعرف مذهب احمد على الحقيقة ولا ما كان يعتقده ويدين الله به من الحق ولا ما كان عليه سلف الامة وائمتها بل لست من الاسلام في شيء. انما انت من عباد الاوثان واخوان عبدة الصلبان .

وتزعم مع هذا بأنك عارف ... كذبت لعمري في الذي انت تزعم
وما أنت الا جاهل ثم ظالم ... وانك بين الجاهلين مقدم

اذا كان هذا نصح عبد لنفسه | فمن ذا الذي منه الهدى يتعلم
وفي مثل هذا الحال قد قال من مضى | واحسن فيما قاله المتكلم
اذا كنت لا تدري فتلك مصيبة | وان كنت تدري فالمصيبة اعظم
بلى سوف تدري حين ينكشف الغطا | ويبدو لك الامر الذي كنت تكتم

وأما قوله : يصرحون بتكفير كل من يخالف مذهبهم وان المسلمين كلهم مشركون .

فجوابه ان يقال : قد كذب هذا الملحد وافترى فان الوهابية لا يكفرون أحداً خالفهم في رأيهم وهو اهم وجميع ما يقولونه ، وانما يكفرون بالشرك بالله وعبادة غيره واتخاذ الوسائط والانداد في المسألة والتوكل والانابة ، والتكفير لا يضاف اليه بل هو حكم يضاف الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما جاءت به الرسل عن الله .

وأما قوله : ويصرحون بأن لا ايمان الا باتباعهم .

فالجواب ان يقال : هذه دعوى مجردة يكفي ردها ومنعها واطراحها ومعاذ الله ان يوجبوا على احد متابعتهم أو متابعة غيرهم الا رسول الله ﷺ وهذه رسائل الشيخ ومصنفاته ينهى عن ذلك ويشدد فيه ويأمر بتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ وينكر ما اعتاده الناس من الغلو فى رأي العلماء واجتهادهم وتنزيل ذلك منزلة النصوص النبوية وقد عقد بابا في كتاب التوحيد لهذه المسألة

قال رحمه الله تعالى «باب من أطاع العلماء والامراء في تحليل ماحرم الله أو تحريم ما احل الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، واستدل بقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)» وذكر حديث عدي بن حاتم ، وذكر من الآثار عن أهل العلم ما يقضي بدرايته ويشهد بعلمه ، وان هذا المعترض

لا يتحاشى عن قول الزور وشهادته ، وقد قضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شاهد الزور ان يسود وجهه ويطاف به (ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) فإذا عرفت وتحققت ان هذه طريقة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في أقواله وجميع شؤونه وأحواله ، فكذلك كانت طريقة أتباعه على دين الله ورسوله لا يوجبون الا ما أوجبه الله ورسوله ولا يأمرون الا بأمر الله ورسوله ولا ينهون الا بما ينهى الله عنه ورسوله ولله في ذلك الحمد وله المنة .

وأما قوله : ولا يتحاشون من الطعن بالرسول عليه الصلاة والسلام بكل بذاءة .

فالجواب أن نقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ومن افترى علينا هذا ونسبه الينا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لاقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفضحه على رؤس الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .

فصل

وأما قوله : ومن قواعد مذاهبهم واصوله التي لا خلاف بين المسلمين بأنها من المكفرات اولا قولهم ان الله ارسل محمداً وانزل عليه القرآن ليبلغه للناس وما اذن له بأن يشرع للناس شيئاً من عنده فالدين كله في القرآن وكلما جاء في الحديث ويسميه المسلمون سنة واجبة فهو باطل ولا يجوز التعبد والعمل به ثانياً : قولهم حيث ان محمداً بلغ القرآن ومات فعند نزول آخر آية من القرآن انتهت رسالة محمد وسقطت حقوق الرسالة ، وهذا معنى تسمية طارشا ، ومعناه عندهم مرسل جاء برسالة فبلغها وذهب ، فلا علاقة للناس فيه والالتفات اليه

شرك . ثالثاً قولهم : ان الرسل والانبياء كسائر الناس لافرق ولاتفاضل بينهم رابعاً قولهم : البذاءة في حقه عليه الصلاة والسلام . منها قولهم : ان العصا خير من محمد لانها ينتفع بها ، ومحمد قد مات ، فأي نفع منه . ويحرمون الصلاة والتسليم عليه ولو في التشهد ، ويقولون انه شرك بالله ويقتلون من يتلفظ بها . ومنها قولهم : ان الربابة في بيت الزانية أقل اثماً من الصلاة والتسليم على محمد واحرقوا كل ما وقع بأيديهم من نسخ دلائل الخيرات والصلوات والادعية وكتب التفسير والفقه وكتب الائمة الاربعة وغيرهم .

فالجواب : ان نقول : هذا كله كذب وافتراء على الشيخ ما تكلم بهذا ولاقاله ولا نقله احد يعتد بنقله ، بل هذا من الموضوعات الملفقة وصريح الافك والزندقة ، وهذه رسائل الشيخ ومصنفاته موجودة مشهورة ليس فيها شيء من هذه الترهات والاقاويل الباطلة والتلفيقات ، ان هي الا اوضاع وضعتموها من عند انفسكم لتموهوا بها على أعين الناس وتنفروا بها عن الدخول في دين الله ورسوله بغيا وعدواناً . بل الذى في كتبه ومصنفاته الامر بالاعتصام بالكتاب والسنة . قال رحمه الله تعالى في الكتاب الذي صنفه في اصول الايمان : باب الوصية بكتاب الله عز وجل وقول الله تعالى (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أوليـاء قليلا ما تذكرون) . عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ خطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « اما بعد . ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي وفي لفظ : كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » رواه مسلم وله في حديث

جابر الطويل أنه ﷺ قال في خطبته يوم عرفة «وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله . وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت قال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها إلى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات» وعن علي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « انها ستكون فتن ، فقلنا ما المخرج منها يارسول الله؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر مابعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الا هواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء. ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم » رواه الترمذي وقال غريب وعن أبي الدرداء مرفوعا قال « ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فان الله لم يكن ينسى شيئا وما كان ربك نسيا » رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني الى آخر الباب •

ثم قال رحمه الله تعالى: باب تحريضه ﷺ على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقال رجل يارسول الله كأنها موعظة مودع فاوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة

ضلالة صححه الترمذي ، ولمسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، « اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قيل ومن يأبى قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » الى آخر الباب ، والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدا كقوله ﷺ « لا الفين أحدكم متكئاً على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به أو نهيت عنه فيقول لا ادري ماوجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي فى دلائل النبوة ، وعن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله ﷺ « الا اني اوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » الحديث بتمامه رواه أبو داود ، وعن العرباض بن سارية قال : قام رسول الله ﷺ ، فقال « ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله لم يحرم شيئاً الا ما فى هذا القرآن الا واني قد امرت ووعظت ونهيت عن اشياء انها لمثل القرآن أو اكثر » ، الحديث رواه أبو داود فاذا عرفت ان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جعل الاعتصام بالسنة والتحريض والترغيب فيها وترك البدع والتفرق والاختلاف من أصول الايمان التى لا يستقيم الاسلام ولا يتم بناؤه الا عليها فمن كان يعتقد هذا ويرى انه من الاصول الايمانية ، كيف يقال فيه انه يقول كلما جاء في الحديث ويسميه المسلمون سنة واجبة فهو باطل ولا يجوز التعبد والعمل به ؟ فهل يقول هذا أو يحكيه عن الشيخ عارف أو عاقل أو مجنون ؟ بل لا يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم

انه موقوف بين يدي الله وانه مسئول عن ذلك ، ولكن اعداء الله ورسوله يضعون من عند انفسهم أوضاعاً وينسبونها لاهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية ظلماً وعدواناً (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ، ثم انه قد كان من المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول ﷺ لم يشرع لامته شرعاً من عند نفسه لم يأذن الله فيه ؛ ولم يأمر به بل كل ما شرعه الرسول وسنه وأوجبه وأحله وحرمه وأمر به ونهى عنه فهو كله وحي انزله الله عليه وامره بتبليغه ، كما قال تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) اذا علمت ذلك فالوهابية يعتقدون ويعلمون بالاضطرار من دين الاسلام ان الله سبحانه وتعالى انزل القرآن على نبيه ﷺ وان الرسول بلغ القرآن عن الله وان مما اخبر الله به في القرآن ان الله انزل عليه الكتاب والحكمة وانه امر ازواج نبيه ﷺ ان يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة ، وانه امتن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ومن المعلوم ان ما يذكر في بيوت ازواج النبي ﷺ إما القرآن واما ما يقوله من غير القرآن وذلك هو الحكمة وهو السنة فثبت ان ذلك مما انزله الله وامر بذكره وقد امر الله تعالى بطاعته في القرآن في آيات كثيرة ، وقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقال عز وجل (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال سبحانه وتعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا وأمثاله يبين ان الله عز شأنه أوجب

اتباعه فيما يقوله وان لم يكن من القرآن ، وأيضاً فرسالته اقتضت صدقه فيما يخبر به عن الله تعالى من القرآن ، وغير القرآن فوجب بذلك تصديقه فيما اخبر به وان لم يكن ذلك من القرآن ، واذا كان هذا هو معتقد الوهابية فأي عيب يتوجه اليهم وأي بيان أوضح من هذا البيان ؟ فقد وضح الحق واستبان وما بعد الحق الا الضلال .

واما قوله : ثانياً قولهم حيث ان محمداً بلغ القرآن ومات فعند نزول آخر آية من القرآن انتهت رسالة محمد وانقطعت عنه حقوق الرسالة ، وهـذا معنى تسميته طارشا ومعناه عندهم مرسل جاء برسالة فبلغها وذهب فلا علاقة للناس فيه ، والالتفات اليه شرك .

فالجواب أن يقال : اما دعواه انا نسمي النبي ﷺ طارشا وإن معناه عندنا مرسل جاء برسالة إلى آخره فهذا كذب وزور وفجور ما تكلم أحد من الوهابية بهذا الكلام الذي لا يحكيه الا أشباه الانعام ومن المعلوم ان الرسول ﷺ بلغ القرآن ومات وقد اكمل الله به الدين وبلغ البلاغ المبين ، وان دينه باق الى يوم القيامة ، وان الصحابة رضي الله عنهم قاموا بهذا الدين بعد نبيهم وكذلك التابعون لهم باحسان ، وانه لاتزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وانه لا خير الا دل أمته عليه ولا شر الا حذرها عنه ، فحقوقه ﷺ ورسالته لم تنقطع بل هي باقية الى يوم القيامة ، قال الله (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) الآية والرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى رسوله هو الرد الى سنته ، وقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) وقوله تعالى (وما آتاكم

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الآية فطاعته ﷺ واجبة باقية الى يوم القيامة فكل ما أمر به وشرعه لامته وأوجبه وسنه وأحله وحرمه ، وكل ما نهى عنه وحذر عنه أمته فهو باق لم ينقطع بموته ﷺ وهذا هو زبدة الرسالة ولبها ، ولذلك لم يخل الله الارض من قائم الله بحججه لئلا تنقطع آياته وبيناته التي ارسل بها رسوله فالالتفات الى الايمان بحقوق النبي ﷺ التى أوجبها الله على خلقه واجب باق ببقاء الدنيا ، وأما حقوق الله سبحانه وتعالى التى اختص بها دون سائر خلقه ، فليس لاحد فيها شركة لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما ، وهي افراده سبحانه وتعـالى بالعبادة كالدعاء والحب والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة والذبح والنذر والخضوع والخشوع والرغبة والرهبة والانابة وغير ذلك من انواع العبادة التى من صرفها لغير الله كان مشركاً فالالتفات الى غير الله تعالى فيها شرك فمن دعا غير الله فى طلب حاجة أو كشف كربة والتجأ اليه فيها فقـد اشرك بالله غيره في هذه العبادة ومن استغاث بالله في ازالة شدة واستغاث بغيره فيها فقد أشركه مع الله في هذه العبادة وكذلك الحب والخوف والرجاء وسائر أنواع العبادة التي تقـدم ذكرها فاذا تحققت هذا فالوهابية قائمون بحقـوق النبي ﷺ من الحب له والتعظيم والتعزيز والتوقير والايمان بمـا جاء به وتقديم قوله على قول كل أحد كائناً من كان ، وكذلك قائمون بحقوق الله سبحانه وتعالى المتقـدم بيانها ولا يجعلون فيها تعلقاً والتفاتا لاحد من الخلق لا الرسول ﷺ ولا غيره من الانبياء فضلا عن غيرهم ، لان ذلك اشراك بالله في إلهيته وهم في ذلك متمسكون بمـا كان عليه العلماء من اهل السنة والجماعة وسلف الامة وأئمتها كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية :

يا من له عقل ونور قد غـدا   يمشي به في النـاس كل زمان
لكننا قلنـا مقـالة صارخ   في كل وقت بينكم بأذان
الرب رب والرسول فعبـده   حقاً وليس لنـا اله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الر   حمن فعـل المشرك النصراني
كلا ولم نغلو الغلو كما نهى   عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لغيره   ولعبـده حق هما حقـان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً   من غير تميـيز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسـوله   وكذا الصلاة وذبح ذي قربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا   وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى   وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به   (اياك نعبـد) ذان توحيدان
وعليهمـا قام الوجود بأسره   دنيا وأخري حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والته   ليل حق الهنـا الديان
لكنما التعزير والتوقير حق لل   رسـول بمقتضى القرآن
والحب والايمان والتصديق لا   يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة   لا تجهلوها يا أولي العدوان
حق الاله عبـادة بالامر لا   بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير اشراك به شيئاً هما   سببا النجاة فحبـذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـ   ـمقبول اذ هو صاحب البرهان
والامر منه الحتم لا تخيير فيـ   ـه عند ذي عقل وذي ايمـان
وهو المقدم في محبتنا على الا   هلين والازواج والولدان

وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمها الجنبان
وهو المطاع وأمره العالي على امر الورى وأوامر السلطان

الى آخر الفصل .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله : وجماع الدين اصلان ، ان لا نعبد الا الله ولا نعبده الا بما شرع ، لا نعبده بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وذلك تحقيق الشهادتين شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمداً رسول الله ، ففي الاولى ان لا نعبد الا اياه ، وفي الثانية ان محمداً هو رسوله المبلغ عنه ، فعلينا ان نصدق خبره ونطيع أمره وقد بين لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الامور ، وأخبرنا انها ضلالة ، قال تعالى : (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما أنا مأمورون ان لا نخاف الا الله ولا نتوكل الا على الله ولا نرغب الا الى الله ولا نستعين الا بالله وان لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مأمورون ان نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به ، فالحلال ما حلله والحرام ماحرمه ، والدين ما شرعه ، قال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فجعل الايتاء لله والرسول كما قال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وجعل التوكل على الله وحده بقوله (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله كما قال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ومثل قوله (ياايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي حسبك وحسب المؤمنين كما قال (أليس الله بكاف عبده) ثم قال : (وقالوا سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فجعل الايتاء لله والرسول .

وقد ذكر الفضل لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين ، وقال (انا الى الله راغبون) فجعل الرغبة الى الله وحده كما في قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال النبي ﷺ لابن عباس « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع ، فجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله كما في قول نوح عليه السلام (ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) وقوله (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) وامثال ذلك ، فالرسل أمروا بعبادته وحده والرغبة اليه والتوكل عليه والطاعة لهم فاضل الشيطان النصارى واشباههم فاشركوا بالله وعصوا الرسول فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ويسألونهم مع معصيتهم لامرهم ومخالفتهم لسنتهم وهدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين فاخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم لله وانابوا الى ربهم وأحبوه ورجوه وخافوه وسألوه ورغبوا اليه وفوضوا امورهم اليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم واحبوهم ووالوهم واتبعوهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بمنارهم ، وذلك هو دين الاسلام الذي بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل ، وهو الدين الذي لايقبل الله من أحد دينا الا اياه وهو حقيقة العبادة لرب العالمين فنسأل الله العظيم ان يثبتنا عليه ويكمله لنا ويميتنا عليه وسائر اخواننا المسلمين انتهى ، هذا والذي ذكره شيخ الاسلام بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن القيم رحمهما الله تعالى هو الذي نعتقده وندين الله به لانه صريح ماورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وصريح ماعليه أئمة السلف والمحققون

من أهل العلم فى كل مكان وزمان وما سوى ذلك مما عليه المخالفون لهم من أهل البدع والكفر والفسوق والعصيان فباطل وضلال وهذيان وما يوحيه الشيطان إلى أوليائه من عبدة الاوثان ، وهؤلاء يزعمون ان رسول الله ﷺ حي في قبره يأكل ويشرب وينكح وانه يتصرف في الكون مع الله وانه يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ويكشف السوء عن من لاذ بحماه ، وأنه يغيث اللهفات ويفرج الكربات ، وأنه يلجأ اليه في جميع الطلبات ويقضي لهم الحاجات ويعافي أولي العاهات ويزيل عنهم جميع المكروهات ، والبليات ، الى غير ذلك مما هو من حقوق الله مختص به عن سائر المخلوقات ، وأن هذا التعلق به والالتفات اليه فيه بعد موته ﷺ من مقتضيات رسالته لا ينقطع بموته ومن انكر هذا وقال انه من خصائص الله وحقوقه التي من صرفها لغيره كان مشركا أو نفاه عن رسول الله ﷺ كان كافراً وهابياً ، فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

وأما قوله : ثالثا قولهم ان الرسل والانبياء كسائر الناس لا فرق بينهم ولا تفاضل بينهم .

فالجواب ان يقال : ان أراد ان الرسل والانبياء لهم تصرف في الكون بعد موتهم وانهم يجيبون الدعوات ويغيثون اللهفات ويفرجون الكربات عن من تعلق عليهم ودعاهم والتجأ اليهم واستغاث بهم في جميع الطلبات وقضاء الحاجات وانهم متميزون بهذا عن سائر البشر من المخلوقات ، فهذا كذب ، فأنه قد كان من المعلوم أنهم يدعون ويستغيثون ولائجهم من دون الله فيستغيثون بهم ويدعونهم في مشاهدهم وعند قبورهم وفي حال الغيبة ، ياعبد القادر يا أحمد البدوي يارفاعي ياعيدروس يامحيي النفوس ، وغير هؤلاء ممن يدعونهم ويستغيثون بهم

ويتعلقون عليهم من سائر الاوليـاء والصالحين ، ويسوون بينهم وبين الرسل والأنبياء فسائر الاولياء والصالحين عندهم كالانبياء والمرسلين لا فرق ، وهذا هو محض حق الله لا شركة فيه لاحد من الخلق مع الله ، وإن أراد ان الرسل والانبياء متميزون عن سائر الخلق بما فضلهم الله به من الرسالة والنبوة ووجوب الايمان بهم وبما جاءوا به من عنـد الله ووجوب طاعتهم وامتثال ما أمروا به واجتناب ما نهوا عنـه وتعزيرهم وتوقيرهم وتقديم محبتهم على النفس والاهل والمال والناس أجمعين ، وان هذا لاينقطع بموتهم فهذا حق والوهابية لا ينكرون هذا بل يعتقدونه ويدينون الله به .

وأما قوله : رابعا اقوالهم البذيئة في حقه عليه الصلاة والسلام ، منها قولهم ان العصا خير من محمد لانها ينتفع بها ومحمد قد مات ، فأي نفع منه ؟

فالجواب ان نقول : سبحانك هـذا بهتان عظيم ما قال هذا أحد من الوهابية قديما ولا حديثا بل هذا من الاوضاع المكذوبة عليهم .

، وأما قوله : ويحظرون الصلاة والتسليم عليـه ولو في التشهد ويقولون انه شرك بالله ويقتلون من يتلفظ بها ، ومنها قولهم ان الربابة في بيت الزانيـة أقل اثما من الصلاة والتسليم على محمد .

فالجواب ان نقول : وهذا أيضاً من الكذب والبهتان وقول الزور والهذيان فمن نسب عنا هذا وافتراه علينا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وفضحه على رؤوس الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، بل الوهابية يعتقدون وجوب الصلاة على النبي ﷺ ويرون فرضيته في الصلاة ، وأنه ركن لا تصح الصلاة بدونها ويقرأون هذا ويعلمونه أبناءهم ونساءهم وعامتهم وخاصتهم كما هو مذكور في الاصول التي يسألون عنها

جميع الناس في المشاهد والمساجد لا يخفى ذلك على أحد ممن له أدني مسكة من عقل ودين ، ويرون ان من شروط الجمعة تقـدم خطبتين ومن شرط صحتهما حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة آية والوصية بتقوى الله عز وجل ، ويقول الخطيب منهم في الخطبة الاخيرة : واعلموا ان الله تعالى أمركم بامر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الانور والجبين الازهر ، واذا كان هـذا مذهبهم واعتقادهم ، فكيف يقولون انه شرك بالله ويقتلون من يتلفظ بها ، وان الربابة في بيت الزانيـة أقل اثما من الصلاة والتسليم على محمد ، فهل يقول هذا أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ ومن كان لا يستحي قال ما يشتهي ، وفي الحديث عن النبي ﷺ انه قال : « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وقدذكر الشيخ الامام حسين بن غنام في تاريخه روضة الافكار جوابا لبعض المعترضين على الشيخ محمد رحمه الله لما قال ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها ، وينهى عن الجهر بها على المنابر ويؤذي من يفعله ، ومنع الاتيان بها على المنابر ليلة الجمعة ، فقال رحمه الله :

وأما قوله : وابطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها فهذا الكلام على بشاعة لفظه فيه ابهام وايهام وتشنيع بظاهره عند العوام وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام ، فان الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله ، الا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان ، وقد أبطله جماعة من الاعيان ، وأنكره جمع من نقاد هذا الشان ، وقالوا : لا يتقرب به الى الله تعالى ولا يدان ، لانه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادة الشيطان ، واشرب حبها من هو في الحماقة والتعصب

كالوالدان ؛ نخير الهدي هدي الرسول وما ورد عن خلفائه مقبول ، وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليا شائع ، حتى صيروه واتخذوه دينا ومنهجا جاء به الشارع ، وكان للنفوس اليه أعظم داع ووازع ، فلن يسوغ لذوى العقول من حملة الشرع ممارسة المنقول ان يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه ، ولا يزيلوه فورا ويغيروه ويعترضوه وينكروه ، فضلا عن كونهم يرتضون فعله ، ويقرون أربابه واهله ، وليت من دان الله تعالى به عرف دين من اصله ووضعه حتى يعترض على من انكره ومنعه ، فقد ذكر السيوطى فى كتابه الوسائل الى معرفة الاوائل ، ان أول من أحدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السمائة في زمن الناصر بن دقلاوون ، ولا شك ان ماكان من الدين اذ ذاك متخذا مجعول ومؤسسا شرعه منحول ، ليس ماخوذا به ولا معمول. أما يخاف المعترض سوء ذنبه وسخطه لمولاه وربه في توسله وتوصله اليه وقربه بعمل لم يشرعه ولم يأذن به ، فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه وينتحل ماليس واضعه ، ويحسن ذلك فى مواقعه ويضلل من قام حسبة لله فى تهيئة موانعه ، ماجوابه اذا قام بين يدي مولاه فيما اسداه من الدين وابداه ، وزاد على ماجاء به الرسول وأتاه ، أظن أن دين نبيه ناقص فكمله ومحياه قبيح لحسنه وجمله ، نعوذ بالله مما تقوله الغلاة ، ونسأله ان يجنبنا طريق الغواة ولا حول ولا قوة الا بالله .

وليعلم القاري لهذا الكتاب والواقف على الخطاب ان خلاصة البيان عن ذلك في الجواب ان الذي انكره من غير شك ولا ارتياب هو ما يفعل في غالب الامصار ويعمل في كثير الاقطار لا سيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والاخبار ، وذلك ان يصعد ثلاثة أو أكثر على رءوس المنابر ويقرأون آيات من القرآن

ويصلون على النبي بأرفع صوت واعلان ، ويأتون بقبيح الالحان وأصوات تحاكي غناء القيان ، ويمططون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة اسمائه العظيمة ، وينقلونها عن معناها الى معنى وكفى بذلك اثما ووهنا وتغييرا لما أراده الله باسمائه الحسنى ، لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب انه يحسن صنعا انتهى.

وأما قوله : وأحرقوا كل ما بأيديهم من نسخ دلائل الخيرات والصلوات والادعية وكتب التفسيرات والفقه وكتب الائمة الاربعة وغيرهم .

فالجواب ان يقال : قد اجاب عن هذا كله شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في رسالته التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله فقال في جوابه : وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك اني اشرت على من قبل نصيحتي من اخواني ان لا يصير في قلبه اجل من كتاب الله ويظن ان القراءة فيه اجل من قراءة القرآن وأما احراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان . واما احراقه لكتب التفسير والفقه وكتب الائمة الاربعة .

فالجواب : انه قد ذكر رحمه الله في بعض أجوبته فقال ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينا تفسير محمد بن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البيضاوي والبغوي والخازن والجلالين وغيرهم وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوهم على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعاً وقواعد وسيراً وصرفاً ونحواً وجميع علم الائمة ولا نامر باتلاف شيء من المؤلفات ، فاذا عرفت ذلك فكيف يقول أعداء الله ورسوله انه احرق كتب الفقه ، وقد صنف في ذلك مصنفات واختصر الشرح الكبير والانصاف وصنف

في الحديث ككتاب التوحيد وأصول الايمان وكتاب مجموع في الحديث وله مصنفات ورسائل عديدة مفيدة، وبهذا تعلم انهم انما يتبعون اهواءهم وما يضعه الواضعون من اعداء الدين من الاكاذيب فالله المستعان .

فصل

ثم قال المعترض قال رحمه الله : زعم هؤلاء الكفرة انهم اخذوا الدين من القرآن العظيم ، لكنهم في الحقيقة نبذوه كما نبذوا غيره لانهم أباحوا لكل انسان منهم تفسيره بما يريد ، وان يعمل بما يفهم منه ، واطلقوا لاتباعهم الارادة في الحكم بين الناس برأيهم .

والجواب ان يقال : قد تقدم الجواب عن ذلك ، وان شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله قد ذكر ان الاعتصام بالسنة من أصول الايمان وذكر في ذلك أحاديث وانه يستعين على فهم القرآن بكتب التفسير وعلى فهم السنة بشروح الحديث وعلى الاحكام بكتب الفقه كما تقدم قريباً فاغنى عن اعادته ، فتبين بهذا كذبهم وافترائهم على الشيخ وعلى اتباعه بأنهم لا يأخذون الدين الا من القرآن فقط ، بل يأخذونه ولله الحمد من القرآن ومن السنة ويأخذون من كلام العلماء ما وافق الكتاب والسنة ويردون من كلامهم ماخالفهما .

وأما قوله : وحرموا الدعاء بعد الصلاة وقالوا انه بدعة ، فالجواب ان نقول نعم قد حظر الشيخ محمد واتباعه ومنعوا الدعاء بعد الصلاة على الوجه الذي يفعله الناس اليوم في غالب الامصار ، لان ذلك بدعة لان النبي ﷺ لم يكن يفعل ذلك ولا أحد من الصحابة بعده ولا التابعون ولا الائمة المهتدون ، وبيان ذلك بما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله لما سئل عما يفعله الناس بعد الصلوات

الخمس ، فقال الجواب الحمد لله لم يكن النبي ﷺ يدعوهو ولا المأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله الناس عقيب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحب ذلك أحد من الائمة ، ومن نقل عن الشافعي انه استحب ذلك فقد غلط عليه ولفظه الموجود في كتبه ينافي ذلك لكن طائفة من اصحاب احمد وابي حنيفة وغيرهما استحبوا الدعاء بعد الفجر والعصر ، قالوا لان هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوضا بالدعاء عن الصلاة ، واستحب طائفة من اصحاب الشافعي وغيره الدعاء عقيب الصلوات الخمس ، وكلهم متفقون على ان من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن انكر عليه فهو مخطىء باتفاق العلماء فان هذا ليس مأموراً به لا أمر ايجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن ، بل الفاعل احق بالانكار فان المداومة على مالم يكن النبي ﷺ يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعاً بل مكروهاً كما لو داوم على الدعاء عقيب الدخول في الصلوات أو داوم على القنوت فى الركعة الاولى في الصلوات الخمس أو داوم على الجهر بالاستفتاح في كل صلاة ونحو ذلك فانه مكروه ، واذا كان القنوت في الصلوات الخمس قد فعله النبي ﷺ احيانا ، وجهر رجل خلف النبي ﷺ بنحو ذلك فأقره عليه ، فليس كلما شرع فعله أحياناً تشرع المداومة عليه ، ولو دعا الامام والمأموم احياناً عقيب الصلاة لامر عارض لم يعد هذا مخالفة للسنة كالذي يداوم على ذلك ، والاحاديث الصحيحة تدل على ان النبي ﷺ كان يدعو دبر الصلوات قبل السلام ويأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام على ذلك ، وذكرنا ما في ذلك من الاحاديث وما يظن ان فيه حجة للمنازع في غير هذا الموضع ، وذلك لان الداعي يناجي ربه فاذا انصرف مسلما انصرف عن مناجاته ، ومعلوم ان سؤال السائل لربه حال مناجاته هو الذي يناسب دون سؤاله بعد انصرافه كما أن من

يخاطب ملكا أو غيره فان سؤاله له وهو مقبل على مخاطبته أولى من سؤاله بعد انصرافه عنه ، انتهى .

وأما قوله : وقالوا عن الائمة واتباعهم انهم ضلوا وأضلوا حيث كانت الشريعة واحدة فجعلوها أربعة ، فجوابه ان نقول : سبحانك هذا بهتان عظيم بل هذا من الاوضاع التي وضعها اعداء الله ورسوله والذي عليه الوهابية هو ما ذكره الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرسالة التي كتبها بعد دخول المسلمين مكة المشرفة سنة ثمانية عشر بعد المائتين والالف قال فيها ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله ، ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ، فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد احد الائمة الاربعة ، انتهى .

فهذا صريح قول الوهابية ومضمون كلامهم واذا كان ذلك كذلك فكيف يسوغ لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يفتري عليهم مالم يقولوه من هذا الهذيان البارد السمج الذي لا يحكيه من له أدني مسكة من عقل ودين وقوله : وفي كل جمعة يقول الخطيب ان كل من يتوسل بالرسول محمد يكفر ويتلو قول الله تعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فأقول لا أصل لهذه الدعوى الكاذبة الخاطئة فانها من جنس اخواتها الماضية فلا يعول عليها ولا يلتفت اليها إلا بالمنع والرد واطراحها ولفظ التوسل لفظ مشترك يطلق ويراد به دعاء الانبياء والصالحين بعد موتهم ويطلق ويراد به التوسل بذوات الانبياء والصالحين وبجاههم وحقهم ويطلق ويراد به طلب الدعاء من الحي الحاضر القادر وبالدعوات الصالحات والايمان وفعل ما يحبه الله ويرضاه وسيأتي الكلام على بيان

ذلك وتفصيله في محله انشاء الله تعالى . وكذلك قوله : وكانوا اذا ظفروا بالعائدين من زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام يحلقون لحاهم ويركبونهم مقلوبين ويشهرونهم فأقول هذا من نمط ما تقدم من الاكاذيب التي لا أصل لها فما صدر هذا ولا كان بل هو من أوضاع أهل الكفر والطغيان وهذيان أهل الفسوق والعصيان الذين اشربت قلوبهم بعداوة أهل التوحيد والايمان .

وأما قوله : والخبيث رئيسهم كان يسند مذهبه وكل ما يدعيه الى الوحي فأقول : بل الخبث والكفر والجحود منكم بدأ واليكم يعود ، وأما ما يسنده الشيخ من مذهبه الى الوحي فنعم وقد تقدم بيانه بأدلته في عقيدته . وأما ما ينسبه طاغيتكم وامام كفركم وضلالكم من هذه الاوضاع التي وضعها والاكاذيب التي جمعها فقد بينا براءة الشيخ منها وانها من افككم واكاذيبكم التي تصدون بها الناس من الدخول في دين الله بغيا وعدوانا وتزعمون ببغيكم ان الشيخ ينسب ما وضعتموه الى الوحي ومعاذ الله من ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

وأما قوله : ومن مذهبهم القول بالتجسيم للباري جل وعلا وقرروه في دروسهم .

فالجواب أن نقول : اعلم ان لفظ الجسم لم ينطق به الوحي اثباتا فيكون له الاثبات ولا نفيا فيكون له النفي فمن اطلقه نفيا واثباتا سئل عما أراد به فان قال أردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء هذه اللغة وكتبها

ين أظهرنا فهذا المعنى منفي عن الله سبحانه عقلا وسمعا وان أردتم به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة فهـذا منفي عن الله سبحانه قطعا والصواب نفيه من الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركبا من هـذه ولا هذه وان أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالابصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما كما انا لا نسب الصـحابة لاجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويوالبهم نواصب ولا ننفي قـدر الرب ونكذب به لاجل تسمية القدرية لمن أثبته جبريا ولا نرد ما اخبر به الصادق المصدوق عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعـداء الحديث متبعيها حشوية ولا نجحد صفات خالقنا من علوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مشبها :

فان كان تجسيما ثبوت استوائه — على عرشـه اني اذا لمجسم
وان كان تشبيها ثبوت صـفاته — فمن ذلك التشبيـه لا اتلعثم
وان كان تنزيها جحود استوائه — وأوصافه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزهت ربنـا — بتوفيقـه والله أعلى واكرم

ورحمة الله على الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب في قوله المشهور :

ياراكبا قف بالمحصب من منى — واهتف بقاعد خيفها والناهض
ان كان رفضـا حب آل محمد — فليشهد الثقـلان اني رافضي

وكان هذا كله مأخوذ من قول الشاعر الاول :

وعيرني الواشون اني احبهـا — وذلك ذنب لست منـه اتوب

ومن هذا الوادي قول مجنون بني عامر لما ذهب به أبوه الى البيت الحرام

وأراد ان يذعو عند الملتزم بزوال حب ليلى فالتزم بالملتزم وقال :

يارب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال أمينا

وان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق بالله تعالى بأصبعه رافعا لها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهدا له لا للقبلة وان أردتم بالجسم ما يقال له أين فقد سأل أعلم الخلق به باين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال بأين وأجاب عنه ولم يقل هذا السؤال انما يكون عن الجسم وانه ليس بجسم وان أردتم بالجسم ما يلحقه من والى فقد نزل جبريل عليه السلام من عنده تعالى وعرج برسوله ﷺ اليه واليه يصعد الكلام الطيب وعبده عيسى ابن مريم المسيح رفع اليه وان اردتم بالجسم ما يتميز عنه من أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت الجلال والجمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والارادة وهذه صفات متميزة متغايرة من قال انها صفة واحدة فهو بالمجانين أشبه منه بالعقلاء .

وقد قال أعلم الخلق به أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك والمستعاذ به غير المستعاذ منه ، وأما استعاذته ﷺ به منه . فباعتبارين مختلفين فان الصفة المستعاذ بها والصفة المستعاذ منها صفتان لموصوف واحد ورب واحد والمستعيذ باحدى الصفتين من الاخرى مستعيذ بالموصوف بهما منه وأن أردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الاعلى، وبيده وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التى أطلقها على نفسه المقدسة أو أطلقها رسوله ﷺ وان اردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق عباده مستو على عرشه وكذلك أن اردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعاني فنفيكم لها بهذه الالقاب المنكرة خطأ في اللفظ والمعنى وجناية

على الفاظ الوحى أما الخطأ اللفظي فتسميتكم الموصوف بذلك مركبا مؤلفاً مشبهاً بغيره وتسميتكم هذه الصفات تجسيما وتركيبا وتشبيها ، فكذبتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضعتم لصفاته الفاظاً منكم بدأت واليكم تعود وأما خطاؤكم فى المعنى فنفيكم وتعطيلكم ، لصفات كما له بواسطة هذه التسمية والالقاب فنفيتم المعني الحق وسميتموه بالاسم المنكر وكنتم في ذلك بمنزلة من سمع أن في العسل شفاء لم يره فسأل عنه فقيل له مائع رقيق يشبه القذرة يتقيؤها الزنابير ومن لم يعرف العسل ينفر منه بهذا التعريف ومن عرفه وذاقه لم يزد هذا التعريف عنده الا محبة ورغبة فيه ولله در القائل .

تقول هـذا جناء النحل تمدحه وان تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما والحق قـد يعتريه سوء تعبير

وأشد ما جادل به اعداء الرسول من التنفير عنه هو سوء التعبير عما جاء به وضرب الامثال القبيحة له والتعبير عن تلك المعاني التي لا أحسن منها بالفاظ منكرة القوها في مسامع المغترين المخدوعين توصلت الى قلوبهم فنفرت عنه وأكثر العقول كما عهدت يقبل القول بعبارة ، ويردها بعبارة أخرى وكذلك اذا قال الفرعوني ، لو كان فوق السموات رب وعلى العرش اله لكان مركبا قيل له لفظ المركب في اللغة هو الذي ركبه غيره في محله لقوله تعالى : (في أى صورة ماشاء ركبك) وقولهم ركبت الخشبة والباب أو ما يركب من اخلاط وأجزاء بحيث كانت اجزاء متفرقة فاجتمعت وركبت حتى صارت شيئا واحدا كقولهم ركبت الدواء من كذا وكذا فان اردتم بقولكم لو كان فوق العرش كان مركبا هذا التركيب المعهود وأنه كان متفرقا فاجتمع فهو كذب وفرية وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل وان اردتم أنه لو كان فوق العرش لكان

عاليا على خلقه بائنا من مخلوقاته مستويا على عرشه ليس فوقه شيء فهذا المعنى حق فكأنك قلت لو كان فوق العرش لكان فوق العرش ، فنفيت الشيء بنفسه بتغيير العبارة عنه وقلبها الى عبارة أخرى وهذا شأنكم في أكثر مطالبكم وان اردت بقولك كان مركبا يتميز منه شيء عن شيء فقد وصفته أنت بصفات يتميز بعضها عن بعض فهل كان عندك هذا تركيبا فان قلت هذا لا يقال وانما يقال لمن أثبت شيئا من الصفات ، واما انا فلا اثبت له صفة واحدة فراراً من التركيب قيل لك العقل لم يدل على نفي المعنى الذي سميته انت مركبا وقد دل الوحي والعقل والنظر على ثبوته أتنفيه لمجرد تسميتك الباطلة؟ فإن التركيب يطلق ويراد به خمسة معان . الاول تركيب الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها زائداً على ماهيتها فإذا نفيت هذا التركيب جعلته وجودا مطلقا انما هو في الاذهان لا وجود له في الخارج والاعيان . الثاني تركيب الماهية من الذات والصفات ، فإذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتا مجردة من كل وصف لا يبصر ولا يسمع ولا يعلم ولا يقدر ولا يدبر ولا حياة ولا مشيئة ولا صفة له اصلا فكل ذات في المخلوقات اولى من هذه الذات فاستفدت بنفي هذا التركيب كفرك بالله وجحدك لذاته وصفاته ، وافعاله . الثالث تركيب الماهية الجسمية من الهيولى والصورة كما يقوله الفلاسفة . الرابع تركيبها من الجواهر الفردة كما يقوله كثير من اهل الكلام .

الخامس : تركيب الماهية من اجزاء متفرقة اجتمعت وركبت ، فان اردت بقولك لو كان فوق العرش لكان مركبا كما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون ، قيل لك جمهور العقلاء عندهم ان الاجسام المحدثة المخلوقة ليست مركبة من هذا ولا من هذا ، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق محدث لم يلزم ان يكون مركبا

بهذا الاعتبار ، فكيف يلزم ذلك في حق خالق المركب الذي يجمع المفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء ، والعقل انما دل على اثبات اله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، ولم يدل على ان ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي ، وكذلك تنزيه عن الجهة ان اردتم انه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره احاطة الظرف بالمظروف ، فنعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى ، وان اردتم بالجهة أمرا يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه ، فنفيكم لهذا المعنى باطل وتسميته جهة اصطلاح منكم توسلتم به الى نفي ما دل عليه العقل والنقل والفطرة ، فسميتم ما فوق العالم جهة ، وقلتم منزه عن الجهات ، وسميتم العرش حيزا ، وقلتم ليس بمتحيز ، وسميتم الصفات اعراضا ، وقلتم الرب منزه عن قيام الاعراض به ، وسميتم حكمته غرضا ، وقلتم منزه عن الاغراض ، وسميتم كلامه بمشيئته ونزوله الى سمائه الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء وارادته المقارنة لمرادها وادراكه المقارن لوجود المدرك وغضبه اذا عصي ورضاه اذا أطيع وفرحه اذا تاب اليه العباد ، ونداءه موسى حين أتى الشجرة ونداءه للابوين حين أكلا من الشجرة ونداءه لعباده يوم القيامة ومحبته لمن يبغضه حال كفره ثم صار يحبه بعد ايمانه وربوبيته التي شملت كل مخلوق وكل يوم هو في شأن حوادث ، وقلتم هو منزه عن حلول الحوادث وحقيقة هذا التنزيه انه منزه عن الوجود وعن الماهية وعن الربوبية وعن الملك وعن كونه فعالا لما يريد ، بل

من الحياة والقيومية ، فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفـاة بقولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ، ولا تقوم به الاعراض ، ولا يوصف بالابعـاض ، ولا يفعل بالاغراض ، ولا تحله الحوادث ، ولا تحيط به الجهات ، ولا يقال في حقه أين وليس بمتحيز . كيف كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه ، واستوائه على عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالابصار في دار كرامته ، نحو هذه الالفاظ . ثم توسلوا الى نفيها بواسطتها وكفروا وضللوا من أثبتهـا واستحلوا منه ما لم يستحلوه من اعداء الله ، اليهود والنصارى ، فالله الموعـد واليه التحاكم وبين يديه التخاصم ، نحن واياهم نموت ولا افلح يوم الحساب من ندم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، انتهى . من الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لشمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى .

وأما قوله : ولهم مطاعن بالرسل والانبياء والاولياء تنفر منها النفوس

فأقول : لو ذكر هذه المطاعن لامكن الجواب عنها ، ولكن لا يخلو اما ان تكون مما ظنوا أنه من المطاعن والمثالب وهو في الحقيقة عند ذوي الايمان بالله ورسله من الفضائل والمناقب ، واما أن تكون من الاوضاع والاكاذيب التي وضعوها ولفقوها من عند أنفسهم ظلما وعدوانا وما هي من الظالمين ببعيد .

وأما قوله : وفي مدة تسلطهم على الحرمين نبشوا قبور آل البيت والصحابة ودثروها وقالوا ان لا فرق بين الرسل والانبياء وسائر الناس ، بل كل رسول ونبي كسائر الناس ، انتهى كلام الشيخ .

فالجواب : أن نقول : أما نبش قبور آل البيت والصحابة وتدثيرها فلا أصل له ، وانما هدموا بيت السيدة خديجة وقبة المولد وبعض الزوايا المنسوبة

لبعض الاولياء حسما لمادة الشرك وتنفيراً عن الوقوع فيه ما أمكن ، لعظم شأنه فانه لايغفر ، وهو أقبح من نسبة الولد الى الله تعالى اذ الولد كمال في حق المخلوق ، وأما الشرك فنقص حتى في حق المخلوق ، لقوله تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم) الآية : فالهدم انما وقع على القباب ولم ينبشوا من قبور آل البيت ولا غيرهم به من قبور الاولياء والصالحين واحدا ، ولكن هذه عادة أعداء الله ورسوله يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون . ثم ان هذا الملحد لما فرغ من نقل ما ذكره امام كفرهم وضلالهم اخذ يفرع عليه ويقرر ما ذهب اليه طاغيتهم من الاكاذيب والهذيان ، ولكن زاد عليه هذا بالوقاحة والطغيان وتحذير من لم يعلم بحقيقة الحال عن الدخول في زمرة أهل الايمان وحملة السنة والقرآن ، ليزرع في قلوبهم عداوة أهل الايمان بما لفقه من هذه المخرقة وصريح الكفر والزندقة ، وبالكلام على ماذكره امامهم من التأصيل يبطل ماذكره هذا الملحد من التفريع والتذييل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولنختم الكلام على ماذكره هذا المعترض من الاكاذيب الموضوعة على الشيخ بما ذكره الشيخ الامام ملا عمران ، نزيل لنجة ، جوابا لمن اعترض على الشيخ بنحو من هذه الاكاذيب الموضوعة والترهات المصنوعة . فقال رحمه الله تعالى :

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي ... في سب دين الهاشمي محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم ... ان الكتاب هو الهدى فبه اقتد
لو أن ناظمها تمسك بالذي ... قد قال فيها أولا اذ يبتدي
لهدي ووفق ثم حاز سعادة ... لا شك فيها عند كل موحد

لكنه قد زاغ عما قاله متأولا فيها بتأويل ردي
فأتت كشهد فيه سم ناقع من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهتدي بأخي مسيلمة الكفور المعتدي
فهو الذي ان مات معتقدا بذا يا ويله ماذا يلاقي في غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له يوم القيامة وهو خصم محمد ؟
قد شبه التوحيد بالكفر الذي شهد الكتاب به وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض أهل جهالة يدعون أصحاب القبور الهمد
تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة ويؤملون كذاك اخذا باليد
ورأى لعباد القبور تقربا بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والاشياخ ما شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في اكله من كان يذبح للقبور ويفتدي
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنصح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهم لله ان لا تعبدوا الا المهيمن ذا الجلال السرمد
لا تشركوا ملكا ولا من مرسل كلا ولا من صالح او سيد
فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا الا عجيب عندنا لم يعهد
ما قاله آباؤنا أيضاً ولا أجدادنا أهل الحجى والسؤدد
انا وجدنا جملة الآبا على هذا فنحن بما وجدنا نقتدى
فالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من أهل الزمان اشتد غير مقلد
ناداهم يا قوم كيف جعلتموا لله اندادا بغير تعدد
قالوا له بل ان قلبك مظلم لم تعتقد في صالح متعبد

قد عيروه بأنه قد كان في / وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر بأنها / كانت لفرعون الشقي الاطرد
وكذا النمارده الفراعنة الاولى / كانوا بأرض الله أهل تمرد
ذا قال انا رب وذا متنبيء / هم في بلاد الله اهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها / من كل طاغ في الهوية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها / وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لم تشرف ساكنا / فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحد / لو مات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم / يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة / وبقي أبو جهل الذي لم يهتد
ان الاماكن لا تقدس اهلها / ان لم يكونوا قائمين على الهدى
لو أنصفوا لرأوا له فضلا على / اظهار ما قد ضيعوه من اليد
ودعوا له بالخير بعد مماته / ليكافئوه على وفاق المرشد
لكنهم قد عاندوا وتكبروا / ومشوا على منهاج قوم حسد
ورموه بالبهتان والافك الذي / هم يعملون به ومنهم يبتدي
كقالهم هو للتابع قاطع / بدخول جنات وحور خرد
حاشا وكلا ليس هذا شأنه / بل إنه يرجو بها لموحد
قالوا له اشقى الورى مع كونه / ينهى عن الانداد للمتفرد
قالوا له يا سالكا طرق الردى / لم لا تسير على الطريق الارشد
وهمو يرون الشمس ظاهرة لهم / لكن اعمى القلب ليس بمهتد
قالوا له يا كافراً يا فاجرا / ما ضره قول العداة الحسد

قالت قريش قبلهم للمصطفى | ذا ساحر ذا كاهن ذا معتدي
قد اتهموه بأنه يحتال في | تأذينه ليجيء أهل المسجد
فاذا اتوا قتلوا بغير جناية | تالله هذا افك افاك ردي
قالوا يعم المسلمين جميعهم | بالكفر قلنا ليس ذا بمؤكد
بل كل من جعل العديل لربه | ونهى فصد فذاك كالمتهود
قالوا له غشاش امة أحمد | وهو النصيح بكل وجه يبتدي
هل قال الا وحدوا رب السما | وذروا عبادة ما سوى المتفرد
وتمسكوا بالسنة البيضاء ولا | تتنطعوا بزيادة وتردد
هذا الذي جعلوه غشا وهو قد | نطقت به الرسل الكرام لمن هدي
من عهد آدم ثم نوح هكذا | تترى الى عهد النبي محمد
وكذلك الخلفاء بعد نبيهم | والتابعون وكل حبر مهتدي
منهاجهم هذا عليه تمسكوا | من كان مستناً بهم فليقتد
عجبا لمن يتلو الكتاب ويدعي | علم الحديث مسلسلا في المسند
ويقول للتوحيد غشا ان ذا | خطر على من قال فليتشهد
ويجدد الاسلام والايمان معتقدا بان الشيخ خير مجدد
ماذنبه في الناس الا أنه | هدم القباب وتلك سيرة احمد
ما صح عهد ثقيف لما عاهدوا | الا بهدم اللات لو لم يعبد
ما اللات الا كان عبدا صالحاً | لت السويق لطائف متعبد
لما توفى عظموا لضريحه | كصنيع عباد القبور النكد
اذ كان حيا قادراً قاموا باطعام له وبكسوة وتفقد
واذا توارى عنهمو في قبره | جعلوه ندا للاله السيد

ولقد رأى الفاروق يوما قبة … نصبت على قبر تشد بأعمد
فأشار نحوها دعوه يظله … عمل له ان لم يكن عمل ردى
وحديث أبي الهياج فيه كفاية … لذوي البصائر والعقول النقد
في طمس تمثال وقبر مشرف … جاء الحديث به صحيح المسند
لما نفى الاطراء عنهم والغلو … قالوا اتيت بذا الجفاء المبعد
لو كان حبك للنبي محقق … لفعلت فعلتنا لعلك تهتدي
أما الدلائل فهو لم ينكر بها … صلوات أزكى العالمين الامجد
الا التظاهر بالغلو وجعلها … درساً يكرر في كتاب مفرد
فترى لهم حرصاً على تجويدها … خطاً وتزويقا وحسن مجلد
لا يعتنون بمصحف لهمو كما … هم يعتنون براتب وبمولد
فلو اعتنى رب الدلائل بالذي … يأتي عقيب تشهد المتشهد
لكفاه كل مؤونة وتكلف … ومشى على النهج القويم الارشد
سأل النبي من الصحابة سائل … كيف الصلاة عليك كالمسترشد ؟
فأجاب يرشده بما قد جاء في … قول المصلي دبر كل تشهد
لوحت فيه ولم اصرح حيث لم … يدخل على وزن القريض المنشد
هذا الكلام على الدلائل ليس ما … قد قاله من شذ عن ذا المقصد
وكذاك في روض الرياحين الذي … فيها الغلو بصالح وبسيد
والله قد ذم الغلو فقال يا … أهل الكتاب بغلظة وتهدد
اذ قال لا تغلو بنهي لازم … في دينكم في الحكم لم يتردد
وكذا الرسول نهى وأخبر أنه … فيه الهلاك لراهب متعبد
عجبا لهم لو كان فيهم منصف … لرأى المحب محمدا لمحمد

من حيث ان الاتبــاع مقارن ... للحب في نص الكتاب الامجد
قالوا صبأ تم نحــوه قلنــا لهم ... الحق شمس للبصــير المهتــدي
ما بيننــا نسب نميــل به ولا ... حسب يقربنــا له بتــودد
ايضاً ولا هو جارنا الادنى الذي ... نمتــار نعمتــه ولم نسترفد
لكنها شمس الظهيرة قد بدت ... لذوي البصائر فاهتدى من يهتدي
فالعالمون العامــلون المنصفون ... له اقــروا بالفضــائل واليــد
لكن قليــل منهمــو في عصرنا ... كالشعرة البيضا بجـلد اسود
والله قــد ذم الكثير وقال في ... حق القليل مقالة لم تجحــد
بسبا ، و ص فاتلهــا متــدبرا ... تلق الصحيح بها فخذه تهتــد
فان اعتراكم في الذي قــد قاله ... شك وريب واختلاف يبتــدي
فزنوا بميزان الشريعة قوله ... تجــدوه حقاً ظاهراً للمقتدي
ولئن وجدتم فاسقاً أو جافياً ... أو جاهــلا في العــلم كالمتردد
قد زل يوماً او هفا لا تنسبوا ... هفواته لجناب ذاك المرشد
فالآل والأصحاب ماذا ضرهم ... من بعدهم تكدير صافي المورد
من بعد ذاك الاجماع على الهدى ... ظهروا ذوي فرق وأهــل تبدد
ماذا يضر السحب نبح الكلب أم ... ماذا يضر الصحب سب الملحــد
ثم الصــلاة على النبى محمــد ... ازكى الورى أصلا واطيب محتد
والآل والاصحاب جمعا كلما ... قد ذب عن ذا الدين كل موحد

فصل

ثم ان المعترض بعد ان فرغ من تلفيق هذه الموضوعات وتقرير ماحرره من الخرقة والترهات بما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قول احد من العلما. المحققين الذين لهم قدم صدق في العالمين وانما اعترض على الوهابية. قرناء اعداء الله ورسوله الذين ماعرفوا دين الاسلام ولا ما ينبني عليه من الاحكام لانهم نشأوا في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء. وقد الفوا ما كان عليه اسلافهم وطواغيتهم من الشرك بالله وما اعتادوه من تعظيم قبور الانبياء والاولياء والصالحين ودعائهم والاستغاثة بهم في الشدائد والالتجاء اليهم في جميع الطلبات والرغبات والتعلق عليهم في جميع المهمات والملمات فلما اظهر الله شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ودعا الناس الى اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه من الانبياء والاولياء والصالحين والاشجار والاحجار وبين لهم ان هذه العبادات التي صرفوها لغير الله هي محض حق الله لا يصلح منها شيء لغير الله لا لملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن غيرهما انكروا ذلك عليه وكفروه وضللوه وبدعوه ورموه بهذه الاكاذيب التي يستحي العاقل من ذكرها ولا تنفق الا عند من اعمى الله بصيرة قلبه والخصومة بينهم وبينه عند الملك الحق العدل الذي لا يظلم احدا وما ربك بظلام للعبيد .

الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قال المعترض : ولنرجع الى المقصود من هذه الرسالة وبالله الاستعانة ؛ المسألة الاولى . في الاجتهاد قد تبين لك ما تقدم ان من اصول الوهابية اباحة التعبد بالاجتهاد بشرط الاستنباط من القرآن العظيم فقط وانكار الاجماع الذي اتخذه علماؤنا اصلا من الاصول التي تبني عليها الاحكام وحيث ان هذا

الاصل من اصول مذهب دعاة الاجتهاد في هذا الزمان فايضاحا لفساد قولهم هذا التكلم ان شاء الله عن كل فرع منه على حدة .

والجواب وبالله التوفيق ان نقول : قد بينا فيما تقدم ان هذا ليس من اصول الوهابية وانه من الكذب الموضوع عليهم ونذكر هاهنا ايضا ما ذكره الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد دخول مكة المشرفة لما سأله بعض المسلمين عن غالب هذه الموضوعات فاجابه عن هذه المسألة فقال رحمه الله تعالى : ونحن ايضا في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد احد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم لا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد احد الائمة الاربعة ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا احد منا يدعيها الا انا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب او سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض باقوى منه وقال به احد الائمة الاربعة اخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة فانا نقدم الجد بالارث وان خالف مذهب الحنابلة ولا نفتش على احد في مذهبه ولا نعترض عليه الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب احد الائمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار وشتان ما بين المسألتين فاذا قوي الدليل ارشدناهم بالنص وان خالف المذهب وذلك يكون نادرا جدا ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من ئمة

المذاهب الاربعة لاختيارات لهم فى بعض المسائل مخالفة لمذهب الملتزمين تقليد صاحبه ، ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البغوي والبيضاوي والخازن و الجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشروح الائمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحرص على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ، ونعتني بسائر الكتب فى سائر الفنون اصولا وفروعا وقواعدا وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الامة ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات اصلا الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين الى آخر كلامه ، فانظر ايها المنصف اولا ما ذكره الشيخ رحمه الله حيث قال : ونحن فى الفروع على مذهب الامام احمد ابن حنبل وهؤلاء الزنادقة يقولون انهم ينتسبون الى مذهب احمد وليسوا منه في شيء وانه بريء منهم بالدعوى المجردة والتحكم بالباطل ، ثانياً قوله : ولا ننكر على من قلد احد الائمة الاربعة دون غيرهم الى آخره وهؤلاء يزعمون انا نحرم التقليد ولا نرى الا الاجتهاد ثالثا قوله : ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا احد منا يدعيها ، وهـذا يبطل دعوى هؤلاء المفترين حيث قالوا : انهم يتعبدون بالاجتهاد بشرط الاستنباط من القرآن العظيم فقط ، رابعاً قوله : الا انا فى بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب او سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه الى آخره ، وهذا هو الحق الذي ندين الله بـه لاجماع العلماء على ذلك .

قال الامام الشافعي رحمه الله اجمع الناس عـلى ان من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له ان يدعها لقول احد كائنا من كان ، ...

تقليد احد الائمة المقلدين وان خالف قوله كتاب الله وسنة رسوله والائمة الاربعه منعوا من تقليدهم مع وجود النص بخلاف ما قالوا ، خامساً قوله ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفسير الى آخره ، وهذا يبطل دعوى هؤلاء الزنادقة حيث زعموا انا نبيح التعبد بالاجتهاد بشرط الاستنباط من القرآن العظيم فقط ، وانا نفسر القرآن من عند انفسنا وبما نهواه وانا لا نلتفت الى السنة ولا نعمل بها ، وانا نتلف كتب الحديث وسائر كتب اهل السنة الى غير ذلك مما نسبوه الينا وافتروه علينا ظلماً وعدوانا وتنفيرا للناس عن الدخول في دين الله ورسوله بهذا الهذيان والزور والبهتان

فاذا تبين لك ايها المنصف انا لا ندعي انا نستحق بمرتبة الاجتهاد وانه لا احد منا يدعيها ، فلا لوم علينا ولا عيب يتوجه الينا بعد هذا البيان فنضرب عن الكلام في هذه المسألة صفحا ونطوي عليها كشحا ، اللهم الا اذا وقفنا على بعض الخطأ الواضح والكلام المتناقض مما عثر به قدمه وزل به قلمه من هذه المباحث التي لا يسع السكوت لمسلم عندها ننبه عليها بعض التنبيه ، فان أبى اهل الشقاق والنفاق الا الزامنا ما لا يلزمنا والتحكم بالباطل على ما يهضمنا فلا عجب من ذلك ، فقد زعموا انا ننتقص الرسل والانبياء والصالحين والاولياء لما جردنا التوحيد واخلصنا العبادة لله وحده لا شريك له ولم نجعل فيها شركة لاحد سواه كائنا من كان وتجريدنا متابعة الرسول فلم نقدم على قوله قول احد كائنا من كان وبالله المستعان وعليه التكلان .

فصل

قال المسترض في الفصل الاول فى الاجماع ، اما الوهابية واخوانهم الذين سول لهم الشيطان التكبر عن الائمة العظام وافاضل العلما. كما سولت له نفسه التكبر على آدم الى آخر كلامه .

والجواب ان نقول : قد قدمنا قريبا انا في الفروع على مذهب الامام احمد ابن حنبل رحمه الله ، وبينا انا لا نستحق بمرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيها ، فدعوي هؤلاء الزنادقة انا نتكبر عن تقليد الائمة العظام كذب وافترا. علينا فهي من جملة ما سبق من اخواتها الماضية وترهاتهم الواهية ونحن ولله الحمد والمنه على صراط مستقيم ومنهج قويم ، بل نحن احق بالائمة وأولى بهم منهم وقد امتثلنا ما أمرنا به ائمتنا العظام وانتهينا عما نهونا عنه من هذا المرام ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع انه لا يجوز دعاء الخلق الى طاعة رجل معين فى كل ما يأمر به وينهى عنه ويبيحه الا رسول الله ﷺ ، وهؤلاء الائمة انفسهم قد نهوا الناس عن اتباعهم الا بحجة الا اذا ظهرت الحجة فى غير قولهم ، فقال ابو حنيفة : هذا رأي فمن جاءنا برأي خير منه قبلناه ، وقال مالك : انما انا بشر فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة او كما قال ، وقال ايضا : ما منا الا راد او مردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني رسول الله ﷺ وقال الشافعي : اذا رأيتم الحجة ملقاة على الطريق فاعلموا اني آخذ بها ، وقال اذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط .

وحكي المزني عنه أنه نهى الناس عن تقليده وتقليد غيره من العلما. وله كلام كثير في هذا المعنى ذكره ابن القيم في الاعلام ، وقال احمد لا تقلدينك

الرجال فانهم لن يسلموا من ان يغلطوا وقال لا تقلد دينك احدا وعليك بالاثر وقال لا تكتب رأيي ولا رأي اسحاق ولا سفيان ولا الشافعي ولا مالك وعليك بالاصل ، وقال عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك لعله ان يرد بعض قوله فيهلك فاذا كان هؤلاء الائمة ينهون من تقليدهم مطلقا فمن قلدهم مطلقا فعليه ان يقلدهم في ان لا يقلدهم وذلك جمع بين الضدين ، واذا كنا لا نستحق برتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيها ولسنا نقلدهم مطلقا ، فالواجب علينا وعلى كل مسلم انه اذا صح الدليل واستبانت السنة ان لا نقلد احدا مع سنة سنها رسول الله ﷺ قال الشافعي : اجمع الناس على ان من استبانت له السنة فليس له ان يدعها لقول احد كائنا من كان ، واذا لم يتبين لنا مثلا نص من الكتاب والسنة ساغ لنا ان نقلد فيها امامنا احمد لما تقدم بيانه من الادلة ، ولما كان عليه ائمتنا ، وما ذكر هذا الملحد سوى ما اجبنا عليه من هذيانه فلا نجيب عنه ولا حاجة بنا الى المناقشة فيما لا طائل تحته لانه عجعجة بلا طحن وهذيان بارد لا يستفزبه كل ذي قلب سليم ولا ينخدع به الا الحب اللئيم ، ومن كان لا يستحي قال ما يشتهي ، والله المستعان .

واما ما ذكره في الفصل الثاني في اسباب اختلاف الائمة فالذي نعتقده وندين الله به ان الائمة الاربعة وسائر علماء اهل السنة والجماعة لم يختلفوا في اصل دينهم بل كلهم متفقون على اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه وعلى تقديم قول رسول الله ﷺ على قول كل احد كائنا من كان ولا شك انهم قد اختلفوا في الفروع وكل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله

ﷺ مانه لا يقول الا الحق ، فمن وافق قوله ما في الكتاب والسنة فقوله مقبول على الرأس والعين ، ومن خالف قوله ما في الكتاب والسنة فقوله مردود ، وقد كان من المعلوم انهم رضي الله عنهم قد بذلوا الوسع في الجد والاجتهاد وبذلوا النصح لنفع العباد واجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد ، فمن أصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر لاجل اجتهاده ، وهم معذورون فيما لم تبلغهم فيه سنة عن رسول الله ﷺ ، فعلينا ان نتولاهم ونعتقد فيهم ما ينبغي ان يعتقد وتكون محبتنا لمن نحب منهم تبعا لمحبة رسول الله ﷺ ونكون في ذلك على عدل وعلم ونعتقد انهم كانوا على الصراط المستقيم ، فعلينا ان نحقق بقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). فان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى وقد ذمهم الله بقوله : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) واذا كان العلماء ورثة الانبياء وقد امرنا الله ان لا نفرق بين أحد من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ونهانا النبي ﷺ عن التفضيل بين الانبياء اذا كان فيه انتقاص المفضول فعلينا ان نفعل في ورثتهم كذلك ، فأيثار بعض او روايته بلا برهان من الله تفريق بينهم كما فعله اهل الكتاب في الانبياء ، فالواجب علينا ان نجتهد في طاعة الله ورسوله وندعو الى سبيله على بصيرة ونتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الاثم والعدوان ، وايضا فان الله فرض علينا طاعته وطاعة رسوله والمقصود من الائمة ان يدلونا على طاعة الله وطاعة رسوله ، فلو اطعنا أحدهم فيما قاله لا لان الله امر بذلك لم نثب على ذلك بل ربما عوقبنا عليه ، ولو اجتهدنا في طاعة الله ورسوله فأخطأنا اثمنا على ذلك فكم ممن ينصر قولا صحيحا وهو آثم بنصره لقصده الفاسد وخروجه عن الدليل الشرعي ، ومن ينصر قولا ضعيفا وهو

مثاب لقصده الصالح وسلوكه الطريق المرشد لمثله انتهى ؛ فهذا الذي نعتقده وندين الله به وما سوى ذلك مما لفقه هذا الملحد وألزمنا به مما لا يلزمنا او انتحل فيه طريقة او مقالة تخالف ما عليه اهل السنة والجماعة فنحن نبرأ الى الله من ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعتقد ان الاجماع حق وأن الامة لا تجمع على ضلالة وان القياس منه حق وباطل وصحيح وفاسد فما وافق الحق منه فهو صحيح وما خالفه فهو من قسم الفاسد وقد ذكر ذلك العلماء ، ومن أحسن من تكلم فيه من العلماء شمس الدين بن القيم في « اعلام الموقعين » فمن اراد الوقوف عليه فليراجعه هناك .

﴿ فصل ﴾

ومن خطائه الواضح وخزيه الفاضح ما قاله في الفصل الاول في الاجماع حيث قال : ولو نصحتم انفسكم لعرفتم ان الاجماع الذي انعم الله به علينا معشر اهل السنة لم يكن مثله لامة من الامم او نحلة من النحل ، نحن أهل السنة البالغ عددنا نحو مائتين وخمسين مليونا منتشرين في كل جهة من كرة الارض لم نزل متفقين على اخذ أصول ديننا وفروعه عن الائمة الاربعة العظام وبواسطتهم الى نبينا عليه الصلاة والسلام الى آخر كلامه .

والجواب ان نقول : قد كان من المعلوم بالضرورة عند من له ادنى مسكة من عقل ان هذه الدعوى التي ذكرها هذا الملحد من أمحل المحال وأضل الضلال فان احدا من الناس لا يستطيع ان يضبط هذا العدد من اتباع الائمة المنتشرين في كل جهة من كرة الارض وانهم جميعهم مائتين وخمسين مليونا ، وانهم كلهم متفقون على أخذ أصول دينهم وفروعه عن الائمة الاربعة العظام وبواسطتهم الى نبينا عليه الصلاة والسلام ، ومن ادعى هذا فهو من احمق الخلق واقلهم عقلا وأفسدهم مزاجا ، فان هذا ليس في العقل ولا من الممكن ضبطه بهذا العدد المحصور بل يكذبه الحس والعقل والشرع ، قال الله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعالى (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) وقال تعالى (الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وفي الحديث الصحيح انه ﷺ قال « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار

الا واحدة قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم واصحابي » فبين ان عامة المختلفين هالكون من الجانبين الا فرقة واحدة وهي أهل السنة والجماعة ، ومن المعلوم ان التنتين والسبعين فرقة من امة محمد كلهم او اكثرهم من اهل الاهواء والبدع ومن المتفقهة والمتكلمين المنتسبين الى العبادة من المتصوفة والمتفقرة ونحو ذلك منهم او المتعصبون لطائفة على طائفة ، بل وسائر اهل الاهواء انهم كلهم على الحق لم يزالوا متفقين على أخذ اصول دينهم وفروعه عن الائمة الاربعة العظام وبواسطتهم الى نبينا عليه الصلاة والسلام على زعم هذا الملحد ، ولو سلمنا ذلك لهذا الملحد لكانت الاهواء والبدع مأخوذة عن الائمة الاربعة وبواسطتهم الى النبي ﷺ ، وهذا لايقوله الا من هو من اكفر الخلق واضلهم عن سواء السبيل ، قال شيخ الاسلام في اثناء كلام له : ولهذا اختلف الناس في الفقهاء هل هم من أولي الاهواء ؟ فادرجهم الشيخ ابو حامد الاسفرائيني والقاضي ابو يعلى بن الفراء وغيرهم في اهل الاهواء لما في نفوس كثير منهم من لهوى في الاحكام ، واخرجهم جماعة منهم ابن عقيل من اهل الاهواء وكلاهما صادق فان الاصل فيهم انهم ليسوا من ذوي الاهواء ثم قد فشا فيهم الهوى فصار لهم نصيب من ذلك حتى يظهر فيهم من البغضاء لغير طائفتهم وان كانوا من أهل العلم والايمان ومن الموالاة لذوي طائفتهم وان كانوا من اهل العلم والايمان ومن الموالاة لذوي طائفتهم وان كانوا بخلاف ذلك ما يكرهه الله ورسوله وحتى ان المسائل التي اتفقوا فيها على الجواز وانما اختلفوا في الاستحباب او الكراهة كمسألة الترجيع في الاذان وشفع الاقامة والاستفتاح والبسملة والقنوت ونحو ذلك لما صارت شعار اظهر فيها من الهوى مالم يظهر في غيرها ، وحتى ان الرجل يحرص على ضبط مقالة

طائفة ويعرض عن الآخرين كأنهم اهل ملة اخرى وان كانوا قد يكونون أولى بالله ورسوله في كثير مما يعرض عنهم فيه هذا وكتابهم واحد ودينهم واحد ونبيهم واحد . انتهى. فتبين ان الاختلاف الواقع انما كان بين اتباع الائمة الاربعة اما في اختلاف التنوع ويكون سببه تارة فساد النيه لما فى النفوس من البغي والحسد وارادة العلو في الارض ونحو ذلك فيجب لذلك ذم قول غيره او فعله او غلبته التميز أو يحب قول من يوافقه في نسب او مذهب او بلد او صداقة ونحو ذلك لما في قيام قوله من حصول الشرف لها والرياسة ، وما اكثر هذا في بني آدم (وهذا ظلم) ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الامر الذي يتنازعون فيه والجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الاخر او جهل احدهما بما مع الاخر من الحق في الحكم او في الدليل ، وان كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا والجهل والظلم هما اصل كل شر ، كما قال : سبحانه وتعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) انتهى .

فهل يقول من يؤمن بالله واليوم الاخر او من له ادنى معرفة او المام بالعلوم الشرعية ان ما وقع في نفوس بعض اتباع الائمة من فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وارادة العلو في الارض ونحو ذلك ، او ما يقع ايضا في نفوس بعضهم من الجهل بين المختلفين بحقيقة الامر الذي يتنازعان فيه والجهل بالدليل الذي يرشد به احدهما الاخر وجهل احدهما بما مع الاخر من الحق في الحكم او في الدليل ، ان اصل هذا الاختلاف كله مأخوذ عن الائمة الاربعة وبواسطتهم الى النبي ﷺ سبحانك هذا بهتان عظيم ، واما اختلاف التضاد فلم يقع ذلك بين الائمة الاربعة فيما نعلم ، وانما يقع بين اتباع الائمة ، كما يكون ذلك مثلا في اوصاف الله سبحانه وتعالى وافعاله القائمة بذاته ، فبعضهم يثبت

استواء الله على عرشه ويثبت كلامه وسمعه وبصره وارادته وحبه وبغضه وسخطه ومقته ورضاه ونزوله الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر ، وان المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بابصارهم الى غير ذلك من اوصافه وافعاله الثابتة في الكتاب والسنة واقوال سلف الامة ، وبعضهم ينكر هذا كله ويرى ان ذلك مما ينزه الله عنه وهذا قد يكون بين اتباع الائمة الاربعة وقد يكون بين أهل المذهب الواحد منهم ، وهذا معلوم مشهورمذكور في الكتب المدونة لاينكره احد ، فهل يقول احد ان هذا الاختلاف بينهم ماخوذ عن الائمة الاربعة وانه من اصول دينهم الذي اخذوه بواسطة الصحابة عن النبي ﷺ ، هـــذا لا يقوله الا من هو من اجهل الناس واجراهم على الكذب على الله ورسوله ودينه وشرعه ثم اعلم ان الصحابة رضوان الله عنهم لم يختلفوا في شيء من قواعد الاسلام لا في الصفات ولا في القدر ولا مسائل الاحكام ، بل كانوا مثبتين لصفات الله التي اخبر بها عن نفسه ، نافين عنها تمثيلها بصفات المخلوقين ، مثبتين للقدر كما اخبر الله به ورسوله ، مثبتين للامر والنهي والوعد والوعيد ، مثبتين لحكمة الله في خلقه وامره ، مثبتين لقدرة العبد واستطاعته ولفعله مع اثباتهم للقدر ، ثم لم يكن في زمنهم من يحتج للمعاصي بالقدر ، ويجعل القدر حجة لمن عصى او كفر ولا من يكذب بعلم الله ومشيئته الشاملة وقدرته التامة وخلقه لكل شيء ، وينكر فضل الله واحسانه ومنه على اهل الايمان والطاعة وانه هوالذي انعم عليهم بالايمان والطاعة وخصهم بهذه النعمة دون اهل الكفر والمعصية ، ولا من ينكر افتقار العبد الى الله في كل طرفة عين وانه لا حول ولا قوة الا به في كل دق وجــل ، ولا من يقول ان الله يجوز ان يأمر بالكفر والشرك وينهى عن عبادته وحده ، ويجوز ان يدخل ابليس وفرعون جنـــة ويدخل

الانبياء النار وامثال ذلك ، فلم يكن فيهم من يقول بقول القدرية النافية ولا القدرية الجبرية ، ولا كان فيهم من يقول بتخليد احد من اهل القبلة في النار ، ولا من يكذب بشفاعة النبي ﷺ ، في اهل الكبائر ولا من يقول ايمان الفساق كايمان الانبياء بل ثبت عنهم با لاقوال الصحيحة ، القول بخروج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان من النار ، وان ايمان الناس يتفاضل ، وان الايمان يزيد وينقص الى غير ذلك من هذه القواعد الدينية التي اختلف فيها من بعد الصحابة ، لم يختلفوا فيها بالقول ولا بالخطوبات كما اختلف فيها من بعدهم ، وكثير من اتباع الائمة الاربعة قد خاضوا في هذه الاحداث التي خالفوا فيها السلف ، ودخلوا بها في جملة اهل الاهواء والبدع فهل يقول من له عقل او دين او ادنى ممارسة للعلوم انهم انما اخذوها عن الائمة الاربعة والائمة الاربعة اخذوها عن الصحابة والصحابة اخذوها عن النبي ﷺ ، سبحان الله ما اعظم شأنه كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، ونزيد هذا المقام ايضا بما ذكره شمس الدين ابن القيم فى ديباجة كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين ليتبين لك ضلال هذا المتنطع الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها ، قال : رحمه الله تعالى ولما كان التلقي عنه ﷺ على نوعين نوع بواسطة ونوع بغير واسطة ، وكان التلقي بلا واسطة حظ اصحابه الذين حازوا قصبات السباق واستولوا على الامد فلا طمع لا حد من الامة بعدهم في اللحاق ، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهاجهم القويم والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال ، فذلك المنقطع التائه فى بيداء المهالك والضلال ، فاي خصلة خير لم يسبقوا اليها ، واي خطة رشد لم يستولوا عليها ، تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذبا صافيا زلالا ، وايدوا قواعد الاسلام

فلم يدعوا لاحد بعدهم مقالا ، فتحوا القلوب بعد لهم بالقرآن والايمان والقرى بالجهاد بالسيف والسنان، والقوا الى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا ، وكان سندهم فيه عن نبيهم ﷺ عن جبرائيل عن رب العالمين سندا صحيحا عاليا ، وقالوا هذا عهد نبينا وقد عهدنا اليكم وهذا وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم ، فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقتفوا على اثارهم صراطهم المستقيم ، ثم سلك تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ، وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال اصدق القائلين : ثلة من الاولين وقليل من الاخرين ، ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل فى احدى الروايتين كما ثبت فى الصحيح من حديث ابي سعيد وابن مسعود وابي هريرة وعائشة وعمران بن حصين ، فسلكوا على آثارهم اقتصاصا واقتبسوا هذا الامر عن مشكاتهم اقتباسا وكان دين الله سبحانه اجل في صدورهم واعظم في نفوسهم من ان يقدموا عليه رأيا أومعقولا او تقليدا او قياسا ، فطار لهم الثناء الحسن في العالمين وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين ، ثم سار على آثارهم الرعيل الاول ودرج على منهاجهم الموفقون من اشياعهم زاهدين في التعصب للرجال واقفين مع الحجة والاستدلال يسيرون مع الحق اين سارت ركائبه وينقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه ، اذا بدا لهم الدليل باخذته طاروا اليه زرافات ووحدانا ، واذا دعاهم الرسول الى امر انتدبوا اليه ولا يسألون عما قال برهانا ونصوصه أجل في صدورهم واعظم في نفوسهم من ان يقدموا عليها قول أحد من الناس او يعارضوها برأي أو قياس ، ثم خلف من بعدهم خلوف فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً وكل

الى ربهم راجعون ، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون ورءوس اموالهم التي بها يتجرون ، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ، والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب ولسان الحق يتلو(عليهم ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب) قال الشافعي رحمه الله تعالى : اجمع المسلمون على ان من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له ان يدعها لقول احد من الناس ، قال ابو عمر وغيره من العلماء : اجمع الناس على ان المقلد ليس معدودا من اهل العلم وان العلم معرفة الحق بدليله ، وهذا كما قال ابو عمر رحمه الله تعالى فان الناس لا يختلفون ان العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل واما بدون الدليل فانما هو تقليد فقد تضمن هذا ان الاجماعان اخراج المتعصب بالهوى والمقلد الاعمى عن زمرة العلماء وسقوطها باستكمال من فوقها الفروض من وراثة الانبياء فان العلماء هم ورثة الانبياء فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذه بحظ وافر وكيف يكون من ورثة الرسول ﷺ من يجهد ويكدح في رد ما جاء به الى قول مقلده ومتبوعه ويضيع ساعات عمره فى التعصب والهوى ولا يشعر بتضييعه تالله انها فتنة عمت فاعمت ورمت القلوب فاصمت ربا عليها الصغير وهرم فيها الكبير واتخذ لاجلها القرآن مهجورا وكان ذلك بقضاء الله وقدره فى الكتاب مسطورا ولما عمت بها البلية وعظمت بسببها الرزية بحيث لا يعرف اكثر الناس سواها ولا يعدون العلم الا اياها فطالب الحق من مضانه لديهم مفتون ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون نصبوا لمن خالفهم في طريقهم الحبائل وبغوا له الغوائل ورموه عن قوس الجهل والبغي والفساد وقالوا لاخوانهم انا نخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد فحقيق بمن لنفسه عنده قدر

وقيسه ان لا يلتفت الى هؤلاء ولا يرضى بما لديهم واذا رفع له علم السنة النبوية شمر اليه ولم يحبس نفسه عليهم فما هي الا ساعة حتى يبعثر مافي القبور ويحصل ماني الصدر وتساوى اقدام الخلائق في القيام لله وينظر كل عبدماقدمت يداه ويقع التميز بين المحققين والمبطلين ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم انهم كانوا كاذبين انتهى . فتأمل ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في شأن الخلوف الذين خلفوا الرعيل الاول من اصحاب الائمة الاربعة وانهم فرقوا دينهم شيعا كل حزب بما لديهم فرحون الى آخر كلامه ليتبين لك ما في كلام هذا الملحد من الخطأ الواضح والخزي الفاضح الذي لم يسبقه اليه سابق فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب وقد تبين لك الحق وماذا بعد الحق الا الضلال والله المستعان .

﴿ فصل ﴾

ثم قال الملحد : المبحث الخامس في ترجمة الائمة الاربعة وغيرهم .

والجواب ان نقول لقد حكيت ولكن فاتك الشنب وذكرت من فضلهم ما لايفي بالمقصود من مناقب ذوي الفضائل والرتب وانما ذكرت قليلا من كثير ولم تأت من ذاك الا باليسير وقد ذكر العلماء من ذلك ما يشفي ويكفي ولكن العجب انك ذكرت الائمة الاربعة عموما وذكرت من فضلهم ما كان مشهورا معلوما واغفلت ذكر الامام احمد فلا ادري ما الموجب لذلك حيث لم تذكره بشيء من الفضائل فيما هنالك اذ لك جهل بفضائله ومناقبه ومقداره ام لشيء مما حاك في صدرك من انبائه واخباره وانه عندك من ائمة المحدثين الذين لهم قدم صدق في العالمين وهم فيما لديك قاصرون مقصرون عن درك درجة الائمة الثلاثة المبرزين الذين هم في الغاية والنهاية عند المحققين فلا جرم ان نذكر من فضائله ومزاياه نزرا يسيرا ونذكر من ذلك ما كان معلوما شهيراً فمن فضائله ومزاياه انه استحق الامامة بدلالة قوله تعالى (وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون) وانه اظهر السنة لما اضطرب امر الدين في شرق الارض وغربها قريبا من حتى كاد ان يذهب وصار العلماء بين منقلب ومرتاب ومداهن وشاك فاظهر الحق وبين اعلامه حتى استقر الدين كما اظهر ابو بكر الحق لاهل الردة حتى قيل هو الصديق وقال ابو يعلى : سمعت علي بن المديني يقول ان الله اعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث ابو بكر الصديق يوم الردة ، واحمد بن حنبل يوم المحنه ، وقال الخلال : حدثني الميموني سمعت علي بن المديني يقول : ما قام احد بامر الاسلام بعد

رسول الله ﷺ ما قام احمد بن حنبل قلت يا ابا الحسن ولا ابو بكر الصديق؟ قال : ولا ابو بكر الصديق ان ابا بكر الصديق كان له اعوان واصحاب واحمد بن حنبل لم يكن له اعوان ولا اصحاب ، واعطي من الصبر على امر الله في الضراء والسراء حيث تداوله اربعة خلفاء بعضهم بالضراء وثلاثة بعضهم بالسراء والكرامة فلم يتغير عن دينه لا مخافة هؤلاء وإذ هم له ولا لموافقة هؤلاء واكرامهم له هذا شيء لم يتفق لاحد من الائمة به فكان استحقاقه لمنصب الامامة بنص القرآن اقوى من غيره ولهذا الهم الله الامة خاصتها وعامتها وهم شهداء الله في الارض على تلقيبه بالامامة فيقال قال فلان : قال فلان وقال الامام احمد يقول ذلك المدعون وان لم يكونوا من اتباعه وايضا فانه قد اشتهر عند جميع الامة انه امام السنة حتى رضيه عامة اهل السنة اما ما في السنة الاعتقادية وان خالفوه في بعض مسائل الاحكام فتجد خلقا كثيرا من ائمة اصحاب مالك والشافعي واهل الحديث يقول احدهم انا على اعتقاد احمد ابن حنبل وانا في الفروع على مذهب فلان ومن لم يقل ذلك منهم فانه لا يخالفه وان لم ينتسب اليه بل قد يقول القول مالك والشافعي والاظهر لاحمد بن حنبل حتى ان المتكلمين الذين نتسبوا الى الذب عن السنة كابي محمد بن كلاب وابي عبد الله بن مجاهد وابي الحسن الاشعري انما صار لهم قول عند من اتبعهم باتباعهم لمقالته وذبهم عنها وانتسابهم اليه والى اصحابه كما ذكره الاشعري في كتابه الابانة وفي كتاب المقالات وكما تدل عليه مصنفاتهم فانه قال في الابانة ، لما قيل له قد انكرت ما قاله الجهمية والروافض والخوارج ونحوهم ، فيقول من تقولون وبدين من تدينون ؟ فقال : نأخذ بكتاب الله وسنة نبيه وجماع

المسلمين وبما كان عليه شيخنا وامامنا احمد بن حنبل نظر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون ولما خالفه مخالفون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي بان الله به الحق ودفع به الضلالة واوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم وحتى انه استفاض عند اهل اليمن ان جماعة من الفقهاء من اصحاب الشافعي وغيره تحيروا في الاعتقاد فصلوا ودعوا الله دعاء المضطر الى ان يهديهم فرأوا النبي ﷺ في المنام فامرهم باعتقاد احمد وقد رأوا في ذلك من المنامات ما يضيق هذا الموضع عن احصائها ومنامات المؤمنين اذا تواطأت على وجه واحد لم تكن الا حقا كما دل عليه قول النبي ﷺ وحتى ان جماهير الاولياء والصالحين وائمتهم لا يميلون الا الى طريقته لا سيما في الاصول حتى روى الامام يحيى بن يوسف الصرصري عن الامام ابي الحسن علي بن ادريس ذي الكرامات الظاهرة قال قلت للشيخ عبد القادر : هل كان لله ولي على غير اعتقاد احمد بن حنبل؟ قال : لا لا كان ولا يكون وتحقيق ذلك انه انتهى له من نصوص النبي ﷺ واصحابه والتابعين في مسائل الاصول ما لم ينته الى غيره يقينا وله في ذلك من الكلام الكثير والدعاء اليه ما ليس لغيره فاذا كان اماما في السنة الاصلية ومقاله راجح على غيره فيها والناس بعده تبع له كان هذا مرجحا له في السنة الفرعية لان العلم بالاصول يقوى على العلم بالفروع وايضا فانه كان اخر الائمة وجمع طرائقهم وطرائق غيرهم فانه جالس ابا يوسف ومحمدا او كتب كتب الرأي وحفظها وجالس سفيان بن عيينة والشافعي وغيرهما من فقهاء الحجاز وفقهاء الحديث وجالس يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وكلهم في الفقه على طريق اهل الحديث واطلع من نصوص

النبي ﷺ والصحابة والتابعين على ما لم يطلع عليه غيره مع شهادة الشافعي وغيره له بانه لم يكن في بغداد افقه منه وانه لم يكن في الدنيا مثل بغداد وهو شاب له بضع وثلاثون سنة فمن كان بهذه المثابة كان قد اجتمع عنده علوم الناس مع فقهه وتقواه فيكون اختياره اقرب من اختيار غيره فعلوم مالك والشافعي اجتمعت له الى غير ذلك مما ذكره العلماء من فضائله ومزاياه التي امتاز بها على من سواه ، ثم ذكر الملحد كلاماً لا لفائدة في الجواب عنه

ثم قال المعترض : ولا خلاف بين المسلمين بان اختلاف الائمة في الفروع هو عين الرحمة من الله تعالى الى آخر كلامه ٠

والجواب ان يقال : هذا الكلام لاينبغي ان يؤخذ على اطلاقه وعمومه بل يقتصر به في اختلاف التنوع مما قد شرع جميعه لكن المكروه المحرم المذموم من ذلك المعادات فيه والموالاة فيه والتحاسد والتدابر والتقاطع والبغي والحسد وارادة العلو في الارض والاختلاف المذكور ربما قد يكون منه طريقتان مشروعتان ورجل او قوم قد سلكوا هذا الطريق وآخرون سلكوا الاخرى وكلاهما حسن في الدين ثم الجهل والظلم يحمل على ذم احدهما او تفضيلها بلا قصد صالح او بلا علم او بلانية وبلا علم واما الاختلاف المذموم مطلقا فهو اختلاف التضاد

وهو القولان المتنافيان اما في الاصول واما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون المصيب واحد والا فمن قال ان كل مجتهد مصيب فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد لان القولين يتنافيان لكن تجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق او معه دليل يقتضي

حقا ما فيرد الحق في لاصل هذا كله حتى يبقى هذا مبطلا في البعض كما كان الاول مبطلا في الاصل وتمام الكلام في هذا مذكور مبسوط في « اقتضا الصراط المستقيم » لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فمن اراد الوقوف عليه فليراجعه هناك . بالله التوفيق » واما ما ذكره عن الشيخ عبد الغني النابلسي عن والده من الحديث الذي رواه البيهقي في المدخل بسنده عن ابن عباس فلم يذكر له اسناداً واذا لم يذكر له اسناداً فلا يعتمد عليه ولا يعول عليه ومثل هذا لا تثبت به الاحكام الشرعية الا بعد ذكر رواته وانهم عدول اثبات ليس فيهم مجروح ولا مغموز والله اعلم بصحته .

ومما ذكر بعد ذلك من قوله : ان الائمة الاربعة ضبطوا في كتبهم التفسير والحديث بقصد العمل بها فلذا تحروا وجه صحة ما دونوه وما اتفق عليه الصحابة وما اختلفوا فيه وما كان عليه التابعون بعد الصحابة وائمة الحديث ما دونوه بهذا القصد ولا تتبعوا فيه احوال الصحابة والتابعين بل دونوه لاجل حفظه فلذا ما كان مقصدهم تحري ما تحراه الائمة سيما ان الاربعة سبقوهم لبيان ما يجوز التعبد والتعامل فيه وما لا يجوز الى آخره

فالجواب : ان يقال هذا من الخطأ الواضح والافك الفاضح ومن اعظم الكذب والجرأة على منصب ائمة الحديث واهتضامهم بهذا القصد الخبيث ومن المعلوم بالضرورة ان ائمة الحديث انما دونوا ما دونوه من الحديث عن النبي ﷺ انما هو لقصد العمل به وقصد حفظه ضبطه كما قصد ذلك الائمة الاربعة وكان ايضا من المعلوم بالضرورة ان ائمة الحديث كانوا في العلم بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمقيد والمطلق والمجمل والمفصل والظاهر والمضمر

كالأئمة الاربعة بل الائمة الاربعة من احاد الألوف المؤلفة من ائمة الحديث الا انهم من افضلهم واشدهم اهتماما وكان اهتمامهم جميعا بما يصلح الامة وينفعها ويدفع عنهم الحرج في ذلك معلوما مشهورا عند من اصفى الله سريرته ونور بصيرته .

﴿ فصل ﴾

ومن ابشع خطأه لوضح سوء قصده الفاضح ما ذكره بقوله : فهذه كلها احاط الائمة الاربعة واصحابهم باطرافها وما تركوا فيها زيادة لمستزيد حال كون ائمة الحديث ما تعرضوا لشيء منها البتة بل سردوا الاحاديث سردا في ابوابها على علاتها فاذا وجدتم حديثا في البخاري او غيره في مسألة ومثله في موطأ مالك مثلا احدهما فيه تشديد والثاني فيه ترخيص لكم في معرفة الناسخ فترجحوه على المنسوخ وهكذا في سائر الاقسام التي تتوقف صحة الحكم على معرفتها وانتم لا تجدون في كتب الحديث بيانا ولا اشارة تهديكم الى الصواب » الى آخره . وهذا فيه من الجراءة والظلم والكذب ما يفيد شدة غباوة هذا المعترض وعداوته لائمة الحديث وتنقصه لهم واهتضامه لمقامهم الاسنى ومنصبهم الاعلى الذي يتقاصر عنه المتطاول ويحسر دونه في مهامه الغي كل غوي وجاهل ولعمري ان ائمة الحديث قد احاطوا بها علما وفصلوا احكامها حكما فحكما وبيان ذلك بما ذكره شمس الدين بن القيم رحمه الله فقال في كتابه « الوابل الصيب في الكلم الطيب » : وفي الصحيح من حديث ابي موسى عن النبي ﷺ قال : (مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها طائفة اجادب امسكت الماء فسقى الناس وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به) فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة الى الهدى والعلم ثلاث طبقات الطبقة الاولى ورثة الرسل والانبياء

عليهم الصلاة والسلام وهم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوا الى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهؤلاء اتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الارض التي زكت فقبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت في نفسها وزكى الناس بها وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الانبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال الله تعالى فيهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الايدي والابصار) الابصار في دين الله عز وجل فابالبصائر يدرك الحق ويعرف وبالقوى ويتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة اليه فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه فى الدين والبصر بالتأويل ففجرت من النصوص انهار العلوم واستنبطت منها كنوزها وزرعت فيها فهما خاصا كما قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد سئل :هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟فقال . لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي انبتته الارض وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية فانها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها فوردها الناس وتلقوها منهم فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها وغوامضها واسرارها واتجروا فيها وبذروها فى ارض قابلة للزرع والنبات ووردوها كل بحسبه قد علم كل اناس مشربهم وهولاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ نظر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وهذا عبد الله بن عباس حبر الامة وترجمان القرآن مقدار ما سمعه من النبي ﷺ نحو العشرين حديثا الذي يقول فيه سمعت ورأيت وسمع الكثير من الصحابة وبورك له في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علما وفقها

قال : ابو محمد بن حزم وجمعت فتاويه في سبعة اسفار كبار وهي بحسب ما بلغ جامعها والا فعلم ابن عباس كالبحر وفقها قال ابو محمد بن حزم وجمعت فتاويه في سبعة اسفار كبار وهي بحسب ما بلغ جامعها والا فعلم بن عباس كالبحر وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس وقد سمع كما سمعوا وحفظ القرآن كما حفظوا ولكن ارضه كانت من اطيب الاراضي واقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فانبتت من كل زوج كريم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . واين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى ابي هريرة وتفسيره وابو هريرة احفظ منه بل هو حافظ الامة على الاطلاق يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسا فكانت همته مصروفة الى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه وهمة ابن عباس مصروفة الى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الانهار منها واستخراج كنوزها ؟ وهكذا الناس بعده قسمان : قسم حفاظ معتنون بالضبط والحفظ والاداء كما سمعوا ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه وقسم معتنون بالاستنباط واستخراج الاحكام من النصوص والتفقه فيها فالاول كابي زرعة وابي حاتم وابن دارة وقبلهم كبندار محمد بن بشار وعمرو الناقد وعبد الرزاق وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر وسعيد بن ابي عروبة وغيرهم من اهل الحفظ والاتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط في تصرف واستخراج الاحكام من الفاظ النصوص والقسم الثاني كمالك والشافعي والاوزاعي واسحاق والامام احمد بن حنبل والبخاري وابي داود ومحمد بن نصر المروزي وامثالهم ممن جميع الاستنباط والفقه الى الرواية فهاتان الطائفتان هما اسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ وهم الذين قبلوه ورفعوا به راسا ، واما الطائفة الثالثة وهم اشقى

الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأسا ولا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية ؛ فالطبقة الاولى اهل رواية ودراية، والطبقة الثانية اهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية بل حظهم من الرواية الوفر ، والطبقة الثالثة الاشقيا لا رواية ولا دراية ولا رعاية انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا فهم الذين يضيقون الديار ويغلون الاسعار ان همة احدهم الا بطنه وفرجه فان ترقت همته فوق كان همه مع ذلك لباسه وزينته فان ترقت همته فوق ذلك كان في داره وبستانه ومركوبه وان ترقت همته لما فيه رياسة والانتصار للنفس الغضبية قد ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية الى نصرة النفس السبعية فلم يعطها احد من هولاء. فان النفوس ثلاثة كلبية وسبعية وملكية فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والعذرة، والسبعية لا تقنع بذلك بل لقهر النفوس تريد والاستعلاء عليها بالحق والباطل ، واما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت الى الرفيق الاعلى فهمتها العلم والايمان ومحبة الله تعالى والانابة اليه والطمأنينة به والسكون اليه وايثار محبته ومرضاته وانما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول الى فاطرها وربها ووليها لا لتنقطع به عنه، انتهى. فتأمل ماذكره بن القيم رحمه الله تعالى حيث جعل من القسم الذين اعتنوا بالاستنباط واستخراج الاحكام من النصوص والتفقه من ائمة الحديث كالاوزاعي واسحاق بن راهويه والبخاري وابي داود ومحمد بن نصر المروزي وامثالهم ممن لا يحصي عددهم الا الله وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه (الانتصار لاهل الاثر) بعد ان ذكر كلاما طويلا قال فنقول من المعلوم ان اهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ويمتازون عنهم بما ليس عندهم فان المنازع لهم لابد ان يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا آخر

مثل المعقول والرأي والمحاجة والمكاشفة ونحو ذلك وكل هذه لاهل الحديث صفوتها وخلاصتها فهم اكمل الناس عقلا واعدلهم قياسا واصوبهم رأيا واسدهم كلاما واصحهم نظرا واهداهم استدلالا واقومهم جدلا واتمهم فراسة واصدقهم الهاما واحدهم بصرا او مكاشفة واصوبهم سمعا ومخاطبة واعظمهم واحسنهم وجدا وذوقا وهذا للمسلمين بالنسبة الى سائر الامم ولاهل السنة والحديث بالنسبة الى سائر الملل فمن استقرأ احوال العالم وجد المسلمين احد واسد عقلا وانهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والاعمال اضعاف ما يناله غيرهم في قرون واجيال وكذلك اهل السنة والحديث تجدهم كذلك وذلك لان اعتقاد الحق الثابت يقوي الادراك ويصححه قال تعالى: (والذين اهتدوا زادهم هدى) وغير ذلك وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم فلا تجد مسألة خولفوا فيها الا تبين الحق معهم وتارة باقرار مخالفيهم ورجوعهم اليهم دون رجوعهم الى غيرهم وتارة بشهود المؤمنين الذين هم شهداء الله في الارض وتارة بان كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الاخرى وتشهد بالضلال على من خالفها اعظم مما تشهد به عليهم فاما شهادة المومنين فهذا ظاهر معلوم بالحس والتواتر لا تجد في الامة احدا اعظم مما عظموا به ولا تجد غيرهم يعظم الا بقدر ما وافقهم فيه كما لا ينقص الا بقدر ما خالفهم فيه حتى انك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك كما قال الامام احمد: اية ما بيننا وبينهم يوم الجنايز، فان الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته فاما وقت الموت فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق ولهذا لم يعرف في الاسلام مثل جنازته وانما نبل عند الامة باتباع الحديث والسنة وكذلك الشافعي واسحق ومالك والثوري والبخاري وغيرهم انما نبلوا عند الامة وقبل قولهم بذلك، وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم الا بسبب المواضع التي لم يتفق له

مابتعتها من الحديث والسنة وكذلك المسائل الاعتقادية لم ينل احد من الطوائف عند الامة الا بما معه من الاثبات والسنة ، فالمعتزلة اولا وهم فرسان الكلام ، انما يحمدون ويعظمون عند اتباعهم ومن يغض عن مساويهم بما واتقوا فيه من مذهب اهل السنة وردهم على الرافضة بعض ما خرجوا فيه عن السنة من امامة الخلفاء وعدالة الصحابة وقبول الاخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو في علي ونحو ذلك ، وكذلك الشيعة المتقدمون كانوا يرجحون على المعتزلة بما خالفوهم فيه من اثبات الصفات والقدر والشفاعة ونحو ذلك وكذلك كانوا يستحمدون بما خالفوا فيه الخوارج من تكفير عثمان وعلي وغيرهما وما كفروا به من المسلمين من الذنوب ويستحمدون بما خالفوا فيه المرجئة من ادخال الواجبات في الايمان ولهذ قالوا بالمنزلة وان لم يهتدوا الى السنة المحضة وكذلك متكلمة اهل الاثبات مثل لانباتية والكرامية والاشعرية انما قبلوا واتبعوا واستحمدوا الى عموم الامة بما اثبتوه من اصول الايمان من اثبات الصانع وصفاته واثبات النبوة والرد على اهل التناقض النفاة وبيان تناقض حججهم وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية وغيرهم من انواع المقالات التي يخالفون فيها السنة فحسناتهم نوعان : اما موافقة اهل الحديث واما الرد على من خالفهم ، ولم يتبع احد مذهب لاشعرية ونحوه الا لهذين وكلاهما وكل من انتصر له انما ينتصر له بذلك لا يحتجون له عند الامة وعلمائها وامره بها الا بهذين الوصفين كالبيهقي والقشيري وابن عساكر ولولا انه كان من اقرب بني جنسه بذلك لالحق بطبقته الذين لم يكونوا كذلك كشيخة ابي علي ورفيقه ابي هاشم لكن له من موافقة اهل الحديث في الصفات والقدر والشفاعة والحوض والصراط والميزان وله من الردود على المعتزلة وغيرهم وبيان تناقضهم ما اوجب ان يمتاز بذلك عن اولئك ويعرف

له قدره فقد جعل الله لكل شيء قدرا لكن الموافقة التي فيها قهر المخالف
واظهار فساد قوله هي من جنس المجاهد المنتصر فالراد على اهل البدع مجاهد
حتى كان يحي بن يحي يقول: الذب عن السنة افضل من الجهاد ، والمجاهد قد
يكون عدلا في سياسته وقد لايكون وقد يكون فيه فجور كقوله ان الله
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لاخلاق لهم ، ولهذا مضت السنة ان
يغزا مع كل امير برا كان او فاجرا ، والجهاد عمل مشكورا لصاحبه في الظاهر
ومع النية الحسنة مشكور باطنا وظاهرا ووجه شكره نصره للسنة والدين
فهكذا المنتصر للاسلام والسنة يشكر على ذلك من هذا الوجه فحمد الله رجال
عند الله ورسوله والمؤمنين بحسب ما وافقو فية دين الله اذا الحمد انما يكون على
الحسنات وهي ما وافق طاعة الله ورسوله من التصديق بخبر الله والطاعة لامره
وهذا هو السنة فالخير كله باتفاق الامة فيما جاء به الرسول ﷺ وكذلك ما يذم
من يذم من المنحرفين عن الشريعة الا بمخالفة ذلك ولهذا ذم السلف اهل الكلام
من الصفاتية كابن كلاب والاشعري لخفائه عليهم او اعراضهم عنه او اقتضا
اصل قياس مهدوه رد ذلك كما يقع نحوه في المسائل العملية فان مخالفة المسلم
الصحيح الايمان انما يكون لعدم علمه به او لاعتقاد صحة ما عارضه لكن هو
فيما ظهر من السنة وعظم امره يقع بتفريط في المخالف وعدوان فيستحق من
الذم مالا يستحقه فى الرد الخفي وكذلك فيما يوقع الفرقة والاختلاف يعظم امر
المخالفة للسنة ولهذا لما اهتم كثير من الملوك والعلماء بامر الاسلام وجهاد اعدائه
حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهمية وغيرهم على المنابر حتى لعنوا كل طائفة
رأوا فيها بدعة فلعنوا الكلابية والاشعرية ، كما كان في مملكة محمود بن سبكتكين
وفى دولة وكذلك الخليفة القادر بما اهتم بذلك ورفعوا اليه امره

القاضي ابي بكر ونحوه وهموا به حتى كان يختفي وانما تستر بمذهب احمد ثم ولي النظام وسعوا في رفع اللعنة واستفتوا من استفتوه من فقهاء العراق كالدمغاني الحنفي وابي اسحق الشيرازي وفتواهما حجة على من بخراسان من الحنفية والشافعية وقد قيل ان ابا اسحق استعفى من ذلك فألزموه وافتوا بانه لايجوز لعنتهم وعلل الدمغاني بانهم طائفة من المسلمين وعلل ابو اسحاق بان لهم ذبا وردا على اهل البدع فلم يمكن المفتي ان يعلل رفع الذم الا بموافقة الحديث ولهذا كان ابو اسحاق الشيرازي يقول انما نفقت الاشعرية عند الناس بانتسابهم الى الحنابلة وهذا ظاهر عليه وعلى ائمة اصحابه في كتبهم قبل وقوع الفتنة القشيرية ببغداد ولهذا قال ابن عساكر في مناقبه : ما زالت الحنابلة والاشاعرة في قديم الدهر متفقين حتى حدثت فتنة بين القشيري ثم بعد حدوث الفتنة وقبلها لا تجد من يمدح الاشعرية الا اذا وافق الحديث ولا يذمه من يذمه الا بمخالفة السنة والحديث وهذا اجماع من جميع هذه الطوائف على تعظيم السنة والحديث واتفاق شهادتهم على ان الحق في ذلك ولهذا تجد اعظمهم موافقة لائمة السنة والحديث اعظم عند جميعهم ممن هو دونه فالاشعري نفسه لما كان اقرب الى قول احمد ومن قبل كان عندهم اعظم من اتباعه والقاضي ابو بكر الباقلاني لما كان اقربهم الى ذلك كان اعظم عندهم من غيره واما مثل ابي المعالي وابي حامد ونحوهما ممن خالفوا اصوله في مواضع فلا تجدهم يعظمون الا بما وافقوا فيه السنة والحديث وبما ردوه مما يخالف السنة والحديث وبهذا القدر ينتحلون السنة وينحلونها والا لم يصح ذلك الى آخر ما ذكر رحمه الله ، فهذا ما ذكره العلماء العارفون بالله وبدينه وسنة نبيه ومقادير العلماء الافاضل والائمة الاماثل الذين حفظ الله بهم دينه وحموا حماه عن تلاعب هولاء الزنادقة جعلوا فقهاء ائمة الحديث

حملة السنة والقرآن وائمة اهل العلم والايمان لا يعرفون شيئاً من الاحكام ولا يستنبطونها من نصوص الكتاب والسنة ولا بينوا في كتبهم للناس ما يتعبدون الله به ويتعاملون فيه بل كان همتهم حفظ الحديث وضبطه من غير معرفة لعلله وناسخه ومنسوخه ومقيده ومطلقه ومجمله ومفصله وغير ذلك ثم ما سمحت نفس هذا الملحد حتى عمد الى امـام اهل الحديث وفقيهم ومقدمهم في الجرح والتعديل محمد بن اسماعيل البخاري والى ابي داود السجستاني فزعم انهما لم يبينا في كتابيهما الناسخ والمنسوخ واما غيره من ائمة اهل الحديث فلم يبينوا ذلك بل سردوا الاحاديث سردا وهذا لا يقوله الا من اعمى الله بصيرة قلبه وقد كانني ابراز كلامه هذا وتحريره بلفظه لاهل العلم بالله وبدينه وشرعه كفاية في بيان خزيه الفاضح وخطائه الواضح لكن ما سمحت نفسي الا بذكر هذه الاشارة اليسيرة لينتبه من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لعظم جناية هؤلاء الزنادقة الذين يتطلعون بالدخول في جملة اهل العلم وهم في الحقيقة من اعداء علماء الشريعة المحمدية وحملتها اهل الملة الحنيفية الذين هم ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وهم المعنيون بقوله ﷺ «لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم كذلك» قال الامام احمد رحمه الله : ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري منهم وكذلك ايضاً ما ذكره بعد ذلك بقوله : ورأيت في كثير من ابواب البخاري ، احاديث قد اجمعت الامة على ان احكامها منسوخة ولا تجد في البخاري حديثاً يشير لشيخ واحد منها وامثال هـذا يكاد لا يحصى الى آخر كلامه وهذا ايضاً من المخازي التي افتضح بها بين الامة فانه لم يسبقه الى هذا

المخرقة سابق ولم يتفوه بها قبله مشاقق ولا مناق بل جميع اهل السنة و الجماعة يشهدون له بالصحة التي لم يشاركه في شروطها احد من الخلائق واجمع العلماء على انه ليس تحت اديم السماء كتاب اصح من صحيح البخاري فكيف يماحل هذا المشقق بالشقاشق ويماري ، ثم نقول : من هؤلاء الامة التي اجمعت على ما ذكرته من الاحكام المنسوخة في صحيح البخاري وقد اعتنى ائمة اهل الحديث من اهل الجرح والتعديل ومن بعدهم بالنظر في احكامه غاية الاعتناء فما وجدوا الى ما ذكرته ـ ايها الملحد ـ سبيلا ولا على ما تخرقت به من الانتقاد ليلا فكيف تجد ذلك وانت لست من اهل العلم في شيء ولا تعرف الحي من الميت ؟

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

وقال آخر :

وقل للعيون الرمد للشمس اعين سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح نفوسا اطفأ الله نورها باهوائها لا تستفيق ولا تعي

وما ذنب ائمة اهل الحديث عند هؤلاء الملاحدة الا انهم اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ولم يقدموا عليها قول احد من الخلق كائنا من كان وتركوا لاجلها زي فلان وفلان فلذلك لم يكونوا عنده على ثقة من المعرفة والاتقان وليس لهم قوة على استنباط الاحكام من النصوص على اصح استنباط واتم بيان ولعمري ان النصوص ضامنة بذلك وقد فاز بقصب السبق اليها حملة السنة والقرآن ، قال ابن القيم رحمه الله :

فاعجب لعميان البصائر ابصروا ... كون المقلد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد اولى من سواه ... بغير ما برهان
وعموا عن الوحيين اذ لم يفهموا ... معناهما عجبا لذا الحرمان
قول الشيوخ اتم تبيانا من الوحيين ... لا والواحد الرحمان
النقل نقل صادق والقول من ... ذي عصمة في غاية التبيان
وسواه اما كاذب او صح لم ... يك قول معصوم وذي تبيان
افيستوي النقلان يا اهل النهي ... والله لا يتماثل النقلان
هذا الذي القى العداوة بيننا ... في الله نحن لاجله خصمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكهم فما ... رجلان منا ، قط ، يلتقيان
انا ابينا ان ندين بما به ... دانوا من الآراء والبهتان
انا عزلناها ولم نعبا بها ... يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفاه ... الله شر حوادث الازمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفاه ... الله شر حوادث الازمان
من لم يكن يغنيه ذان رماه رب ... العرش بالاعدام والحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلا هداه ... الله سبل الحق والايمان
ان الكلام مع الكبار وليس مع ... تلك الاراذل سفلة الحيوان
ارساخ هذا الخلق بل انتانه ... جيف الوجود واخبث الانتان

انتهى . ثم ان هذا الملحد ذكر بعد هذا ان من علماء المتقدمين منهم من اعلام الفقهاء واجلاء المحدثين والمفسرين والاولياء والفلاسفة والحكماء من اهل السنة واذا كان الفلاسفة وحكماؤهم عنده من اهل السنة وانهم على مذاهب

الائمة الاربعة فقد سقط الكلام معه لانه قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان هؤلاء لم يكونوا من اهل الاسلام فضلا عن ان يكونوا من اهل السنة ولا ادري ما مراده بالمذهب الخامس ؟ يعني بهم من اخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له وتركوا عبادة ما سواه من الانبيا والاوليا والصالحين والاحجار والاشجار والطواغيت فلم يشركوا بالله شيئاً وجردوا متابعة الرسول ﷺ فلم يقدموا على قوله قول احد من البشر كائناً من كان ؟ فان كان هذا هو المذهب الخامس عنده فليشهد الثقلان انا على هذا المذهب وان سماه اعداء الله ورسوله مذهبا خامساً عليه نحيا وعليه نموت وعليه نبعث ان شاء الله تعالى :

فان كان دينا خامساً دين محمد — شفيع الورى الهادي الى منهج الرشد
لديكم ومن يأتي به متوهب — على غير دين المصطفى كامل المجد
بدعوى ذوي الاشراك والكفر والردى — وتلقيبهم اهل الهدى بالذي يردى
فنشهدكم انا على ذلك الذي — اتى به المعصوم افضل من يهدى
وان كان قد سماه اعداء دينه — ليشنا دينا خامساً قول ذي اللد
فذلك لا يجدى لدى كل منصف — عليم بما يجدى وما ليس بالمجدى
ومن كان لا يدري وليس بعالم — فاقواله مردودة عند ذي النقد
وما ضرنا ان قد تجارى بسبنا — ذوو النفي والاشراك من كل مرتد
فليس يضر السحب كلب بنبحه — كذلك سب المعتدي لذوي الرشد
ودونك ما ابداه (عمران) ذو التقى — وذو العلم والانصاف في كل ما يبدى
فقد قال ما يشفي الاوام من الصدى — ويكمد اكباد الغواة ذوي الجحد

قال الشيخ ملا عمران بن رضوان اسكنه الله أعالي الجنان :

ان كان تابع (احمد) متوهبا فانا المقر بأنني وهابي
أنفي الشريك عن الاله فليس لي رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبة ترجى ، ولا وثن ولا قبر له سبب من الاسباب
كلا ولا شجر ولا حجر ولا عين ولا نصب من الانصاب
ايضا ولست معلقا لتميمة او حلقة او ودعة او ناب
لرجاء نفع او لدفع بلية الله ينفعني ويدفع ما بي
والابتداع وكل امر محدث في الدين ينكره اولو الالباب
ارجو بأني لا اقاربه ولا ارضاه دينا وهو غير صواب
وامر آيات الصفات كما اتت بخلاف كل مؤول مرتاب
والاستواء فان حسبي قدوة فيه مقال السادة الاقطاب
كالشافعي ومالك وابي حنيفة وابن حنبل التقي الاواب
وكلام ربي لا اقول عبارة كمقال ذي التاويل في ذا الباب
بل انه عين الكلام اتى به جبريل ينسخ حكم كل كتاب
هذا الذي جاء الصحيح بنصه وهو اعتقاد الآل والاصحاب
وبعصرنا من جاء معتقدا به صاحوا عليه مجسما وهابي
جاء الحديث بغربة الاسلام فلـ يبك المحب لغربة الاحباب
هذا زمان من أراد نجاته لا يعتمد الا حضور كتاب
خير له من صاحب متجهم ذي بدعة يمشي كمشي غراب
مهما تلى القرآن قال عبارة اي انه كترجم لخطاب
واذا تلى آي الصفات يخوض في تاويله خوضا بغير حساب

فالله يجمعنا ويحفظ ديننا من شر كل معاند سباب
ويؤيد الدين الحنيف بعصبة متمسكين بسنة وكتاب
لا يأخذون برأيهم وقياسهم ولهم الى الوحيين خير مآب
لا يشربون من المكدر انما لهم من الصافي لذ شراب
قد اخبر المختار عنهم انهم غرباء بين الاهل والاصحاب
في معزل عنهم وعن شطحاتهم وعن الغلو وعن بناء قباب
سلكوا طريق السابقين على الهدى ومشوا على منهاجهم بصواب
من اجل ذا اهل الغلو تنافروا منهم فقلنا ليس ذا بعجاب
نفر الذين دعاهم خير الورى اذ لقبوه بساحر كذاب
مع علمهم بامانة وديانة وصيانة فيه وصدق جواب
صلى عليه الله ما هب الصبا وعلى جميع الآل والاصحاب

انتهى ، ولا شك عند من اصفى الله سريرته ونور بصيرته انهم كانوا على الحق على ما كانت عليه الفرقة الناجية اهل السنة والجماعة وانهم إن شاء الله تعالى سيحشرون تحت لواء محمد ﷺ لأنهم ، ولله الحمد والمنه ، هم اتباعه على الحقيقة القائمون بدينه والمعتصمون بكتاب الله وسنة رسوله ولو كره الكافرون ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، وما ذكره من لوقاحة وما رموه به من القباحة لانكار فيه على ذلك بل نقول حسبنا الله ونعم الوكيل (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم .)

فصل

قال الملحد : المسألة الثانية في التوسل بالزيارة ثم ذكر مخرقة لافائدة في الجواب عنها ، ثم قال : وقد يرمي الانسان في شرك الشرك من طريق الطاعة كن رمى الوهابيين واخوانهم باغوائهم على ان التوسل بجاه الرسول عليه الصلاة والسلام بزيارة قبره الشريف شرك بالله ومناف للتوحيد واغواهم بما جاء في القرآن العظيم بحق المشركين فذهب بايمانهم تحت ستار العبادة وغرس في قلوبهم بغض رسول الله ومعاداته بتعطيل الطاعة ففسروا الزيارة بمعاني عبادة الاوثان وشبهوا التوسل بما يفعله مشركو العرب وغيرهم ، فانظر ما اشقاهم واحمقهم وابعدهم عن الحق ولو صح لهم هذا التأويل الباطل لكانوا هم اشد الناس شركا لانهم يزورون الامراء والحكام ويتزلفون اليهم ويتوسلون ببعضهم في حوائجهم بكل قول وعمل وربما خاب املهم بما يرجون الى آخر كلامه .

والجواب ، ومن الله استمد الصواب ، ان يقال لهذا الملحد الضال المضل الذي ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فوقع في شرك الشرك العظيم ونهج منه المنهج الوخيم وسلك في طريق اصحاب الجحيم ونكب عن طريقة اهل الدين القويم والصراط المستقيم فبعدا للقوم الظالمين : قد كان من المعلوم ان الوهابية لا يقولون ان التوسل بذات النبي ﷺ وجاهه وحقه وزيارة قبره الشريف شرك بالله بل هذا من الكذب الموضوع على الوهابية وهم ولله الحمد ، فيما يقولونه وينتحلون على صراط مستقيم ولا يقولون بجهل الجاهلين وانتحال المبطلين الزائغين عن الدين القويم ، بل يقولون ان التوسل بجاه النبي ﷺ من البدع المحرمة المحدثة في الاسلام لانه لم يرد نص عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا من بعدهم من سلف الامة وائمتها المهتدين

واذا كان ذلك كذلك فنقول لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعياً وشافعا مثلا او لكون الداعي محبا له مطيعا لامره مقتديا به فيكون بالتسبب اما بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء عنه ولا بشيء من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بالشيء. قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام اذا تبين لك هذا فاعلم ان معنى التوسل في لغة الصحابة رضى الله عنهم وعرفهم ان يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وهذا لا محذور فيه بل هذا هو المشروع كما في حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين ، فانهم توسلوا الى الله بصالح الاعمال لان الاعمال الصالحة هي اعظم ما يتوسل به العبد الى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به لانه وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ، وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، وهؤلاء دعوه بعبادته وفعل ما امر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه فمن جعل دعاء الاولياء والصالحين سببا لنيل المقصود كان يطلب من الولي والصالح في حال الحياة ان يدعو الله له لكونه مطيعا الله محبا له فيشفع له عند الله بدعاء الله ل فهذا حق ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون الى الله سبحانه برسوله فيدعو لهم ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فاستسقوا به) كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ

في حياته وهو نهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمامومين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم ان يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، فاذا تحققت ذلك ، فاعلم ان التوسل فى عرف اهل هذا الزمان من عباد القبور واصطلاحهم هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين وصرف خالص حق الله تعالى بجميع انواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الحوائج من الولائج في المهمات والملمات لكشف الكربات واغاثة اللهفات ومعافات اولي العاهات والبليات الى غير ذلك من الامور التي صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله كان مشركا فهذا هو الذي تنكره الوهابية ويقولون انه شرك بالله ومناف للتوحيد وبذلك قال اهل العلم من سلف الامة وائمتها ، واما زيارة قبر النبي ﷺ على الوجه المشروع فالوهابية لا ينكرونها بل هي من افضل الاعمال وانما ينكرون شد الرحال الى ذلك لقوله ﷺ (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجدي هذا) واما قوله : وغرس في قلوبهم بغض الرسول ومعاداته الى آخره ، فالجواب ان يقال : ليس في اتباع ما أمر الله به ورسوله من طاعته وطاعة رسوله واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله وحذرأمته عن ذلك ما يوجب البغض للنبي ﷺ ومعاداته بل ذلك عين تعظيم الله ورسوله وتعظيم اتباعه كما ذكر ذلك اهل العلم في كل مصنف وكتاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، قدس الله روحه ونور ضريحه في الجواب الباهر . الوجه الثالث . ان يقال لا ريب ان اهل البدع يحجون الى قبور الانبياء والصالحين ويزورونها زيارة الذين لا يقصدون الدعا لهم

كالصلاة على جنائزهم بل الزيارة عندهم والسفر لذلك من باب تعظيمهم لعظم جاههم وقدرهم عند الله ومقصودهم دعاؤهم والدعاء بهم او عندهم طلب الحوائج منهم وغير ذلك مما يقصد بعبادة الله تعالى ، ولهذا يقولون : ان من نهى عن ذلك فقد تنقص بهم ، فهذا القول مبني على ذلك الاعتقاد والقصد والظن ، والنصارى يحجون الى الكنائس لاجل ما فيها من التماثيل ولاجل من بنيت لاجله كما يحجون الى موضع قبر المسيح عندهم الكنيسة التي يقال انها بنيت على قبره موضع الصلب بزعمهم ، وهم يبنون الكنائس على من يعظمونه مثل جرجس وغيره ، فيتخذون المعابد على القبور وهم ممن لعنهم النبي ﷺ على ذلك تحذيراً لامته وقال لامته (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك) رواه مسلم . والكنيسة التي بنيت موضع ولادته المسماة ببيت لحم وكنائس أخر التي يسمونها القيامة وكان صاحب الفيل قد بنى كنيسة باليمن واراد ان يصرف حج العرب عن الكعبة اليها فدخلها بعض العرب واحدث فيها فغضب وجمع الجنود وسار بالفيل ليهدم الكعبة حتى فعل الله به ما فعل ، وكذلك كان بالطائف (اللات) وكانوا يحجون اليها وفي حديث ابي سفيان عن امية بن ابي الصلت لما اخبر عن العالم الراهب انه قد اظل زمان نبي يبعث من العرب طمع امية بن ابي الصلت ان يكون اياه وقال له ذلك العالم : انه من اهل بيت تحجه العرب ، فقال : نا معشر ثقيف فينا بيت تحجه العرب قال انه ليس منكم انه من اخوانكم من قريش وذلك البيت هو بيت اللات المذكور في قوله تعالى (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) والطائف ومكة هما القريتان اللتان قالوا فيها (لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وآخر غزوات النبي

ﷺ من غزوات القتال هي غزوة الطائف ولم يفتحها ثم ان اهلها اسلموا وطلبوا من النبي ﷺ ان يمتعهم باللات حولا فامتنع من ذلك وهدمها وامر ببناء المسجد موضعها واستعمل عليهم عثمان بن ابي العاص الثقفي ، وهذا معروف عند اهل العلم ، والمقصود انهم كانوا يسمون السفر الى مثل ذلك حجا ويقولون ان بيت اللات يحج كما تحج الكعبة وكانوا يحجون الى (العزى) وكانت عند (عرفات) ويحجون الى مناة الثالثة الاخرى وهي حذو (قديد) فكان لكل مدينة من مدائن الحجاز وثن يحجون اليه ، فاللات بالطائف ، والعزى عند مكة ، ومناة لاهل المدينة ، كانوا يهلون لها ، وهؤلاء الذين يحجون الى القبور يقصدون ما يقصده المشركون الذين يقصدون بعبادة المخلوق ما يقصده العابدون لله منهم من قصده قضاء حاجته واجابة سؤاله يقول هؤلاء اقرب الى الله مني فانا اتوسل بهم فهم يتوسلون لي في قضاء حاجتي كما يتوسط بخواص الملوك لمن يكون بعيداً عنهم وقد ينذر لهم او يأتي بقربان بلا نذر ويتقربون اليهم بما ينذرونه ويهدونه الى قبورهم كما يتقرب المسلمون بما يتقربون بــه الى الله من الصدقات والضحايا وكما يهدون الى مكة انواع الهدى ، ومنهم من يجعل لصاحب القبر نصيبا من ماله او بعض ماله او يجعل ولده له كما كان المشركون يفعلون بآلهتهم ومنهم من يسيب لهم السوائب فلا يذبح ولا يركب ما يسيب لهم من بقر وغيرهـا كما كان المشركون يسيبون لطواغيتهم فهذا صنف وصنف ثان يحجون الى قبورهم لما عندهم من المحبة للميت والشوق اليه او التعظيم والخضوع له فيجعلون السفر الى قبره او الى صورته الممثلة تقوم مقام السفر الى نفسه لو كان حيا ويجدون بذلك انساً في قلوبهم وطمأنينة وراحة كما يحصل لكثير من المحبين اذا رأى قبر محبوبه وكما يحصل للقريب والصديق اذا رأى قبر قريبه وصديقه لكن ذلك

حب وتعظيم ديني فهو اعظم تأثيرا في النفوس ولهذا يجد كل قوم عند قبر من يحبونه ويعظمونه مالا يجدونه عند قبر غيره وان كان افضل وكثير من اتباع المشائخ والائمة يجد عند قبر شيخه وإمامه مالا يجده عند قبور الانبياء لانبيا ولا غيره ، وذلك لان الوجد الذي يجدونه ليس سببه نفس فضيلة المزور بل سببه ما قام بنفوسهم من حبه وتعظيمه وان كان هو لا يستحق ذلك ، بل قد يكون المزور كافرا مشركا او كتابيا ، والمحبون له المعظمون يجدون مثل ذلك وهذا كما ان عباد الاوثان الذين جعلوهم انداد الله يحبونهم كحب الله يجدون عند الاوثان مثل ذلك وكذلك عباد العجل ، قال الله تعالى : (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) اي حب العجل ، هذا قول الاكثرين وموسى حرقه ثم نسفه فانه كان قدصار لحما وقيل بل أشربوا برادته التي كانت في الماء وان موسى برده لكونه كان ذهبا والاول عليه الجمهور وهو أصح ، وقد سئل سفيان ابن عيينة عن اهل البدع والاهواء ان عندهم حبا لذلك ، فاجاب السائل : بان ذلك كقوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله) وقوله (واشربوا في قلوبهم العجل) والله تعالى في كتابه قد ذكر حب المشركين الهتهم وبين ان من الناس من يتخذ الهه هواه اي يجعل ما يالهه ويعبد ما يهواه فالذي يهواه ويحبه هو الذي يعبده ، ولهذا ينتقل من آله الى اله كالذي ينتقل من محبوب الى محبوب اذا كان لم يحب بعلم ، وهذا ما يستحق ان يحب ولا عبد من يستحق ان يعبد بل احب وعبد ما احبه من غير علم ولا هدى ولا كتاب منزل ، قال تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا) الى قوله (سبيلا) وقال تعالى : (افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم) قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس ذلك الكافر اتخذ

دينه بغير هدى من الله ولا برهان ، وقال سعيد بن جبير : كان احدهم يعبد الحجر فاذا رأى ما هو احسن منه رماه وعبد الآخر ، وقال الحسن البصري : ذاك المنافق نصب هواه فما هوى من شيء ركبه وقال قتادة : أي والله كلما هوي شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً اتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى.رواهن ابن ابي حاتم وغيره ، وقد قال تعالى (وما لكم لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) الآية ، وقال تعالي (فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) الى قوله (بغير هدى من الله) وقال تعالى عن المشركين (افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) الى قوله (فهم عن ذكرهم معرضون) وقال تعالى (قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الي قوله (يسألون) فالذين يحجون الى القبور هم من جنس الذين يحجون الى الاوثان ، والمشركون يدعون مع الله الهاً آخر يدعونه كما يدعون الله واهل التوحيد لا يدعون الا الله لا يدعون مع الله الهاً آخر لادعاء سؤال وطلب ولا دعاء عبادة وتأله والمشركون يقصدون هذا وهذا وكذلك الحجاج الى القبور يقصدون هذا وهذا ومنهم من يصور مثال الميت ويجعل دعاءه ومحبته والأنس به قائماً مقام صاحب الصورة سواء كان نبياً او رجلا صالحا او غير صالح ، وقد يصور المثال له ايضا كما يفعل النصارى ، وكثيراً ما يظنون في قبر انه قبر نبي او رجل صالح ولا يكون ذلك قبره بل قبر غيره او لايكون قبرا وربما كان قبر كافر وقد يحسنون الظن بمن يظنونه رجلا صالحاً وليا لله ويكون كافرا او فاجرا كما يوجد عند المشركين واهل الكتاب وبعض الضلال من اهل القبلة وهذا الجنس من الزيارة ليس مما شرعه الرسول لا اباحة ولا ندبا ولا استحبه احد من ائمة الدين بل هم متفقون على النهي عن هذا الجنس كله ؛ وقد لعن رسول الله

ﷺ في الاحاديث الصحيحة المستفيضة ،اهو اقرب من هؤلاء. وهم الذين اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا واخبر أن من كان قبلنا كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد ، وقال : الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك ، فاذا كان قد نهى ولعن من يتخذها مسجدا يعبد الله فيه ويدعي لان ذلك ذريعة ومظنة الى دعاء المخلوق صاحب القبر وعبادته فكيف بنفس الشرك الذي سد ذريعته ونهى عن اتخاذها مساجد لئلا يفضي ذلك اليه فمعلوم ان صاحبه احق باللعنة والنهي وهذا كما انه نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، وقال (فانها تطلع بين قرني شيطان) وحينئذ يسجد لها الكفار ونهى عن تحري الصلاة في هذا الوقت لما فيه من مشابهة الكفار في الصورة وان كان المصلي يقصد السجود لله لا للشمس لكن نهى عن المشابهة في الصورة لئلا يفضي الى المشاركة في القصد فاذا قصد الانسان السجود للشمس وقت طلوع الشمس ووقت غروبها كان احق بالذم والنهي والعقاب ، ولهذا يكون هذا كافرا كذلك من دعى غير الله وحج الى غير الله هو ايضا مشرك والذي فعله كفر لكن قد لا يكون عالما بان هذا شرك محرم كما ان كثيرا من الناس دخلوا في الاسلام من التتار وغيرهم وعندهم اصنام لهم صغار من لبد وغيره وهم يتقربون اليها ويعظمونها ولا يعلمون ان ذلك محرم في دين الاسلام، ويتقربون الى النار ايضا ولا يعلمون ان ذلك محرم فكثير من انواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الاسلام ولا يعلم انه شرك فهذا ضال عمله وعمله الذي اشرك فيه باطل لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجه قال تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون) وفي صحيح ابي حاتم وغيره عن النبي ﷺ انه قال الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل فقال ابو بكر : يا رسول الله فكيف ننجو منه

قال قل : اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم وكذلك كثير من الداخلين في الاسلام يعتقدون ان الحج الى قبر بعض الائمة والشيوخ افضل من الحج او مثله ولا يعلمون ان ذلك محرم لا يجوز وقد بسطنا الكلام في هذا في مواضع والمقصود هنا ان هؤلاء المشركين الذين يجعلون اصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك اصحاب الاوثان باوثانهم يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم وقد جعلوهم اندادا يحبونهم كحب الله هم الذين يقولون لمن نهى عن هذا الشرك وامر بعبادة الله وحده انه تنقصهم وعاداهم وعاندهم كما يزعم النصارى ان من جعل المسيح عبدا لله لا يملك ضرا ولا نفعا انه قد تنقص المسيح وعاداه وسبه وعانده واما من عرف ان الانبياء نهوا عن هذا الشرك فاطاعهم واتبع سبيلهم وعبد الله وحده فهذا يمتنع ان يقول هذا تنقص ومعاداة فهذا الفرقان الذي يفصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان والانبياء تجب محبتهم وموالاتهم وتعزيرهم وتوقيرهم لاسيا خاتم الرسل صلواة الله عليهم اجمعين وقد ثبت في الصحيحين عن انس عن النبي ﷺ انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين، وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال : والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم الحديث وفي البخاري عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر : يا رسول الله لأنت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال له عمر : فانه الآن والله لانت احب الي من نفسي، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر وفي الصحيحين عن انس عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه

مما سوهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي بعض طرق البخاري لا يجد احد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لايحبه الا الله وذكرالحديث وتصديق هذه الاحاديث في كتاب الله ، قال تعالى : قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الاية ومحبة الرسول هي من محبة الله فهي حب لله وفي الله ليست محبة محبوب مع الله كالذين قال الله فيهم ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله والحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان كما جاء في الحديث وحب ندمع الله شرك لا يغفره الله فاين هذا من هذا والمحبة التي اوجبها الله لرسوله وللمؤمنين لايختص ببقعة لاتختص بقبورهم ولا غيرها وكذلك سائر حقوقهم من الايمان بهم وما يدخل في ذلك فان ذلك واجب في كل موضع وكذلك الصلاة والسلام على الرسول وغير ذلك فمن يجد قلبه عند قبرالرسول اكثر محبة له وتعظيما ولسانه اكثر صلاة عليه وتسليما مما يجده في سائر المواضع كان ذلك دليلا على انه ناقص الحظ مبخوس النصيب من كمال المحبة والتعظيم وكان فيه من نقص الايمان والحفاظ الدرجة بحسب هذا التفاوت بل المأمور به ان تكون محبته وتعظيمه وصلاته وتسليمه عند غير القبر اعظم فان القبر قد حيل بين الناس وبينه وقد نهى ان يتخذ عيدا ودعى الله ان لا يجعل قبره وثنا فان لم يجد ايمانه به ومحبته له وتعظيمه له وصلاته عليه وتسليمه عليه اذا كان في بلده اعظم مما يكون لو كان في نفس الحجرة من داخل لكان ناقص الحظ من الدين وكمال الدين واليقين فكيف اذا لم يكن من داخل بل من خارج فهذا هذا والله اعلم .

الوجه الرابع : ان يقال عداوة الانبياء وعنادهم هو بمخالفتهم لا بموافقتهم

كن نهى عما امروا به من عبادة الله وحده وامر بما نهوا عنه من الشرك بالمخلوقات كلها بالملائكة والانبياء. والشمس والقمر والتماثيل المصورة لهؤلاء وغير ذلك ومن كذبهم فيما اخبروا به من ارسال الله لهم وما اخبروا به عن الله من اسمائه وصفاته وتوحيده وملائكته وعرشه وما اخبروا به من الجنة والنار والوعد والوعيد فلا ريب ان من كذب ما اخبروا به ونهى عما امروا به وامر بما نهوا عنه فقد عاداهم وعاندهم واما من صدقهم فيما اخبروا به واطاعهم فيما امروا به فهذا هو المؤمن ولي الله الذي والاهم واتبعهم واذا كان كذلك فننظر فيما جاء عن نبينا محمد ﷺ وغيره من الانبياء ان كانوا امروا بالسفر الى القبور كما يسافر المسافرون لزيارتها يدعونها ويستغيثون بها ويطلبون منها الحوائج ويتضرعون لها اي لا صحابها ويرون السفر اليها من جنس الحج او فوق اوقريب منه فمن نهى عما امر به الرسول ورغب فيه يكون مخالفا له وقد يكون بعد ظهور قوله واصراره على مخالفته معاديا ومعاندا كما قال تعالى : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وان كان الرسول لم يأمر بشيء من ذلك ولكن شرع السفر الى المساجد الثلاثة ، وقال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى ، ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك وهو اهون من الحج اليها ومن دعا اصحابها من دون الله فان هذا هو الذي جاءت به الانبياء. دون ذلك فالمخالف للرسول الامر بما نهى عنه من شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة الامر بالسفر الى زيارة القبور قبور الانبياء. والصالحين وهذا السفر قد علم انه من جنس الحج وعلم ان اصحابه يقصدون به الشرك اعظم مما يقصد الذين يتخذون القبور مساجد الذي لا ينهي عما نهى عنه الرسول من اتخاذ القبور مساجد واتخذها عيدا واوثانا المعادي لمن

وافق الرسول فامر بما امر ونهى عما نهى المكفر لمن وافق الرسول المستحل دمه هو احق بان يكون معاديا للرسول معاندا له مجاهرا بعداوة اولياء الرسول وحزبه ومن كان كذلك كان هو المستحق لجهاده وعقوبته بعد اقامة الحجة عليه وبيان ما جاء به الرسول دون الموافق للرسول الناصر لسنته وشريعته وما بعثه الله به من الاسلام والقرآن ولكن هذا من جنس اهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويعادون من خالفها وينسبونها الى الرسول افترا وجهلا كالرافضة الذين يقولون ان المهاجرين والانصار عادوا الرسول وارتدوا عن دينه وانهم هم اولياء الله والخوارج المارقين الذين يدعون ان عثمان وعليا ومن والاهما كفار بالقرآن الذي جاء به الرسول ويستحلون دماء المسلمين بهذا الضلال ولهذا امر النبي ﷺ بقتالهم واخبر بما سيكون منهم وقال فيهم : يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقرأءته مع قرائهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله ، وقال لئن ادركتهم لاقتلنهم : قتل عاد والاحاديث فيهم كثيرة وعظم ذنبهم بتكفير المسلمين واستحلال دمائهم واموالهم والا فلا لم يفعلوا ذلك لكان لهم اسوة امثالهم من اهل الخطا والضلال ومعلوم ان الشرك بالله وعبادة ما سواه اعظم الذنوب والدعا اليه والامر به من اعظم الخطايا ومعاداة من ينهي عنه ويأمر بالتوحيد وطاعة الرسول اعظم من معاداة من هو دونه ولولا بعد عهد الناس باول الاسلام وحال المهاجرين والانصار ونقص العلم وظهور الجهل واشتباه الامر على كثير من الناس لكان هؤلاء المشركون والامرون بالشرك مما يظهر كفرهم وضلالهم للخاصة والعامة اعظم مما يظهر ضلال الخوارج والرافضة فان اولئك تشبثوا باشياء من الكتاب والسنة وخفي

عليهم بعض السنة اللهم الا من كان منافقا زنديقا في الباطن مثل بعض الرافضة ويقال ان اول من ابتدعه كان منافقا زنديقا فان هولاء من جنس امثالهم من الزنادقة والمنافقين بخلاف الخوارج فانهم لم يكونوا زنادقة منافقين بل كان قصدهم اتباع القرآن لكن لم يكونوا يفهمونه كما قال فيهم النبي ﷺ يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فالمبتدع العابد الجاهل يشبههم من هذ الوجه واما الحجاج الى القبور والمتخذون لها اوثانا ومساجدا واعيادا فهولاء لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم منهم طائفة تعرف ولا كان في الاسلام قبر ولا مشهد يحج اليه بل هذا انما ظهر بعد القرون الثلاثة والبدعة كلما كانت اظهر مخالفة للرسول يتأخر ظهورها وانما تحدث اولا ما كان اخفى مخالفة للكتاب والسنة كبدعة الخوارج ومع هذ فقد جاءت الاحاديث الصحيحة فيها بذمهم وعقابهم واجمع الصحابة على ذلك ، قال الامام احمد : صح فيهم الحديث من عشرة اوجه وقد رواها صاحبه مسلم كلها في صحيحة وروى البخاري قطعة منها واما بدع اهل الشرك وعباد القبور والحجاج اليهم فهذا ما كان يظهر في القرون الثلاثة لكل احد مخالفة للرسول فلم يتجرأ حد ان يظهر ذلك في القرون الثلاثة وبسط هذا له موضع آخر ولكن نبهنا على ما به يعرف ما وقع فيه مثل هذا المعترض وامثاله من الضلال والجهل ومعاداة سنة الرسول ومتبعيها وموالاة اعداء الرسول وغير ذلك مما يبعدهم عن الله ورسوله ثم من قامت عليه الحجة استحق العقوبة والا كانت اعماله البدعية المنهي عنها باطلة لا ثواب منها وكانت منقصة له خافضة له بحسب بعده عن السنة فان هذا حكم اهل الضلال وهو البعد عن الصراط المستقيم وما يستحقه اهله من الكرامة ثم قامت عليه الحجة استحق العقوبة والا كان بعده ونقصه وانخفاض درجته وما يلحقه في الدنيا

والآخرة من انخفاض منزلته وسقوطه حرمته وانحطاط درجة جزاءه والله حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة وهو عليم حكيم لطيف لما يشاء سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وله الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون . انتهى .

فرد من كلام الشيخ اعذب منهل … وذقه تجد طعما ألذ من الشهد
يريك صراطاً مستقيما على الهدى … وسالكه حقا يسير على القصد
دلائله كالشمس تغدو شهيرة … ولا تختفي الا على الاعين الرمد
فخذ بكلام الشيخ ان كنت عالما … محقا وخذ بالعلم عن كل ذي نقد
ودع عنك تلفيقات كل مموه … يصد عن الدين الحنيفي والرشد
ويسعي بأن لا يعبد الله وحده … باشراكهم بالله من كان في اللحد
ودعوتهم غير الاله لحاجة … وكشف مهات تجل عن العد
وان يستغيث المشركون بغيره … تعالى عن الاشراك والجعل للند
« كدحلان » ذي الكفران والشرك والردي
و « ويوسف » من يدعي « لنبهان » ذي الجحد
و « كالكسم » من قد كان بالله مشركا … واشباههم من كل غاو ومرتد
فليسوا على نهج من الحق والهدي … ولكنهم عن مهيع الحق في بعد
اضلوا وضلوا واستزلوا عن الهدي … غواة طغاة معتدين ذي حقد
يعادون اهل الحق من حنق بهم … وبغي وعدوان وظلم بلا حد
لان ذوي الاسلام والدين والهدى … على الملة البيضا طريقة ذي الرشد
وقد صدقوا المعصوم في كل امره … وقد جانبوا من نهيه كل ما يردي

وغيرهمو في مهمه الغي والهوي ... غواة حياري زائغين عن القصد
فأما ذري الاسلام من اهل « نجدنا » ... واتباعهم من كل ندب وذي نقد
فقد سلكوا نهجاً من الدين واضحا ... على سنة المعصوم اكرم من يهدي
فمن كان هذا شأنه وطريقه ... ونحلته في الدين من غير ماصد
يكون بهذا مبغضاً ومعاديا ... ومستنقصا للمصطفي الكامل المجد
لعمرى لقد اخطأتموا طرق الهدى ... وجانبتموها يا ذرى الغي والطرد
وعاديتمو الاسلام جهلا ببغيكم ... واحزابه من كل هاد ومستهدى
فتباً لهاتيك العقول التى غوت ... وحادت عن التقوي وعن مهيع الرشد
لقد نكرت دين النبي محمد ... وعادته جهرا واجتراء على عمد
فظنوا غباء من سفاهة رأيهم ... بأنهمو اهل الهدى وذو الجد
وانهموا اولى بدين (محمد) ... وتلك الاماني لا تفيد ولا تجدى
وهيهات لا يغني ذي الكفر والورى ... من الحق شيئا ما ادعاه ذوو الجحد
وقد خرجوا عن منهج الحق والهدي ... الى دين عباد القبور ذوى الطرد
فليس اتباع المصطفي ياذوى الردى ... يكون معاداة وبغضا لذى المجد
ولكنه عين الكمال لانه ... على وفق ما قد قال في كل مايبدي
وتعظيم امر المصطفى باتباعه ... وترك الذى يأباه من كل ما يردى
فيأتي الذي يرضاه من كل مطلب ... ويجتنب المنهي اذ كان لا يجدى
فمن شد رحلا للزيارة قاصداً ... الى قبره لا للصلاة على عمد
بمسجده الاسني ، فقد خالف الذي ... اراد به المعصوم في القصد بالشد
وخالف اقوال الائمة كلهم ... واقوال اصحاب النبي ذوى المجد
وعادى رسول الله بل كان مبغضا ... لدين النبي المصطفى خير من يهدي

ومن شد رحلا قاصداً بمسيره بمسجده الاسني الصلاة ليستجدي
ويطلب غفرانا من الله وحده وأجراً واحسانا من المنعم المسدي
ومن بعد أن صلى يزور (محمداً) فيدعو له لما هدانا الى الرشد
ولا يدعه بل يبذل الجهد في الثنا عليه بما ابدى من الخير والحمد
وارشاد اهل الارض بعد ضلالهم الى كل ما يدني الى جنة الخلد
وابعادهم عن موجبات عقابه وعن ناره الكبرى وعن كل ما يردي
فهذا هو المشروع وهو الذي أتي به النص عن ازكي الورى خير من يهدي
عليه صلاة الله ما انهل وابل وما هبت النكبا وقهقه من رعد
واصحابه والآل مع كل تابع وتابعهم في الدين من كل مستهد

وأما قوله « واغواهم بما جا في القرآن العظيم بحق المشركين »

فالجواب ان نقول : ليس الاستدلال بالقرآن غواء من الشيطان ، ولكنه صنيع اهل العلم من حملة السنة والقرآن ، واما كونه جاء في القرآن فنعم فمن فعل كما فعل المشركون من الشرك بالله بصرف خالص حقه لغير الله من الانبياء والاولياء والصالحين ودعاهم مع الله واستغاث بهم كما يستغيث بالله وطلب منهم مالا يطلب الا من الله وتعلق عليهم ولجأ اليهم في جميع مهماته وملماته ، فما المانع من تنزيل الآيات على من فعل كما فعل المشركون وتكفيره ؟ وقد ذكر أهل العلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولكن اذا عميت قلوبكم عن معرفة الحق وتنزيل ما انزله الله في حق المشركين على من صنع صنيعهم واحتذا حذوهم فلا حيلة فيه ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، ومن لم يجعل له نوراً فما له من نور .

واما قوله « مذهب بايمانهم تحت ستار العبادة » .

فأقول : معاذ الله ما هذا بالذي يذهب بالايمان بل هو محض الايمـان بالله ورسوله وامتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه وذلك لا يخفي الا على من اعمى الله بصيرة قلبه وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله ومنه وذلك لا يكون بغضاً لرسول الله ﷺ ولا معاداة له ، وانما المبغض لرسول الله ﷺ والمعادى له من عصاه وخالف امره واشرك بالله في خالص حقه وانما بعث النبي ﷺ لتكفير من فعل هذا وقتله واستحلال ماله ودمه وان يكون الدين كله لله ولا يكون فيه شركة لاحد سواه (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) .

واما قوله « ففسروا الزيارة بمعنى عبادة الاوثان وشبهوا التوسل بما يفعله مشركوا العرب وغيرهم »

فاقول : نعم من زار قبور الانبياء والاولياء الصالحين وفعل كما فعلـه مشركو العرب من دعائهم الانبياء والاولياء والصالحين وما يفعلونه عنـد الاشجار كالعزى والاحجار كاللات ومناة الثالثة الاخرى واستغاث بهم كما استغاث المشركون بأوثانهم وطلب منهم قضاء الحاجـات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وذبح لهم الذبائح ونذر لهم النذور كما كان يفعله المشركون عند تلك الاشجار والصخور وكما كان يفعله اليوم عباد القبور فهذا هو معنى عبادة الاوثان وما الفارق بين من فعل هذا وهذا ان كنتم تعلمون؟ (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين – هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) .

واما قوله « فانظر ما اشقاهم واحمقهم وابعدهم عن الحق ولو صح لهم هذا التأويل الباطل لكانوا هم اشد الناس شركاً لانهم يزورون الامراء والحكام ويترامون اليهم ويتوسلون ببعضهم في حوائجهم بكل قول وعمل وربمـا خاب

آملهم بما يرجون » .

فالجواب ان نقول : من نظر بعين البصيرة وجدهم من اهـدى النـاس وارشدهم واقربهم الى الحق الذي بعث الله به نبيه محمد ﷺ وانهم بذلك على الصراط المستقيم والدين القويم ووجدكم اشقى الخلـق واحمقهم وابعدهم عن الحق الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه وانكم بذلك على الكفر الوخيم والشرك الذميم الموافق لما عليه اصحاب الجحيم لا يمـتري في ذلك من كان ذا قلب سليم وعقل مستقيم . وقوله « ولو صح لهم هذا التأويل الباطل لكانو هم اشد الناس شركاً لانهم يزورون الامراء والحكام » الى آخره . فاقول هذا من افسد القياس وابطل الباطل واحل المحال واضل الضلال فان هذا لا يقوله من له ادنى مسكة من عقل او دين او يفرق بين دين المسلين ودين المشركين وبين ما يجوز من الاسباب العادية وما لا يجوز من الامور والافعال الشركية فان زيارة الامراء والحكام والتزلف اليهم والتوسل ببعضهم في حوائجهم فـيما كان بايديهم وداخل تحت قدرتهم وملكهم وتصرفهم من الامور الدنيوية التي لا يعجزون عنهـا وهي تحت مقدورهم وفي طوقهم ليس بشرك بـل هو من الاسباب العادية التي اجرى الله نفع العباد بعضهم ببعض بها فان ذلك كله مما لا نزاع في جوازه لدى الموحدين وقد ذكر ذلك اهل العلم في مصنفاتهم ، قال الشيخ صنع الله الحلبي رحمه الله تعالى : « والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتـال او ادراك عدو أو سبع ونحوه كقولهم : يا لزيد ، يا للمسلمين ، بحسب الافعال الظاهرة » انتهى . وهذا كما يقول الرجل لصاحبه في السفر اعني على حمل دابتي وعلى حمل متاعي واعطني ما يرد على هذا الشارد او ادفع عني هذا السبع الصائل او كما يقول لبعض الامراء والحكام

اذا وفد اليهم اعطني هذا او تفضل علي بكذا مما هو داخل تحت قدرته ونحو ذلك فهذا جائز ولا نزاع فيه بين العلماء. فان هذا سؤال من حي حاضر قادر على ما ينفع به أخاه المسلم من الأمور الدنيوية ومن زعم ان هذا من الشرك المخرج من الملة فهو اضل من حمار أهله .

واما قوله « فماذا علينا اذا توسلنا بجاه من فضله الله على كل خلقه في طلب نعيم دائم ورضاء كريم لا يمن ولا يمنع او بقضاء حاجة دنيوية » .

فالجواب ان يقال : نعم ان عليك من الاثم ما قد يستحقه من فعل احد هذين الذنبين العظيمين فان كان قصدك بالتوسل انك تطلب من الله بجاه نبيه وبحرمته وحقه على الله ان يتفضل الله عليك بنعيم دائم ورضاء كريم لا يمن ولا يمنع او بقضاء حاجة دنيوية فهذا التوسل بدعة مكروهة محرمة وعليك في ذلك إثم من ابتدع في الدين ما لم ياذن به الله ولا شرعه رسول الله ﷺ لأمته ولا فعله الصحابة والتابعون ولا الائمة المهتدون وقد ذم العلماء البدع واهلها وذكروا اثم من عمل بها او سنها وانهم ملعونون على لسان محمد ﷺ . قال الامام الحافظ محمد بن وضاح : اخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب الى أسد بن الفرات « اعلم يا اخي انما حملني على الكتاب اليك ما ذكر اهل بلادك من صالح ما اعطاك الله من انصافك الناس وحسن حالك مما اظهرت من السنة وعيبك لاهل البدعة وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشدبك ظهر اهل السنة وقوك عليهم باظهار عيبهم والطعن عليهم فاذلهم الله بك وصاروا ببدعتهم مستترين فابشر يا اخي بثواب ذلك واعتد به من افضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد واين تقع هذه الاعمال من اقامة كتاب الله واحياء سنة رسوله ، وقد قال رسول الله ﷺ من احيا شيئاً من

سنتي كنت انا وهو في الجنة كهاتين وضم بين اصبعيه ، وقال : ايما داع دعا الى هدى فاتبع عليه كان له مثل اجر من اتبعه الى يوم القيامة فمتى يد لك هذا اجر شيء من عمله ؟ وذكر ايضا ان لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلامتها فاغتنم يا اخي هذا الفضل وكن من اهله ، فان النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن واوصاه قال : لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من كذا وكذا وعظم القول فيه فاغتنم ذلك . ادع الى السنة حتى يكن لك بذلك الفة وجماعة يقومون مقامك ان حدث بك حدث فيكونون ائمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك الى يوم القيامة كما جاء في الاثر فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزايغ الحائر فتكون خلفا عن نبيك ﷺ فانك لن تلقى الله بعمل شبهه واياك ان يكون لك من اهل البدع اخ او جليس او صاحب فانه جاء في الاثر : من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه ومن مشى الى صاحب بدعة مشى في هدم الاسلام . وجاء : ما من اله يعبد من دون الله ابغض الى الله من صاحب هوى . وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على اهل البدع وان الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا وكلما ازدادوا اجتهادا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا فارفض مجالسهم واذلهم وابعدهم كما ابعدهم الله واذلهم رسول الله ﷺ وائمة الهدى من بعده » انتهى . ثم قال محمد بن وضاح باسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك . ثم ذكر باسناده عن سفيان الثوري قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من ثلاث ما ان يكون فتنة لغيره واما ان يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخل النار واما ان يقول والله ما ابالي بما تكلمون واني واثق بنفسي فمن امن الله على دينه طرفة عين سلبه اياه . ثم ذكر

باسناده عن بعض السلف قال : من اتى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام انتهى . وقد اخبر ﷺ ان اهل البدع هم شرار الخلق عند الله ولعن ﷺ وهو في السياق من فعل ذلك ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان ام سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول ﷺ وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : « اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح اوالعبدالصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل » ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال : وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى تخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً» اخرجاه وقال ﷺ « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه اهل السنن ، وان كان قصدك - ايها الملحد - بالتوسل طلب النبي ﷺ ودعاؤه والاستغاثة به ان يتفضل عليك بنعيم دائم ورضاء كريم لايمن ولا يمنع او بقضاء حاجة دنيوية فهذا هو الشرك العظيم والذنب الجسيم الذي من اتى به فقد حرم الله عليه الجنة لانه محض حق الله ، ومن صرف ذلك لغير الله كان مشركا قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية وقال تعالى (ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك) الآية فمن أستغاث بغير الله في طلب حاجة أو كشف كربة أو سأل من غيره نعيماً دائماً فهو مشرك كافر بالله بنص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكلام اهل العلم بالله وبدينه وشرعه ، قال شيخ الاسلام رحمه الله في « الرسالة السنية » فاذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته

العظيمة . فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام لاسباب منها الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني او اغثني او ارزقني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ، فان الله سبحانه وتعالى انما ارسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعي معه إله والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو تنزل المطر او تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ويقولون « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » فبعث الله سبحانه رسله تنهي عن أن يدعي من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة انتهي . وقال ايضاً : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب (الفروع) وصاحب (الانصاف) وصاحب (الاقناع) وغيرهم وقال ابن القيم رحمه الله : ومن انواعه – يعني الشرك – طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلا عمن استغاث به او سأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي – رحمه الله – في رده على السبكي (قوله ان المبالغة في تعظيمه ، أي الرسول ﷺ ، واجبة ان اريد به المبالغة بحسب ما يراه كل احد تعظيما حتى الحج الي قبره والسجود له والطواف به واعتقاد انه يعلم الغيب وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله

الضر والنفع وانه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من شاء. فدعوى المبالغة فى هذا التعظيم مبالغة في الشرك والانسلاخ من جملة الدين وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا : من قال ارواح المشائخ حاضرة تعلم الغيب يكفر ، وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في كتابه في الرد علي من ادعي ان للاولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة : هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاوليا. تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم فى الشدائد والبليات وبهمهم تكشف المهمات فياتون قبورهم وينادونهم فى قضاء الحاجات مستدلين ان ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ابدال ونقباء ونجباء وسبعون وسبعة واربعون واربعه والقطب والغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور واثبتوا لهم فيهما الاجور قال : وهذا كلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الائمة وما اجتمعت عليه الامة وفي التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا). ولله در الشيخ ملا عمران حيث وشح قول النصراني بهذه الابيات الاتي ذكرها لما نفي النصراني الشركة في حقه فكيف بحق الله سبحانه وتعالى قال النصراني .

تركت حبيب القلب لا عن ملالة ولكن جنا ذنبا يزول الي الترك
اراد شريكا في المحبة بيننا وايمان قلبي لا يميل الى الشرك

وذلك انه كان له زوجة فاتخذت لها خدنا فاطلع زوجها على ذلك ففارقها

وانشد البيتين المذكورين فقال (ملا عمران) توشيحا على كلامه :

اذا كان ذا المخرق عن نفسه نفا شراكة ند في المحبة والصفا
واعلن للمحبوب بالترك والجفا فكيف بأن يرضي إله قد اصطفا
له رسلا تدعوا اليه بلا شك

فهل كان اهل الشرك فيما تقدما يرجون من اوثانهم مطر السما
ولم يجعلوا رزقاً لمن كان معدماً فما كان ذا منهم ولا بعضه كما
اتى وحي رب العالمين بذا يحكي

ولكنهم يرجون منهم شفاعة تقربهم زلفى اليه وطاعة
وعند اشتداد الكرب حينا وساعة يردون لله الرؤوس ضراعة
اليه يريدون النجاة من الهلك

وبالعكس عباد القبور فانهم اذا اشتد خطب ساء في الله ظنهم
وان هاجت الامرج ما زال فنهم ينادون اصحاب القباب كأنهم
يهلون فى البيداء تلبية النسك

فلما أتى الشيخ الحكيم منبهاً على الملة البيضاء بالنور والبها
وقال ذروا هذي القباب ومن بها وسنة خير الخلق منتصراً بها
تلقوه بالبهتان والزور والافك

فقالوا يسب الصالحين ويعتدي ويقدح فيهم وهو ليس بمهتدي
وبالعلما في دينه غير مقتدي ويطنب في تكفير كل موحد
ويحكم فى الاسلام بالنهب والسفك

فحاشاه مما يفترون عليه بل اتى ناصحاً يدعو الى صالح العمل
يوحد رباً قد تفرد في الازل وينهى عن الشرك المؤدي الى الزلل

ومن محدثات العرب والعجم والترك

وقد قال قول الحق محض صريحه   على علمهم ان قد اتى بصحيحه
ولكنهم لم ينشقوا طيب ريحه   فيا رب نزل رحمة في ضريحه
واتحفه بالغفران يا مالك الملك

ويا من على العرش استوى صل سرمدا   وسلم على من جاء بالنور والهدى
وآل وصحب جاهدوا مصر العدى   وبارك وزد ما ناح طير وغردا
وما فاح نشر الورد والند والمسك



فصل

ثم قال الملحد : فالمؤمن لا يعتقد ان لمخلوق فعلاً او تأثيراً ، وقد بسط العلماء الجواب عما يفعله العوام مما يظن ان فيه شبهة شرك وما هي فيه ونحن واياهم ما نقصد بذلك الا اتباع امر الله تعالى باتخاذ الوسائل وابتغاء الاسباب التي منها السعي والكسب والدعاء واتخاذ الوسائط والتوسل بجاه احبائه الى آخره . والجواب ان نقول : هكذا كان مشركوا العرب من الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين ويلجأون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ويعلمون ان الله تعالى هو النافع الضار وان الله سبحانه هو المؤثر وان غيره لا تأثير له في جلب نفع او دفع ضر ، ولم يدخلهم ذلك في الاسلام لما جعلوا بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله تعالى فلم ينفعهم اقرارهم بتوحيد الربوبية . واما ما يفعله العوام مما يظن ان فيه شبهة شرك فما اجابهم علماء السوء الا بما ارداهم فاصبحوا من الخاسرين ، وانتم واياهم في ميدان الكفر كفرسي رهان ولعمري لقد ضلوا واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل والالفاظ التي يقولها العوام وينطقون بها دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى فما معنى الشبهة ثم لو سلم هذا الجهل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذي يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها فان المسلم الموحد متى صدر منه قول او فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز وايضاً يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون ان الله هو

الخالق الرازق الضار النافع وان الخير والشر بيده لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم الى الله زلفى ، فالاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي بل المراد هو المعنى المجزي اى التكريم مثلا ، فما هو جوابكم فهو جوابنا وايضا انكم هؤلاء. أولتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأثير غير الله فما تفعلون في اعمالهم الشركية من دعاء غير الله والاستغاثة والنذر والذبح فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله بل اذا صدر من احد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً ام لا. انتهى. فاذا عرفت ان هذا هو اعتقاد كفار قريش وغيرهم من العرب فانهم كانوا معترفين بأن الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا مشارك له في ايجاد شيء. ولا ادخلهم ذلك في الاسلام بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم واموالهم الى ان يخلصوا العبادة لله ولا يشركوا في عبادته أحدا سواه كان دعوي هؤلاء. ان هـذا من الالفاظ الموهمة من الاوهام الموبقة . واما قوله : ونحن واياهم ما نقصد بذلك الا اتباع امر الله تعالى باتخاذ الوسائل وابتغاء الاسباب التى منها السعى والكسب والدعاء . فالجواب ان نقول لهذا المفترى على الله وعلى رسوله ودينه وشرعه (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون) وقال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الي الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقال تعالي (واذا فعلوا فاحشـة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء. أتقولون على الله مالا تعلمون؟ . قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد

إذ أنتم مسلمون) وقد انكر الله سبحانه وتعالى على من اتخذ الملائكة والانبياء والاولياء وسائل يدعونهم من دون الله فقال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) واخبر تعالى ان هؤلاء المدعوين عبيده كما ان الداعين عبيده وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه فكيف تدعونهم من دون الله وقد اخبر تعالى انهم يبتغون الى ربهم الوسيلة « أي القربة » وقيل الوسيلة الدرجة العليا « أي يتضرعون الى الله في الدرجة العليا وقيل الوسيلة كلما يتقرب به الي الله عز وجل فتبين ان الذي امر الله به عباده المؤمنين دعاءه والتقرب اليه بالاعمال الصالحة فالوسيلة التى تطلب من الله هى التقرب اليه بطاعته والعمل بما يرضيه قال البغوي على قوله (وابتغوا اليه الوسيلة) : اى ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفي منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه . انتهي « فهذا الذي ذكره المفسرون في الوسيلة التى تبتغى وتطلب واما التوسل بدعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم فى المهمات والملمات فهو الكفر البواح الذي نهي الله عنه ورسوله واجمع المسلمون على كفر من فعله وأتي به « والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالكفر ولا يرضاه لعباده وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون . واما قوله وابتغاء الاسباب التي منها السعي والكسب والدعاء فالجواب ان نقول : وهذا هو قول الجاهلية الكفار فانهم ما عبدوا الانبياء والاولياء والصالحين الا لكونهم اسباباً ووسائل لنيل المقصود والا فهم يعتقدون ان الله هو النافع الضار وانه المتفرد بالايجاد والاعدام وان الله هو

الخالق الاشيا. وانه هو رب كل شي. ومليكه ولا يعتقدون ان آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الانبيا. والاوليا. والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشي. من التدبير والتأثير والايجاد وانما دعوهم والتجؤا اليهم واستغاثوا بهم على سبيل التسبب والتوسل بهم. فكفرهم الله بذلك وقاتلهم رسول الله ﷺ على ذلك واستحل دماءهم واموالهم ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: (الخامس) ان يقال نحن لا ننازع في اثبات ما اثبته الله من الاسباب والحكم ، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الامور التي لا يقدر عليها الا الله ؟ ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت او غائب من البشر او غيره ، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله؟ ومن الذي شرع ذلك وامر به ؟ومن الذي فعل ذلك من الانبيا. والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين احداهما ان هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها فانه ليس كلما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه فان المسافر قد يكون سفره سبباً لاخذ ماله وكلاهما محرم والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو محرم وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين بل وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض احياناً وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وامراً فانهم مطالبون بالادلة الشرعية ، انتهى فتبين ان الاسباب التي

بظن هؤلاء المشركون انها اسباباً شركية لم يأمر الله بها ولا رسوله ولا شرعها الله ورسوله لا فى القرآن ولا في السنة ولا عمل بها الصحابة رضي الله عنهم ولا من بعدهم من التابعين والائمة المهتدين ، بل هي من الاوضاع الشركية التي ابتدعوها في الدين ويحسبون انهم مهتدون .

واما قوله : واتخاذ الوسائط والتوسل بجاه احبائه الى آخره .

فالجواب ان نقول : ان اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه كفر باجماع المسلمين . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعاً نقله عنه صاحب (الفروع) وصاحب (الانصاف) وصاحب (الاقناع) وغيرهم وهؤلاء الذين نقلوا كلام شيخ الاسلام من أئمة الحنابلة وساداتهم وهم ممن اخذ عن الائمة الاربعة اصول دينهم وفروعه بواسطتهم الى النبي ﷺ ، فان كان حقاً وصواباً فقد ذكروا الاجماع على كفر من اتخذ الوسائط من دون الله وانت من جملة من تخذ الوسائط وان كان باطلاً فقد عدت على تأصيلك بالهدم والرد والتزمت مذهب اهل التلفيق الذي ترمي به وتلزمه اهل التحقيق وانت به اليق من ذلك الفريق وعلى نفسها تجني براقش ، واما التوسل بجاه احبائه فقد تقدم الجواب عنه واما صراحته فى القرآن العظيم والسنة فمن الكذب على الله ورسوله بل تقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم قال تعالى (ومن ظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ففي أي آية وفي أي سنة ذكر الله ذلك ورسوله ان كنتم صادقين ولن تجدوا الى ذلك سبيلا بلفظ صريح او نص صحيح ولو ذكرت

ذلك لفصلنا لك الجواب تفصيلا .

وقولك لكن اذا سبق الشقاء عميت الابصار وضلت البصائر ، فاقول : نعم قد سبق عليك الشقاء وعميت عينك عن معرفة الحق والهدى وضلت بصيرتك عن ادراك حقائق الامور التي يحبها الله ويرضاها من الايمان بالله ورسوله واخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه وامرتك نفسك الامارة بالسوء الى اتخاذ الوسائط والشفعاء من دون الله واتبعت نفسك هواها ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ثم قال الملحد : وحيث ان هذه المسألة ذات فروع ويتعلق بها مسائل أخر فاقسمها الى مباحث ان شاء الله تعالى وما توفيقي الا بالله • البحث ا . ول : في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ان هذه المسألة هي من اهم المسائل التي اختلف فيها علماؤنا ببعضهم وهم والمعتزلة وغيرهم وسببه عدم وجود نص في القرآن العظيم يبين كيفية حياته عليه الصلاة والسلام بعد وفاته يؤيد الاحاديث الدالة على حياته الجسدية بعد وفاته الى آخر كلامه .

والجواب ان نقول : قد اطنب هذا الملحد في هذا المبحث وذكر مخرقة واقوالا لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا قول احد من العلماء الراسخين الذين لهم قدم صدق في العالمين ، وانما ذكر اختلاف علمائه الذين لا معرفة لهم بمدارك الاحكام ولا دراية لهم بعلوم اهل الاسلام الذين لهم في هذه المباحث اعظم اهتمام واحكموا البحث فيها غاية الاحكام وحيث ذكر في هذه المسألة ما تستك عند سماعه اسماع الموحدين وتنفر عنه طباع المؤمنين وتعرض فيها لتأويل آيات الكتاب العظيم وسنة نبيه الكريم بما لم يذكره المحققون من ائمة التفسير وشراح الحديث الذين لهم في الدراية والرواية والرعاية ما ليس لغيرهم باتم تبيان واحسن تعبير ، وذكر في هذه المسألة اقوالا واحاديث ليست من اقوال

اهل الاسلام ولا ابحاثهم فلذلك ضربنا عن جوابه صفحاً وطوينا عليه كشحاً ومن اراد الاطلاع على حقيقة هذه المسألة وتنقيحها وتقرير الادلة وتحرير اقوال العلماء بتوضيحها وذكر ما ورد في حياة الانبياء والشهداء والاحاديث الواردة في ذلك فعليه بمطالعة كتاب (الروح) في الكلام على ارواح الاموات والاحياء لابن القيم - رحمه الله — ونذكرها هنا كلامه في (الكافية الشافية) في الانتصار للفرقة الناجية ، والمقصود بذلك ان يعلم من اراد الحق تحقيق الكلام فيها باوضح بيان بادلته عن اهل العلم والايمان ، واما هؤلاء الملاحدة الزنادقة فلا يزيدهم ذلك الاعتراف نفوراً وتكبراً عن قول الحق تعنتاً وفجوراً ، وكان ذلك تسويلاً من الشيطان لهم وغروراً ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فصل في الكلام في حياة الانبياء في قبورهم : —

ولاجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الارض والرجمان
من فوقه اطباق ذاك الترب واللبنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الارض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمان
أتراه تحت الارض حيا ثم لا يفتيهموا بشرائع الايمان
ويريح امته من الاراء والخلف العظيم وسائر البهتان
ام كان حيا عاجزا عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللاء قد اثبتموها اوضحوا ببيان
هذا ولم لاجاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
اذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بان صحابه سألوه فتيا وهو في الاكفان
فأجابهم بجواب حي ناطق؟ فأتوا إذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهمو جوابا شافيا ان كان حيا ناطقا بلسان
هذا وما شهدت ركائبه عن الحجرات للقاصى من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على ارشادهم بطرائق التبيان
اتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان
ان قلتمو صدق البيان صدقتمو قد كان بالتكرار ذا تبيان
هذا وكم من امر اشكل بعده اعني على العلماء كل زمان
او ما ترى الفاروق ود بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان
بالجد في ميراثه وكلالة وببعض ابواب الربا الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو في الاكفان
اتراهمو يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم اعز حصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ولا يأتي ببيان؟
افكان يعجز ان يجيب بقوله ان كان حيا داخل البنيان
يا قومنا استحيوا من العقلاء والمبعوث بالقرآن والرحمن
والله لا قدر لرسول عرفتمو كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد ابان الله ان رسوله ميت كما قد جاء في القرآن
أفجاء ان الله باعثه لنا في القبر قبل قيامة الابدان
أثلاث موتات تكون لرسله ولغيرهم من خلقه موتان
اذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ فى الارض حيا قط وبالبرهان

افهل يموت الرسل ام يبقو اذا مات لوري ام هل لكم قولان؟
فتكلموا بالعلم لا الدعوي وجيئوا بالدليل فنحن ذو اذهان
او لم يقل من قبلكم للرافعي الا صوات حول القبر بالنكران
لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده ميتا كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا انه حي فغضوا الصوت بالاحسان
لكنهم بالله اعلم منكموا ورسوله وحقائق الايمان
ولقد اتوا يوما الى العباس يستسقون من قحط وجدب زمان

(فصـــل)

فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حي كما قد جاء في القرآن
والرسل اكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة احق من شهدائنا بالعقل والايمان
وبأن عقد نسائه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان
ولاجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الازمان
افليس في هذا دليل انه حي لمن كانت له اذنان؟
او لم يري المختار موسى قائما في قبره لصلاة ذي القربان؟
افميت يأتي الصلاة وان ذا عين المحال وواضح البطلان؟
او لم يقل اني ارد على الذي يأتي بتسليم مع الاحسان
ايرد ميت السلام على الذي يأتي به هذا من الهتان

هذا وقد جاء الحديث بأنهم احياء في الاجداث ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعرض دائما في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشان

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال اصل دليلكم في ذاك حجتنا عليكم وهي ذات بيان
أن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الاركان
هذا مع النهي المؤكد اننا ندعوه ميتا ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان
هذا وار الارض تأكل لحمه وسباعها مع امة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارح مستبشر بكرامة الرحمان
فالرسل اولى بالحياة لديه مع موت الجسوم وهذه الابدان
وهي الطرية في التراب واكلها فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض اتباع الرسول يكون ذا ايضاً وقد وجدوه رأي عيان
فانظر الى قلب الدليل عليهموا حرفاً بحرف ظاهر التبيان
لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخترن الرسول لصحة الايمان
شكر الاله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على اولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الاحسان

وكذلك ايضا قصرهن عليه | معلوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الا | خرى يقينا واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده | اذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن اتين بعدة شرعية | فيها الحدود وملزم الاوطان
هـذا ورؤيته الكليم مصلياً | في قبره اثر عظيم الشأن
في القلب منه حسيكة هل قاله | فالحق ما قد قال ذو البرهان
ولذاك اعرض في الصحيح محمد | عنه على عمـد بلا نسيان
والدار قطني الامام أعله | برواية معلومـة التبيان
انس يقول رأى الكليم مصلياً | في قبره فاعجب لذا الفرقان
بين السياق الى السياق تفاوتا | لا تطرحه فما همـا سيان
لكن تقلد مسلم وسواه | ممن صح هذا عنده ببيان
فرواته الاثبات اعلام الهدى | حفاظ هذا الدين في الازمان
لكن هذا ليس مختصا بـه | والله ذو فضل وذو احسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره | خبراً صحيحاً عنـده ذا شان
فيه صلاة العصر في قبر الذي | قد مات وهو محقق الايمـان
فتمثل الشمس الذي قد كان ير | عاهـا لاجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته | فيقول للملكين هل تدعاني
حتى اصلي العصر قبل وفاتها | قالا : ستفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي | حكيت لنـا بثبوته القولان
هذا وثابت البناني قد دعا | الرحمان دعوة صادق الايقان
ان لا يزال مصليا في قبره | ان كان اعطى ذاك من انسان

لكن رؤيته لموسى ليلة المعراج فوق جميع ذي الاكوان
يرويه اصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظن معارضا لصلاته في قبره اذ ليس يجتمعان
واجيب عنه بانه اسرى به ليراه ثم مشاهدا بعيان
فرآه ثم وفي الضريح فليس ذا بتناقض اذ امكن الوقتان
هذا ورد نبينا لسلام من يأتي بتسليم مع الاحسان
ما ذاك مختصا به ايضا كما قد قاله المبعوث بالقرآن
من زار قبر اخ له فأتى بتسليم عليه وهو ذو ايمان
رد الاله عليه حقا روحه حتى يرد عليه رد بيان
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح وظاهر النكران
فانظر الى الاسناد تعرف حاله ان كنت ذا علم بهذا الشان
هذا ونحن نقول هم احياء لا كن عندنا كحياة ذي الابدان
والترب تحتهم وفوق رؤسهم وعن الشمائل ثم عن أيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا بالله من افك ومن بهتان
بل عند ربهم تعالى مثلما قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهمو اجل وحالهم اعلى واكمل عند ذي الاحسان
هذا واما عرض اعمال العبا د عليه فهو الحق ذو امكان
واتى به اثر فان صح الحديث به فحق ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصا به ايضا باثار روين حسان
فعلى ابي الانسان يعرض سعيه وعلى اقاربه مع الاخوان
ان كان سعيا صالحا فرحوا به واستبشروا يا لذة الفرحان

او كان سعيا سيئا حزنوا وقـا لوا : رب راجعه الى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى هذا الحديث عقيبه بلسان
يا رب اني عائذ من خزيـة اخزى بها عنـد القريب الداني
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحـه الحبو بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي للمصطفي ما يعمـل الثقلان
هذي نهايات لاقدام الورى في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحق فيه ليس تحمله عقو ل بني الزمان الغلظة الاذهان
ولجهلهم بالروح مع أحكامها وصفاتهـا للالف بالابدان
فارض الذي رضي الاله لهم به أتريد تنقض حكمة الديان ؟
هل في عقولهموا بان الروح في اعلى الرفيق مقيمة بجنان ؟
وترد اوقات السلام عليه من اتباعه في سائر الازمـان
وكذاك ان زرت القبور مسلما ردت لهم ارواحهم للآن
فهموا يردون السلام عليك لا ركن لست تسمعه بذي الاذنان
هذا واجواف الطيور الخضر مسكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذره على النكران
للروح شان غير ذي الاجسام لا تهمله شان الروح اعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الازمان
هذا وأمر فوق ذا لو قلتـه بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك امسكت العنان ولو ارى ذاك الرفيق جريت في الميدان
هذا وقولي انهـا مخلوقة وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي انها ليست كما قد قال اهل الافك والبهتان

لا داخل فينا ولا هي خارج عنا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمان اثبتم ولا اروا حكم يا مدعى العرفان
عطلتموا الابدان من ارواحها والعرش عطلتم من الرحمن
انتهى ·

فصل

قال الملحد :(البحث الثاني) في الزيارة . اعلم يا اخي شرح الله قلبي وقلبك بنور الاخلاص ان لنا معشر المؤمنين وجداً في حب نبينا عليه الصلاة والسلام يكفينا عن الاستدلال والاستشهاد وعلى كل ما نحن فى صدده ، فمن شاء فليتبعنا فيتذوق بما ذقنا ولا ينازع لكن لما رأينا اناسا منا اغواهم الشيطان بواسطة زمرة من جنوده المتدلسين بالعلم والدين فاتبعوهم عن جهل فقمنا امتثالا لامر ربنا واقتدا. بنبينا واصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام رجاء ان ننال شيئا من الفلاح بالذب عن الشريعة المطهرة والائمة لاعلام ،وانبهك بشيء لا دليل عليه غير الذوق والوجدان وهو ان الداخل للحرمين الشريفين والواقف بعرفات اذا لم يكن متزوداً باوفر نصيب من الاخلاص والاعتبار فلا يشعر بشيء ولا يدرك شيئا ولا يجد لذة في عمل ولا همة باغتنام اجر ولا رغبة بزيادة فضل أما من انعم الله عليه بهذا الزاد فانه يشعر ويدرك كليات وجزئيات امور ويجد لذة وهمة لا يجد اللسان الفاظا يعبر بها عنها فلا تلمه ان رأيته في عرفات تارة يرقص وتارة يتمرغ فى الرمل غير حاس بحرارته الى آخر كلامه .

والجواب ان نقول : وهذا ايضا من جنس ما قبله من المخرقة التي يمخرق بها هؤلاء الانجاس الارجاس ، ويموهون بها على اعين كثير من الناس ،

ليوهموهم انهم بذلك من اهل الذوق والفناء في العبادة من غير شك ولا التباس ، وهم من اكفر خلق الله وابعدهم عن سلوك طريقة اهل التعبد من الافاضل الاكياس ، بما غرهم به الشيطان من المكر والخداع والتلاعب بالدين ، وسلوك على غير سبيل المؤمنين ، فانه قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام انه لم يكن من هدي نبينا عليه افضل الصلاة واتم السلام ، ولا كان هذا يوجد من احد من اصحابه الافاضل الكرام ، ولا من التابعين لهم باحسان ولا فعله احد من الافاضل الكرام ولا من التابعين لهم باحسان ولا فعله احد من افاضل الائمة الاعيان ، فما هو الا من تلاعب الشيطان واغوائه لاوليائه من ذوي الكفر والفسوق والعصيان ، فنعوذ بالله من ريب الذنوب وانتكاس القلوب ومن كان هذا سبيله فلا حاجة بنا الى الجواب عنه لانه مخرقة وزندقة لا طائل في اتعاب القلم بردها واشتغال الذهن بهدم اصولها وهدها ، ولكن نشير بعض الاشارة الى ما قد يعرض لبعض اهل التصوف من الشطحات والغيبة عن انفسهم بمحبوبهم فيبقي قلب احدهم متعلقا بمحبوبه غائبا عن نفسه منطرحا ببابه مشاهدا لمحبوبه الحق بخلاف ما قد يعرض لهؤلاء الزنادقة الملاحدة من الذهول والغيبة عن انفسهم فانهم لما كانوا غير مؤمنين بالله ورسوله بل كانوا مشركين بالله غير مخلصين له في عبادته بما يصرفون من خالص حق الله لغيره من الدعاء والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة وسائر انواع العبادة التي اختص الله بها دون غيره فلذلك تختلط بهم الشياطين وتستولى على قلوبهم فيظل احدهم يرقص ويتمرغ كما تتمرغ الدابة وهذا ليس من العبادة في شيء بل هو من تلاعب الشيطان بعقولهم ولما كان يظن بعض الجهال ان حال هؤلاء كحال اولئك ويغتر به من لا تمييز له بأحوال القوم اشرنا بعض الاشارة الى ما ذكره شمس

الدين ابن القيم رحمه الله بعد ان ذكر من احوال المحبين وانه قد يغيب احدهم بمحبوبه عن نفسه او يتمكن من جميع اجزائه قلبه . قال - في اثناء كلام له - : ثم يلطف شأنها ويقهر سلطانها حتي يغيب المحب بمحبوبه عن نفسه فلا يشعر الا بمحبوبه ولا يشعر بنفسه ومن ها هنا نشأت الشطحات الصوفية التي مصدرها عن قوة الوارد وضعف التمييز فحكم صاحبها فيها الحال وجعل الحكم له وعزل علمه عن التمييز وحكم المحققون فيها حاكم العلم على سلطان الحال وعلموا ان كل حال لا يكون العلم حاكما عليه فانه لا ينبغي ان يعبأ به ولا يسكن اليه كما لا يساكن المغلوب المقهور لما يرد عليه بما يعجز عن دفعه وهذه حال اكمل القوم الذين جمعوا بين نور العلم واحوال المعاملة فلم تطفيء عواصف احوالهم نور اعمالهم ولم يقصر به علمهم عن الترقي الى ما وراءه من مقامات الايمان والاحسان فهؤلاء حكام على الطائفتين ومن عداهم فمحجوب بعلم لا نفوذ له فيه او مغرور بحال لا علم له بصحيحه من فاسده، والله المسئول من فضله انه قريب مجيب، فالكامل من يحكم العلم على الحال فيتصرف في حاله بعلمه ويجعل العلم بمنزلة النور الذي يميز به الصحيح من الفاسد لا من يقدح فى العلم بالحال ويجعل الحال معياراً عليه وميزانا فما وافق حاله من العلم قبله وما خالفه رده ونفاه فهذا اصل الضلال في هذا الباب بل الواجب تحكيم العلم والرجوع الى حكمه وبهذا اوصى العارفون من شيوخ الطريق كلهم وحرضوا على العلم اعظم تحريض لعلمهم بما في الحال المجرد عنه من الغوائل والمهالك والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم انتهي .

فتأمل ما ذكره ابن القيم رحمه الله وانظر الي قوله : حتي يغيب المحب بمحبوبه عن نفسه فلا يشعر الا بمحبوبه فكيف من يغيب بالرقص والتمرغ فى الرمل عن محبوبه وانظر الى قوله : فحكم صاحبها فيها الحال على العلم وجعل الحكم له

له وعزل عقله عن التمييز وهذا بخلاف المحققين الكمل الذين يحكمون العلم على الحال

(فصل)

ثم ذكر الملحد كلاما من جنس ما تقدم من المخرقة مما لا طائل تحته. ثم قال: تتبعت المظان من الكتب لأعرف اول قائل بهذه الضلالة وداع اليها فما وجدت لها أثرا عن احد من علماء اهل السنة قبل الشيخ احمد بن تيمية فتعقبت ما عرفت من مؤلفاته لأقف على نص صريح له فوجدته ذكر هذه المسألة في موضعين من كتابه (الجواب الصحيح) فالاول في صفحة ١٢١ من الجزء الاول، والثاني في صفحة ٥٥ من الجزء الثاني، نقل في الاول حديث «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» وحديث «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك» وحديث «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها» ثم قال: الى امثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين — ثم استطرد فى تشبيه ما جاء في هذه الاحاديث بعبادة الشمس والقمر والاوثان والصور والسجود لها والاستشفاع لها وباصحابها، الى ان قال: وان كان يذكر عن بعض الانبياء تصوير صورة لمصلحة فان هذا من الامور التي قد تتنوع فيها الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع بأصحابها فان هذا لم يشرعه نبي من الانبياء ولا امر قط احد من الانبياء ان يدعي غير الله عز وجل لا عند قبره ولا في مغيبه ولا يتشفع به في مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته ويوم القيامة وبالتوسل به بدعائه والايمان به فهذا من شرع الانبياء عليهم السلام . انتهى . «انظر ما في هذا الكلام من التلاعب والتقلب

والقياس الفاسد والتهور الذي ادخله في زمرة محرفي كلام رسول الله عن مواضعه والاحاديث التي استدل بها وحرفها صريحة في النهي عن الجلوس على القبور كما يفعله اهل زماننا نساء ورجالا والصلاة اليها كما يفعله الوثنيون ليس فيها نهي عن الزيارة بلا تشبيه من يزور قبر نبي او غيره بعابد الشمس والقمر وغيرهما. وسيأتي حديث النهي عن الزيارة ثم اباحتها وانه عليه الصلاة والسلام كان يزور اهل البقيع ويستغفر لهم . نعوذ بالله من الغلو المؤدي الى خرق اجماع الامة من عهد الرسول الى اليوم وتشبيه كافة المسلمين بعباد الشمس والقمر والاوثان . ولا يغرنك ما رأيته من استثناء الرسول عليه الصلاة والسلام فانه حصر الاستثناء في حياته ويوم القيامة ومن هذا الحصر تفهم اعتقاده بتحريم زيارة القبر الشريف والتمويه بعدم انكاره ماجاء في كلام الله وانكار الاحاديث الواردة بحق الزيارة والتوسل والاستشفاع فهل بعد هذا الضلال ضلال والعياذ بالله .

والجواب ان نقول : لولا قصر باعك وعدم اطلاعك لوجدت ما ذكره من الحق في الكتب المدونة مذكوراً وفي مظانه مسطرا مزبوراً ولكن لما انتكست قلوبكم وقصر عن معرفة الحق مطلوبكم عميت عن ذلك ابصار بصائركم وكشفت عن ادراك ذلك طباعكم وألبابكم ، والا فقد ذكر ذلك شمس الدين ابن القيم رحمه الله في كتابه « اغاثة اللهفان في مصائد الشيطان » ذكر الزيارة البدعية الشركية والزيارة الدينية الشرعية في صفحة ١١٥ وذكر ذلك شيخ الاسلام في رده على ابن الاخنائي والامام الحافظ محمد بن عبد الهادي في « الصارم المنكي في الرد على السبكي » فاما ما ذكره الملحد عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « الجواب الصحيح في الرد على عباد المسيح » في صفحة ١٢١ احدى وعشرين ومائة لم يكن من هذا الباب ولم يتعرض للزيارة في ذلك

الخطاب وانما ذكر في ذلك ما ابتدعته الامم قبلنا فجرهما ذلك الابتداع والغلو الى الوقوع في الشرك بالله وعبادة الاوثان وذلك ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الانبياء والصالحين فذكر رحمه الله ان الامم قبلنا ممن كان يعبد الشمس والقمر والكواكب ويعبدون الانبياء والصالحين لما كان في زعمهم واعتقادهم ان تلك الاجرام الفلكية العلوية لها ارواح تدبر وتتصرف في الكائنات بطباعها وقواها وان لها تأثير في ذلك فاذا تعلقت النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور فبنوا لها الهياكل والبيوت وزخرفوها وصوروا فيها الصور وجعلوا لها استاراً وعكفوا عليها وجعلوا لها السدنة والخدام وذبحوا لها الذبائح وقربوا لها القرابين وعبدوها من دون الله وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة تأخذ مآخذ الامم قبلها شبراً بشبر وذراعا ذراعا بذراع حتى لو كان فيهم من يأتي امه علانية لكان في هذه الامة من يفعل ذلك وثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال« لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن» وفي رواية« ومن الناس الا اولئك»؟ وقد وقع ما اخبر به النبي ﷺ من ان هذه الامة ستفعل كما فعلت الامم قبلها فكان من غلاة هذه الامة من زعم ان الانبياء والاولياء والصالحين احياء في قبورهم وان لارواحهم قربا ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيهم الالطاف من الله تعالى وتفيض على ارواحهم الخيرات فاذا علق الزائر روحه بهم وادناها منهم فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له وغير ذلك فلذلك بنوا على قبورهم القباب وزخرفوها وجعلوا لها الستور والحجاب والسدنة المجاورين عندها

وعكفوا عند قبورهم وذبحوا لهم الذبائح وقربوا لهم القرابين ودعوهم والتجاؤا اليهم واستغاثوا بهم في المهمات والملمات لكشف الكربات واغاثة اللهفات وطلبوا منهم قضاء الحاجات الى غير ذلك من انواع العبادات التي صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات فهذا هو حقيقة ما ذكره شيخ الاسلام في « الجواب الصحيح في الرد على عباد المسيح » من المشابهة فاذا تحققت ذلك وعرفته فنذكر لك انموذجا من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ماهم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه اي الفريقين احق بالامن، ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ، لئلا يلتبس الامر عليه بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعا وتوسلا ونذكر قبل ذلك ما ذكره شمس الدين ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » مما شابهت فيه زنادقة هذه الامة من قبلها من عباد الكواكب والشمس والقمر وانهم ساروا على آثارهم واقتفوا مناهجهم كما اخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ، قال رحمه الله تعالى :

﴿ فصل ﴾

واما ما ذكره عن ابراهيم خليل الرحمن انه تمسك بعلم النجوم حين قال (اني سقيم) فمن الكذب والافتراء على خليل الرحمن ﷺ فانه ليس في الآية اكثر من انه نظر نظرة في النجوم ثم قال لهم اني سقيم فمن ظن من هذا ان علم احكام النجوم من علم الانبياء وانهم كانوا يراعونه ويعانونه فقد كذب على الانبياء ونسبهم الى ما لايليق وهو من جنس من نسبهم الى الكهانة والسحر وزعم ان تلقيهم الغيب من جنس تلقي غيرهم وان كانوا فوقهم في ذلك لكمال نفوسهم وقوة استعدادها وقبولها لفيض العلويات عليها وهؤلاء لم يعرفوا الانبياء

ولا آمنوا بهم وانما هم عندهم بمنزلة اصحاب الرياضات الذين خصوا بقوة الادراك وزكاة النفوس وزكاة الاخلاق ونصبوا انفسهم لاصلاح الناس وضبط امورهم لا ريب ان هؤلاء ابعد الخلق عن الانبياء واتباعهم ومعرفتهم ومعرفة مرسلهم وما ارسلهم به هؤلاء في شأن آخر بل هم ضدهم في علومهم واعمالهم وهديهم وارادتهم وطرقهم ومعادهم وفي شأنهم كله ولهذا تجد اتباع هؤلاء ضد اتباع الرسل في العلوم والاعمال والهدى والارادات ومتى بعث الله رسولا يعاني التنجيم والنيرجات والطلسمات والاوفاق والتدخين والنجورات ومعرفة القرانات والحكم على الكواكب بالسعود والنحوس والحرارة والبرودة والذكورة والانوثة وهل هذه الا صنائع المشركين وعلومهم وهل بعثت الرسل الا بالانكار على هؤلاء ومحقهم ومحق علومهم واعمالهم من الارض وهل للرسل اعداء بالذات الا هؤلاء ومن سلك سبيلهم وهذا معلوم بالاضطرار لكل من آمن بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم وصدقهم فيما جاؤا به وعرف مسمى رسول الله وعرف مرسله وهل كان لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عدو مثل هؤلاء المنجمين الصابئين و (حران) كانت دار مملكتهم والخليل اعدى عدولهم وهم المشركون حقا والاصنام التي كانوا يعبدونها كانت صور وتماثيل للكواكب وكانوا يتخذون لها هياكل وهي بيوت العبادات لكل كوكب منها هيكل فيه اصنام تناسبه فكانت عبادتهم للاصنام وتعظيمهم لها تعظيما منهم للكواكب التي وضعوا الاصنام عليها وعبادة لها وهذا اقوى السببين في الشرك الواقع في العالم وهو الشرك بالنجوم وتعظيمها واعتقاد انها احياء ناطقة ولها روحانيات تتنزل على عابديها ومخاطبيها فصوروا لها الصور الارضية ثم جعلوا عبادتها وتعظيمها ذريعة الى عبادة تلك الكواكب واستنزال روحانياتها وكانت الشياطين تتنزل

عليهم وتخاطبهم وتكلمهم وتريهم من العجائب ما يدعوهم الى بذل نفوسهم واولادهم واموالهم لتلك الاصنام والتقرب اليها وكان مبدأ هذا الشرك تعظيم الكواكب وظن السعود والنحوس وحصول الخير والشر في العالم منها وهذا هو شرك خواص المشركين وارباب النظر منهم وهو شرك قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام والسبب الثاني عبادة القبور والاشراك بالاموات وهو شرك قوم نوح عليه الصلاة والسلام وهو اول شرك طرق العالم وفتنته اعم واهل الابتلاء به اكثر وهم جمهور اهل الاشراك وكثيراً ما يجتمع السببان في حق المشرك يكون مقابريا نجوميا قال تعالى عن قوم نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وقال البخاري : في صحيحه قال ابن عباس كان هؤلاء رجالا صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت ولهذا لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ونهى عن الصلاة الى القبور وقال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وقال « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك » واخبر ان هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة وهؤلاء هم اعداء نوح كما ان المشركين بالنجوم هم اعداء ابراهيم ، فنوح عاداه المشركون بالقبور وابراهيم عاداه المشركون بالنجوم والطائفتان صوروا الاصنام على صور معبوديهم ثم عبدوها وانما بعثت الرسل بمحق الشرك من الارض ومحق اهله وقطع اسبابه وهدم بيوته ومحاربة اهله وكيف يظن بامام الحنفاء وشيخ الانبياء وخليل رب الارض والسماء انه

كان يتعاطى علم النجوم ويأخذ منه احكام الحوادث سبحانك هذا بهتان عظيم وانما كانت النظرة التي نظرها في علوم النجوم من معاريض الاعمال كما كان قوله « فعله كبيرهم هذا » وقوله « اني سقيم » وقوله عن امرأته (سارة) هذه اختي من معاريض المقال ليتوصل بها الى غرضه من كسر الاصنام كما توصل بتعريضه بقوله « هذه اختي » الى خلاصها من يد الفاجر ولما غلظ فهم هذا عن كثير من الناس وكشفت طباعهم عن ادراكه ظنوا ان نظره في النجوم ليستنبط منها علم الاحكام وعلم ان نجمه وطالعه يقضي عليه بالسقم وحاشا لله ان يظن ذلك بخليله ﷺ او باحد من اتباعه وهذا من جنس معارض يوسف الصديق صلى الله تعالى عليه وسلم حين تفتيش اوعية اخيه عن الصاع فان المفتش بدأ باوعيتهم مع علمه انه ليس فيها واخر وعاء اخيه مع علمه انه فيها تعريضا بانه لا يعرف في اي وعاء هي ونفيا للتهمة عنه بانه لو كان عالما في اي الاوعية هي لبادر اليها ولم يكلف نفسه تعب التفتيش لغيرها فلهذا نظر الخليل ﷺ في النجوم نظر تورية وتعريض محض ينفى به عنه تهمة قومه ويتوصل به الى كيد اصنامهم انتهى .

فهذا ما ذكره شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى في مشابهة زنادقة هذه الامة لمن قبلها من الامم من عبادة الاجرام العلوية واعتقاد التأثيرات منها في العوالم السفلية ،

واما ماذكره في الزيارات من الاعتقادات التي ضاهوا بها اليهودية والنصرانية فنذكر شيئا يسيراً منه قال ابن القيم رحمه الله تعالى في « اغاثة اللهفان » فمن مفاسد اتخاذها اعياداً الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترباتها وعبادة اصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من انواع الطلبات التي كان عباد الاوثان يسألونها اوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الاكوار

والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت اصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم اربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين سجداً يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملأوا اكفهم خيبة وخسرانا لغير الله بل للشيطان ما يرى هنالك من العبرات ويرتفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذي الفاقات ومعافاة اولي العاهات والبليات ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدي للعالمين ثم اخذوا في التقبيل والاستلام أرأيت الحجر الاسود وما يفعل به وفد بيت الله الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود الذي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم يهني بعضهم بعضا ويقول اجزل الله لنا ولكم اجرا وافرا وحظا ، فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين ان يبيع احدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الي البيت الحرام فيقول لا ولو بحجك كل عام؟ هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم اذ هي فوق ما يخطر بالبال ويدور في الخيال وهذا مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من شم ادني رائحة من العلم والفقه يعلم ان من اهم الامور سد الذريعة الى هذا المحذور وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهي عنه وما يؤول اليه واحكم في نهيه عنه وتوعده عليه وان الهدي والخير في اتباعه وطاعته والشر

والضلال في معصيته ومخالفته ، ثم ذكر رحمه الله كلاما طويلا ، وأما ما ذكر الملحد من الخرقة وصريح الافك والزندقة بقوله : فانظر ما في هذا الكلام من التلاعب والتقلب والقياس الفاسد والتهور الذي ادخله فى زمرة محرفي كلام رسول الله عن مواضعه ، فنقول معاذ الله وحاشا لله ان يكون في كلامه تلاعب وتقلب وقياس فاسد او تهور بل هو كلام امام عالم بالله ورسوله ودينه وشرعه وانما التهور والكلام الباطل والتلاعب بدين الله ورسوله والقياس الفاسد منكم بدأ واليكم يعود لانكم اهله ومقره ومحله ومستقره ويل لك من خانع ! ما اقل عنايتك ودرايتك وما أكثف طبعك وما اشد غباوتك ! أي تلاعب في كلامه وجوابه واى تهور وتقلب في خطابه واي قياس فاسد أورده ليس بصحيح وأي كلام ذكره في كتابه غير صريح ؟ ذلك فى قوله ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ولولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً وقوله ﷺ « الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك » وقوله ﷺ « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » ؟ فاى تحريف في هذا واي تلاعب ؟ (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) اما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتي ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ اما وقع مصداق ما اخبر به ﷺ فبنوا تلك القباب على القبور وجعلوا لها السدنة وقربوا لها القرابين واوقدوا فيها السرج وقد قال ﷺ « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفعل فيها وعندها من الامور الشركية التي

تقدم بيانها آنفاً ولم تعرف من ذلك الا التصريح بالنهى عن الجلوس على القبور والصلاة اليها وهو من الوسائل والذرائع المفضية الى محظورات الشرائع وبابعد ما بينها فان هذه وسائل وتلك غايات .

واما ما زعمه انه ليس فيها نهى عن الزيارة ولا تشبيه من يزور قبر نبي او غيره بعابد الشمس والقمر وغيرهما .

فأقول : بل هذا من سوء فهمك وقصور علمك اليست العلة المحذورة المشبه بها من عباد الكواكب والشمس والقمر وهى اعتقادهم ان ارواح تلك الافلاك العلوية اذا تعلقت بها النفس الناطقة تفيض عليه الانوار فلما اعتقدوا ذلك ورجوه منها واعتقدوه فيها بنوا لها الهياكل والبيوت وصوروا فيها تلك الصور وجعلوا لها السدنة والحجاب وقربوا لهـا القرابين وكذلك اليهود والنصارى لما اعتقدوا ما اعتقدوه في انبيائهم وغلوا فيهم وصرفوا لهم من حق الله ما صرفوه اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وصوروا فيها تلك الصور وجعلوا لهـا السدنة والحجاب وقربوا لهم القرابين والنذور ، فلما علم نبينا ﷺ ان هذه الامة تأخذ مآخذ الامم قبلها نهي عن ذلك وهذه العلة المذكورة موجودة في هذه الامة من عباد قبور الانبياء والصالحين حتى بنوا عليها القباب وجعلوا عندها سدنة وقصدها المجاورون وارقدوا عندها السرج وعكفوا عندها واعتقدوا ان لأرواح الانبياء والاولياء والصالحين تصرفات في الحياة وبعد الممات فاستغاثوا بهم في الشدائد والبليات واعتقدوا ان بهممهم تكشف المهمات ويأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين ان ذلك منهم كرامات وقد نهي النبي ﷺ امته ان تفعل كما فعلت اليهود والنصاري وحذرهم من ذلك غاية التحذير فجاء ورثة الانبياء والرسل الذين هم اعلام الهدي ومصابيح الدجي فنهوهم عما نهى عنه نبيهم ﷺ وجردوا

التوحيد لله رب العالمين فزعم هؤلاء الزنادقة ان هذا تلاعب بالدين و ن ذلك تهور وقياس فاسد فبعدا للقوم الظالمين

فصل

قال الملحد : واما كلامه الثاني فانه بعد ما نقل آيت نزلت في حق المشركين ،قال : وقال الله تعالى (وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) فالمسيح صلوات الله عليه ومن قبله من الرسل انما دعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه لم يأمر احد من الانبياء بأن يعبد ملك ولا نبي ولا كوكب ولا وثن ولا تسأل الشفاعة الا من الله لا ميت ولا غائب لا نبي ولا ملك فلم يأمر احد من الرسل بان يدعوا الملائكة ويقولوا اشفعوا لنا الى الله انتهي . فانظر ما في هذا الكلام من الخلط والضلال (اولا) قياسه التوسل والاستشفاع على عبادة النصارى والوثنيين للصور والاوثان (ثانيا) جعل الاستشفاع والتوسل بهذا القياس من المكفرات (ثالثا) استثناء الاحياء والحاضرين وحصر التحريم بالاموات والغائبين وادخال الملائكة مع الاموات والغائبين مع ان الملائكة ليسوا امواتا ولا غائبين والتوسل والاستشفاع بالحي اقرب لمظنة الشرك من الميت وجميع الفرق المشركة ما قالوا بالوهية حدثت لميت بعد موته بل كلهم قالوا بالوهية اخر . وكلهم ينكرون موت آلهتهم .وسيأتي في البحث الثالث انشا . فلله من كلام الله تعالى وكلام رسوله ما يثبت به ضلال هذا المضل ويدحض افتراءه على الله وانبيائه . فلعمر الحق ان كلام هذا الرجل ان لم يكن عن فسق وزيغ فهو اجدر بالجنون واختلال العقل الى اخر كلامه .

والجواب : ان يقال لهذا الملحد نظرنا في كلامه فوجدناه على اقوم منهج وطريق وقد سلك فيه مسلك اهل الحق والتحقيق ووجدنا كلامك واعتراضك هو الخبط والهمط والتخليط والضلال الواضح المشتمل على انواع من الافراط والتفريط فقصر بك الجهل والغباوة المفرطة عن ادراك حقائق العلوم النافعة الدينية وانحسرت بك في مهامه الغي والضلال فلم تلحق باهل الملة الحنيفية وتجارى بك الغلو والافراط حتى اوغلت في الشر والاختلاط فكان ما انت بصدده هو الخلط والضلال لاهل الايمان بالله ورسوله من ذوي الفضل والكمال .

فاما قوله : « اولا قياس التوسل والاستشفاع على عبادة النصارى والوثنيين للصور والاوثان » فاقول نعم ان قياس التوسل والاستشفاع على عبادة النصارى والوثنيين للصور والاوثان هو القياس الصحيح الموافق للنص الصريح قال الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم وينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقد بينا فيما تقدم ان التوسل على عرف عباد القبور اليوم هو دعاء الانبياء والاولياء والتشفع بهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وبينا ان هذا هو محض حق الله وان من صرفه لغير الله كان مشركا كما ذكر ذلك اهل العلم واذا كان المشركون الاولون انما عبدوا من عبدوه من دون الله بصرف هذه العبادة لغير الله وسموه تشفعاً وتقرباً الى الله فكفرهم الله بذلك ولم تنفعهم ذلك تشفعاً وتقرباً مع وجود الحقيقة فان الحقائق لا تتغير بتغير اسمائها ، وقد ذكر اهل العلم اشياء من دين النصارى كقول بعضهم : ياوالدة المسيح اشفعي لنا الى الاله او ياعيسى اعطني كذا وافعل لي كذا . فاذا كان هذا هو حقيقة الشرك بالله الذي كفر الله بـه النصارى وكان من غلاة هذه الامة من يقول كما تقول النصارى وكما يقوله المشركون الاولون كمن يقول

يا علي ، او ياحسين ، او يا عباس ، او يا عبد القادر ، او يا عيدروس ، او يا احمد البدوي ، او فلان وفلان اعطني كذا واجرني من كذا وانا في حسبك او نحو ذلك من الالفاظ الشركية التي تتضمن العدل بالله والتسوية به تعالى وتقدس فهذا لا تأتي شريعة ولا رسالة بأباحته قط بل هو من شعب الشرك الظاهرة الموجبة للخلود في النار ومقت العزيز الغفار ، فكان قياس شيخ الاسلام ما فعله غلاة هذه الامة على ما فعلته وقالته النصارى والمشركون الاولون من اصح القياس المطابق له في اللفظ والمعنى فلا عيب عليه ولا لوم يتوجه اليه . واما قوله: ثانياً جعل الاستشفاع والتوسل بهذا القياس من المكفرات فاقول : نعم وجوابه ما تقدم وتأويل الجاهلين والميل الى شبه المبطلين هو الذي اوقع هؤلا. واسلافهم الماضين من اهل الكتاب والاميين في الشرك بالله رب العالمين فبعضهم يستدل على شركه بالمعجزات والكرامات وبعضهم برؤيا المنامات وبعضهم بالقياس على السوالف والعادات وبعضهم بقول من يحسن به الظن وكل هذه الاشياء ليست من الشرع في شيء. وعند رهبان النصارى وعباد الصليب والكواكب من هذا الضرب شي. كثير وما اشبه الليلة بالبارحة فانا لله وانا اليه راجعون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)

واما قوله : ثالثاً استثناء الاحياء والحاضرين وحصر التحريم بالاموات والغائبين والتوسل والاستشفاع بالحي اقرب لمظنة الشرك من الميت وجميع الفرق المشركة ما قالوا بالوهية حدثت لميت بعد موته بل كلهم قالوابالوهية احياء وكلهم ينكرون موت الهتهم .

فالجواب ان نقول : أما استثناؤه الاحياء والحاضرين وحصره التحريم بالاموات والغائبين فلقوله تعالى(وما يستوى الاحياء ولا الاموات) فان الطلب

والاستشفاع من الحي الحاضر القادر على ما يقدر عليه من الامور الظاهرة العادية التي اجري الله على ايدي العباد ان ينتفع بها بعضهم بعضا جائز لا نزاع فيه بين العلماء. واما الامور التي لا يقدر عليها الا الله وليست في مقدور البشر فلا يجوز ان تطلب الا من الله ومن طلبها من الاموات والغائبين والاحياء. فقد اشركهم بالله فيما لا يقدر على فعله الا الله وهذا هو الشرك باجماع العلماء. واما حصره التحريم بالاموات والغائبين فان الميت قد انقطع عمله بنص رسول ﷺ حيث قال «اذا مات بن آدم انقطع عمله الا من ثلاث» الحديث فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان ارواحهم ممسكة وان اعمالهم منقطعة عن زيادة او نقصان فدل ذلك على ان ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر ان الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة (قل أأنتم أعلم أم الله)؟ هذا ملخص ما ذكره الامام صنع الله الحلبي الحنفي ، واما الملائكة فلا يقول عاقل انهم حاضرون وان كانوا احياء فهم في حكم الغائبين الا ما كان من الملائكة الموكلين ببني آدم الذين لا يفارقونهم ولا يقول مسلم ان الطلب من هؤلاء الملائكة الاحياء الموكلين ببني آدم جائز .

واما قوله : والتوسل والاستشفاع بالحى اقرب لمظنة الشرك من الميت فقد تقدم الجواب عنه قريباً واما قوله : وجميع الفرق المشركة ما قالوا بالوهية حدثت لميت بعد موته بل كلهم قالوا بالوهية احياء وكلهم ينكرون موت آلهتهم .

فالجواب ان نقول : من جعل في مخلوق نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني او اغثني او ارزقني او انا في حسبك ونحو ذلك كان مشركا سواء

كان ذلك المدعو حيا او ميتاً فقد اتخذه إله وهؤلاء النصارى عليهم لعائن الله يعبدون عيسى بن مريم ويتخذونه إله مع الله وهو حي قد رفعه الله اليه والمشركون الاولون كانوا يعبدون ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وهم اموات ولا يعتقدون ان الآلهية حدثت لهم بعد موتهم ولكن كانوا يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله وان يقربوهم اليه زلفى وكذلك النماردة الفراعنة الاولى كان قومهم يعبدونهم وهم احياء ويدعون فيهم الالهية بل الربوبية والسبئية قد ادعوا الالهية في علي بن ابي طالب فاستتابهم ثلاثا فلما لم يتوبوا ولم يرجعوا خدلهم الاخاديد عند باب كندة فقذفهم فيها وقال :

لما رأيت الامر امرا منكرا اجججت ناري ودعوت قنبرا

فالمشركون كانوا يعبدون الهتهم احياء وامواتا فلا ادري ما هذه المخرقة التي يمخرق بها هذا الضال المضل .

فصل

ثم قال الملحد : وسيأتي في البحث الثالث انشاء الله تعالى من كلام الله تعالى وكلام رسوله ما يثبت به ضلال هذا المضل ويدحض افتراءه على الله وانبيائه فلعمر الحق ان كلام هذا الرجل ان لم يكن عن فسق وزيغ فهو اجدر بالجنون واختلال العقل الى آخر ما هذى به .

والجواب ان نقول : وسيأتي الكلام على كلامه انشاء الله تعالى بما يدحض ضلالته ويبين سفاهته وجهالته ، واما تسمية شيخ الاسلام الضال المضل فاين هذا من قوله لما ذكر كلام شيخ الاسلام في (رفع الملام عن الائمة الاعلام) قال فانظر رحمك الله اذا كان حال الخلفاء الراشدين واجلاء الصحابة رضي الله عنهم على ما سمعت وشهادة عن عشر شهادات من امام جليل مقتدى بـه عند السادات

الحنابلة عموما و لوهابيين واتباعهم خصوصا لما كان موافقا لهواه مع ان الذي ذكره شيخ الاسلام في حق الائمة الاعلام هو الحق الذي ندين الله به وذكرفي هذا البحث لما كان مخالفا لما يهواه وقد كان هو الحق والصواب الموافق لنصوص السنة والكتاب انه هو الضال المضل المفتري على الله وعلى انبيائه وان كلامه ان لم يكن عن فسق وزيغ فهو اجدر بالجنون واختلال العقل فان لم يكن هذا من التلفيق الذي شنع علي من سلكه ورمى به أهل التحقيق فليس على وجه الارض تلفيق فعلى وجهه التباب والعفا (وسلام على عباده الذين اصطفى) ثم ذكر كلاماً بعد هذا في ذكر من رد على شيخ الاسلام ومن رد على الوهابية ولا فائدة في الجواب عن ذلك ولا عن ما ذكره بعده من المخرقة اذ لو تتبعنا جميع زلالته وهفواته ورعونات جهله وضلالاته لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار ، ويسأله الله عن ذلك (يوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

فصل

ثم قال الملحد : قال الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (الفضائل المحمدية) ما نصه : الف العلماء فى زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام كتباً مستقله منهم الامام السبكى وابن حجر . فمن الاحاديث التي نقلاها وبسط السبكي الكلام عليها الارل قوله ﷺ « من زار قبري وجبت له شفاعتي» الثانى قوله « من جاءني زائراً لا يعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعاً يوم القيامه » الثالث قوله « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » الرابع قوله « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » الخامس « من زار قبري كنت له شهيداً ، ومن مات في احد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم

القيامة » السادس قوله « من زارني معتمداً كان في جواري يوم القيامة » السابع قوله « ما من احد من امتي له سعة لم يزرني فليس له عذر » انتهى .

والجواب ان نقول : قد ذكر الامام الحافظ محمد بن عبد الهادي المقدسي في كتابه « الصارم المنكي » الجواب عن هذه الاحاديث فنذكر من ذلك نزراً يسيراً تقوم به الحجة وتتضح به الحجة فقال : هذا الحديث الذي ابتدا. المعترض بذكره حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث منكر عند ائمة هذا الشأن ضعيف الاسناد عندهم لا يقوم بمثله حجة ولا يعتمد على مثله عند الاحتجاج الا الضعفا. في هذا العلم ، وقد بين ائمة هذا العلم والراسخون فيه والمعتمد على كلامهم والمرجوع الى اقوالهم ضعف هذا الخبر ونكارته كما سنذكر بعض ما بلغنا عنهم في ذلك ان شاء الله تعالى ، وجميع الاحاديث التي ذكرها المعترض في هذا الباب ، وزعم انها بضعة عشر حديثاً ليس فيها حديث صحيح بل كلها ضعيفة واهية ، وقد بلغ الضعف الى ان حكم عليها الائمة الحفاظ بالوضع كما أشار اليه شيخ الاسلام ، ولو فرض ان هذا الحديث المذكور صحيح ثابت لم يكن فيه دليل على مقصود هذا المعترض ولا حجة على مراده كما سيأتي بيانه انشاء الله تعالى فكيف وهو حديث منكر ضعيف الاسناد واهي الطريق لا يصلح الاحتجاج بمثله ولم يصححه احد من الحفاظ المشهورين ولا اعتمد عليه احد من الائمة المحققين . ثم ذكر رحمه الله من روى هذا الحديث من العلماء الذين يذكرون في كتبهم الحديث الصحيح والحسن والضعيف بل والموضوع ويبينون في كتبهم صحته او ضعفه او نكارته وغير ذلك مثل الدار قطني وابي جعفر العقيلي وابي احمد بن عدي ، ومثل البيهقي وكل هؤلاء الائمة الحفاظ ذكر انهم قد بينوا ضعف هذا الحديث ونكارته وانه لا يحتج به فبطل

الاستدلال به والاعتماد عليه ولا نطيل بذكر ما ذكر على هذا الحديث من كلام العلماء وبيان ما فيه لاجل الاختصار ومن اراد الوقوف على ذلك ، وعلى ما يأتي من كلامه على هذه الاحاديث فليراجعه في محله وبالله التوفيق .

ثم قال الملحد الحديث الثاني قوله : من جاءني زائراً لا يعمله حاجة الا زيارتي كان حقاً علي ان اكون له شفيعا يوم القيامة .

والجواب ان نقول : قال الحافظ محمد بن عبد الهادي : قلت هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة القبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع انه حديث ضعيف الاسناد منكر المتن لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة ، ولا رواه الامام احمد في مسنده ولا احد من الائمة المعتمد على ما اطلقوه في روايتهم ولا صححه امام يعتمد على تصحيحه ، وقد تفرد به هذا الشيخ لذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ، ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره ، وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر الا برواية هذا الحديث المنكر ، وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ومتنه . الحجامة فى الرأس امان من الجنون والجذام والبرص والنعاس والضرس ، قال : واذا تفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيد الله بن عمر اثبت آل عمر ابن الخطاب في زمانه ، واحفظهم عن نافع عن سالم : عن ابيه عبد الله بن عمر من بين سائر اصحاب عبيد الله الثقاة المشهورين والاثبات المتقنين علم انه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره ولا يجوز الاعتماد على روايته ثم ذكر كلاماً طويلا .

ثم قال الملحد : الحديث الثالث قوله : من حج فزار قبري بعد وفاتي

فكانما زارني في حياتي .

والجواب ان نقول : قال الحافظ : واعلم ان هـذا الحديث ، لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله ، فانه حديث منكر المتن ساقط الاسناد ، لم يصححه احد من الحفاظ ، ولا احتج به احد من الائمة بل ضعفوه وطعنوا فيه ، وذكر بعضهم انه من الاحاديث الموضوعة والاخبار المكذوبة ولا ريب في كذب هذه الزيادة فيه ، واما الحديث بدونها فهو منكر جدا وراويه حفص بن سليمان ابو عمر الاسدي الكوفي البزاز القاري الغازي ، وهو صاحب عاصم بن ابي النجود في القراءة وابن امرأته ، وكان مشهورا بمعرفة القراءة ونقلها ، واما الحديث فانه لم يكن من اهله ، ولا ممن يعتمد عليه في نقله ، ولهذا جرحه الائمة وضعفوه وتركوه واتهمه بعضهم ، قال عثمان بن سعيد الدارمي وغيره عن يحيي بن معين ليس بثقة ، وذكر العقيلي عن يحيي انه سئل عنه فقال : ليس بشيء ، وقال عبد الله بن الامام احمد : سمعت ابي يقول : حفص بن سليمان ابو عمر القاري متروك الحديث ، وقال البخاري : تركوه . وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني : قد فرغ منه من دهر . وقال مسلم بن الحجاج متروك ، وقال علي بن المديني : ضعيف وتركته على عمد وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه ، وقال مرة متروك الحديث ، ثم ذكر كلام الحفاظ فيه واطال الكلام ، وفيما ذكرناه كفاية انشاء الله تعالى :

قال الملحد الحديث : الرابع قوله : من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني : قال الامام الحافظ : واعلم ان هذا الحديث المذكور حديث منكر جدا لا اصل له بل هو من المكذوبات والموضوعات ، وهو كذب موضوع على مالك مختلق عليه ، لم يحدث به قط ولم يروه الا من جمع الغرائب والمناكير والموضوعات ،

ولقد اصاب الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في ذكره في الموضوعات ، والحمل في هذا الحديث على محمد بن محمد ابن النعمان لا على جده كما ذكره الدار قطني في الحواشي على كتاب المجروحين لابي حاتم بن حبان البستي ، ثم ذكر كلاما الى ان قال : ولقد صدق الحافظ في هذا القول فان النعمان ابن شبل انما يعرف برواية هذا الحديث عن محمد بن الفضل بن عطية المشهور بالكذب ووضع الحديث عن جابر الجعفي عن محمد بن علي عن علي بن ابي طالب هكذا رواه الحافظ ابو عمرو بن خرزاد عن النعمان بن شبل كما تقدم ذكره هذا الحديث الموضوع لا يليق ان يكون اسناده الا مثل هذا الاسناد الساقط ولم يروه عن النعمان بن شبل عن مالك عن نافع عن بن عمر الا ابن ابنه محمد بن محمد ابن النعمان ، وقد هتك محمد في رواية هذا الحديث شره وأبدى عن غورته وافتضح بروايته حيث جعله عن مالك عن نافع عن بن عمر ، ومن المعلوم عند ادنى منزله علم ومعرفة بالحديث ان تفرد مثل محمد بن محمد بن النعمان بن شبل المتهم بالكذب والوضع عن جده النعمان بن شبل الذي لم يعرف بعدالة ولا ضبط ولم يوثقه امام يعتمد عليه ، بل اتهمه موسى بن هارون الحمال احد الائمة الحفاظ المرجوع الى كلامهم فى الجرح والتعديل ؟ الذي قال فيه عبد الغني بن سعيد المصري الحافظ : هو احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقته عن مالك وعن نافع عن بن عمر بمثل هذا الخبر المنكر الموضوع من ابين الادلة واوضح البراهين على فضيحته وكشف عورته ، وضعف ما تفرد به وكذبه ورده ، وعدم قبوله ، ونسخة مالك عن نافع عن بن عمر محفوظة معروفة مضبوطة ، رواها عند اصحابه رواة الموطا وغير رواة الموطا ، وليس هذا الحديث منها بل لم يروه مالك قط ولا طرق سمعه ، ولو كان من

حديثه لبادر الى روايته عند بعض اصحابه الثقاة المشهورون بل لو تفرد بروايته عنه ثقة معروف من بين سائر اصحابه لا نكره الحفاظ عليه ولعدوه من الاحاديث المنكرة الشاذة فكيف وهو حديث لم يروه عنه ثقة قط ولم يخبر به عنه عدل انتهى المقصود منه .

ثم قال الملحد : الحديث الخامس قوله « من زار قبري كنت له شهيداً ومن مات في احد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة

والجواب ان يقال : هذا الحديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة اسناده واضطرابه ولاجل اختلاف الرواة في اسناده واضطرابهم فيه ، قال وهو حديث واحد ساقط الاسناد لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى ، وقد خرجه البيهقي في شعب الايمان وفي كتاب السنن الكبير ، وقال في كتاب (السنن) بعد تخريجه هذا اسناد مجهول قلت وقد خالف ابا داود وغيره في اسناده لفظه وسوار بن ميمون شيخه يقبله بعض الرواة ، ويقول ميمون بن سوار وهو شيخ مجهول لا يعرف بعدالة ولا ضبط ولم يشتهر بحمل العلم ونقله ، واما شيخ سوار في هذه الرواية أبي داود فانه شيخ مبهم وهو أسوء حالا من المجهول ، وبعض الرواة يقول فيه عن رجل من آل عمر كما في هذه الرواية ، وبعضهم يقول عن رجل من ولد حاطب ، وبعضهم يقول عن رجل من آل الخطاب . ثم ذكر الحافظ كلاما طويلا في سوار بن ميمون فاقتصرنا على ما سبق والله اعلم .

قال الملحد : الحديث السادس بعينه هو الحديث الخامس وهو عند الحافظ الحديث السابع ، وهو السابع فجعل المعترض له حديثين بل ثلاثة احاديث وهو حديث واحد ضعيف مضطرب مجهول الاسناد من اوهى المراسيل واضعفها

وهو من باب التسويل والتكثير بما لا يحتج به وما كفاه هذا حتى اخذ يقويه وينقش من رده وتكلم فيه وقد علم ان ضعفه حصل بامور متعددة واشيا مختلفة وهي الاضطراب والاختلاف والجهالة والارسال والانقطاع وبعض هذه الامور تكفي في ضعف الحديث ورده وعدم الاحتجاج به عند ائمة هذا الشأن وكيف باجتماعها في خبر واحد الى آخر ما ذكره الحافظ والحديث المذكور من رواية سوار بن ميمون .

ثم قال الملحد الحديث السابع (قوله) ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر انتهى .

والجواب ان نقول قد ذكر الحافظ محمد بن عبد الهادي ان هذا هو الحديث الثاني عشر من كتاب السبكي ، قال الحافظ هكذا ذكر المعترض هذا الحديث وخرس بعد ذكره فلم ينطق بكلمة وهو حديث موضوع مكذوب مختلق مصنوع من النسخة الموضوعة المكذوبة الملصقة بسمعان المهدي — قبح الله واضعها ! واسناده الى سمعان ظلمات بعضها فوق بعض ، واما سمعان فهو من الحيوانات التي لا تدري هل اوجد ام لا وهذا المعترض ان كان لا يدري ان هذا الحديث من اقبح الموضوعات فهو من اجهل الناس وان كان يعلم انه موضوع ثم يذكره في معرض الاحتجاج يتكثر به ولا يبين حاله فهو داخل في قوله ﷺ من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين فهو اما جاهل مفرط في الجهل او معاند صاحب هوى متبع لهواه نعوذ بالله من الخذلان انتهى ما ذكره الحافظ مختصراً ، ومن كان لله به عناية علم ان هذه الاحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي غاية ما يعتمدون عليه وهي مستندهم وقد رأيت ما ذكره الحفاظ ائمة هذا الشأن فيها ولم

نذكر من ذلك الا عشر معشار ما ذكره الحافظ طلبا للاختصار ، واذا بطل الاصل الذي يعتمدون عليه بطل الفرع الذي يتفرع عليه من الاقوال المخترعة والمذاهب المبتدعة ثم ذكر هذا الملحد بعد هذا كلاماً لبعض العلماء الذين لا يعتمد على اقوالهم ولا يعول عليها في فروع الدين فكيف بأصوله؟! فلا نطيل بردها .

فصل

ثم قال الملحد : وجماع القول في هذه المسألة التي وقع اجماع المسلمين من أهل السنة والشيعة علي فضلها ووجوبها هي من جملة الامور التي خرق الوهابيون واخوانهم الاجماع بخطرهم وانكارها ومرقوا بهذا الخرق من الاجماع وخلعوا ربقة الاسلام من عنقهم والعياذ بالله تعالى .

والجواب ان نقول دعوى اجماع المسلمين من اهل السنة دع الشيعة فانهم اخوانهم ولم تتصل هذه البدع والشرك بالله اليه والي حزبه من المشركين الا من جهتهم دعوى مجردة عن الدليل فانه لم يجمع العلماء على جواز شد الرحال الى قبره عليه الصلاة ولا الى قبور الانبياء و لا الاولياء والصالحين ومشاهدهم بقصد السلام ولا ابتغاء الفضيلة بدعاء الله عندها من غير ان يدعوهم ويتشفعوا بهم ويطلبوا منهم قضاء الحاجات واغاثة اللهفات فضلا عن ان يجمعوا على شد الرحال اليها لقصد دعاء اربابها والشرك بهم والطواف بقبورهم وتقريب القرابين والنذور لها فان هذا مجمع على المنع منه وعلي انه بهذا القصد شرك بالله ومخالفة لما كان عليه الصحابة والتابعون والائمة المهتدون فخرق اجماع من هذا دينه وهذه نحلته هو الحق الذى ندين الله به وعليه ائمة اهل السنة المحققون ودعوى هذا

الملحد اجماع المسلمين من اهل السنة والجماعة على استحباب شد الرحال بزيارة قبور الانبياء والصالحين دعوى باطلة فان العلماء لم يجمعوا على هذه الدعوى الخاطئة واذا كان ذلك كذلك فنذكر من كلام ائمة الاسلام خصوصاً ائمة المالكية الذي ينتسب هذا الملحد اليهم ويزعم انه يعتمد علي اقوالهم قال الشيخ تقي الدين في (الجواب الباهر) قال في (المدونة) ومن قال لله على أن آتي المدينة او بيت المقدس او المشي الى المدينة او بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا الا ان ينوي الصلاة في مسجديها او يسميهما فيقول الى مسجد الرسول او مسجد ايليا وان لم ينو الصلاة فليأتهما راكبا ولا هدى عليه وكانه لما سماها قال لله على أن اصلى فيها ولو نذر الصلاة في غيرهما من مساجد الامصار صلى في موضعه ولم يأته فقد تبين انه نوي الصلاة في المسجدين وفا بنذره وكذلك ان سمي المسجد انه يوتي للصلاة واما اذا نذر اتيان نفس البلد فليس عليه ان يأتيه وهذا متناول اتيانه لزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الشهداء. واهل البقيع واتيان مسجد قباء كما يتناول النهى عن السفر الى بيت المقدس لزيارة القبور والاثار التي هناك من آثار الانبياء. واتيان المسجد لغير الصلاة كالتمسح بالصخرة وتقبيلها او اتيانه للوقوف عشية عرفة والطواف بالصخرة او لغير ذلك مما يظنه بعض الناس عبادة وليس بعبادة ، ومما هو عبادة للقريب ولا يسافر لاجله كزيارة قبور المسلمين والدعاء لهم والاستغفار فان هذا مستحب لمن خرج الي المقبرة من البلد ولمن اجتاز به ولا يشرع السفر لذلك فمالك وغيره نهوا عن السفر الى المدينة او الى بيت المقدس لغير العبادة المشروعة في المسجدين سواء كان المسافر يسافر لامر غير مشروع بحال او لما هو مشروع للقريب ولا يشرع السفر لاجله وكذلك مذهب مالك انه لا يسافر الى المدينة لشيء من ذلك بل هذا السفر منهي عنه والسفر المنهي عنه

عنده لا تقصر فيه الصلاة لكن بعض اصحابه وهو محمد بن مسلمة استثني مسجد قبا. وابن عبد البر جعل السفر مباحا الى غير الثلاثة مساجد ولا يلزم بالنذر لانه كما يقول بعض اصحاب الشافعي . احمد واما جمهور اصحاب مالك فملى قوله في ان السفر لغير المساجد الثلاثة محرم لا يجوز ان يفعل ولو نذر ، فلا يستحب عند احد منهم ، وقال القاضى عياض : لا يباح السفر لغير المساجد الثلاثة لا لناذر ولا لمتطوع ، وقال ابو الوليد الباجي قبله في السفر الى مسجد قبا. انه منهى عنه، قال القاضى عبد الوهاب البغدادي المالكي في « الفروق » فرق بين مسألتين يلزم نذر المشى الى البيت الحرام ولا يلزم ذلك الى المدينة ولا المقدس ، والكل مواضع يتقرب بأتيانها الي الله قال : والفرق بينهما ان المشى الى بيت لله طاعة تلزمه والمدينة وبيت المقدس الطاعة الصلاة في مسجديهما فقط فلم يلزم نذر المشي لانه لا طاعة في ألا ترى ان من نذر الصلاة في مسجديهما لزمه ذلك ؟ ولو نذر ان يأتي المسجد لغير صلاة لم يلزمه ان يأتي فقد صرح بأن المدينة وبيت المقدس لا طاعة في المشي اليهما انما الطاعة في مسجديهما فقط ، وانه لو نذر ان يأتي المسجد لغير صلاة لم يلزمه ذلك بنا. على انه ليس بطاعة فتبين ان من أتي مسجد الرسول لغير الصلاة انه ليس بطاعة ولا يلزم بالنذر ، فتبين ان السفر اليه واتيانه لاجل القبر ليس بطاعة كما ذكر ذلك مالك وسائر اصحابه ، ولا يرد على هذا الاعتكاف فان المعتكف عنده لا بد ان يصلى ، وكذلك من دخله لتعلم العلم او تعليمه ، فانه يصلى فيه اولا والمقصود ان هذه المسألة مذكورة في المختصرات ذكرها ابو القاسم بن الجلاب في التصريع قال : ومن قال على المشي الى المدينة او بيت المقدس فان اراد الصلاة في مسجديهما لزمه اتيانها راكبا ، والصلاة فيهما ، وان لم ينو ذلك فلا شي. عليه ، ولو قال لله على المشي الي مسجد

المدينة او مسجد بيت المقدس لزمه اتيانهما راكباً والصلاة فيهما ، وان نذر السفر لى مسجد المدينة سوي المسجد الحرام ومسجد المدينة او مسجد بيت المقدس فان كان قريباً لا يحتاج الى راحلة مضي اليه ، وصلى فيه وان كان بعيداً لا ينال الا براحلة صلى في مكانه ولا شيء عليه ، وهذا الفرق الذي ذكره ابن الجلاب في سائر المساجد من القريب والبعيد ذكره قبله محمد بن المواز في « الموازنة » وغيره قال : اما السفر الى المدينتين مدينة الرسول وبيت المقدس لغير الصلاة في المسجدين فانه لا يستحب ان تشد الرحال الا الي ثلاثة مساجد ، وقد ذكر ذلك ابن بشير في « تنبيه » والقيرواني في « تقريبه » وغيرهما من اصحاب مالك فهذ نص مالك واصحابه على ان من نذر اتيان المدينة لغير الصلاة في مسجدها ولو انه لزيارة اهل البقيع وشهداء احد ، وزيارة قبر النبي ﷺ ، فانها لا يأتيها ولا يوف بنذره بل السفر لذلك منهي عنه ، لقوله (لا تعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد) بل السفر الى ما يظن انه زيارة لقبر النبي ﷺ وليس بزيارة لقبره اولى بالنهى عن السفر لزيارة قبور اهل البقيع وشهداء احد ومسجد قباء هذه الاماكن يستحب لاهل المدينة اتيانها وان لم يقدموا من سفر اقتداء بالنبي ﷺ حيث كان يخرج الى القبور يدعو لهم وكان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً .

واما ما يظن انه زيارة لقبره مثل الوقوف خارج الحجرة للسلام والدعاء فهذا لا يستحب لاهل المدينة بل ينهون عنه لان السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا يدخلون الى مسجده للصلوات الخمس وغير ذلك ، والقبر عند جدار المسجد ولم يكونوا يذهبون اليه ، ولا يقفون عنده ، فاذا كان السفر لما شرع لاهل المدينة غير المسجد

منهياً عنه فالنهي عن السفر لما ليس بمشروع مما يسمي زيارة لقبره وليس زيارة اولى واحري ، وقد ذكر هذا مالك وغيره من العلماء. ذكروا انه لا يستحب بل يكره للمقيمين بالمدينة الوقوف عند القبر للسلام او غيره ، لان السلف من الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك اذا دخلوا المسجد للصلوات الخمس وغيرها ، على عهد الخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فانهم كانوا يصلون بالناس في المسجد ابو بكر وعمر فصليا بالناس الى حين ماتا وعثمان الى ان حصر وعلي صلى فيه مدة مقامه بالمدينة الى ان خرج الى العراق وكان الناس يقدمون عليهم من الامصار يصلون معهم ومعلوم انهم لو كان مستحباً لهم ان يقفوا حذر القبر ويسلموا او يدعوا او يفعلوا غير ذلك لفعلوا ذلك ولو فعلوه لكثر وظهر واشتهر لكن مالك وغيره خصوا من ذلك عند السفر لما نقل عن ابن عمر ، قال القاضي عياض : قال مالك في (المبسوط) : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف للقبر وغير ذلك للغرباء وقال ايضاً ولا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر : قيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر من ذلك عند القبر يسلمون ويدعون ساعة فقال . لم يبلغني هذا عن اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك فقد احتج مالك ان صدر هذه الامة وائمتها لم يبلغه عن احد منهم انه كان يقف بالقبر وذكر ان ذلك يكره الا لمن جاء من سفر واراده ويكره الا لمن جاء من سفر واراده وانما اشتهر هذا عن ابن عمر انه كان اذا قدم من سفر اتى القبر

فقال : السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه .
وممن رواه القاضي اسماعيل بن اسحاق في (كتاب الصلاة على النبي ﷺ)
قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ايوب عن نافع عن ابن عمر
كان اذا قدم من سفر اتى المسجد ثم اتى القبر فقال السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا ابا بكر : السلام عليك يا ابتاه . فان قيل مالك وغيره استحبوا
للغربا كلما دخلوا المسجد ان يأتوا القبر وهذا يناقض ما ذكر عنهم من النهي عن
السفر لاجل القبر فانهم خصوا الغرباء المسافرين بقصد القبر فيكون لهم في المسألة
روايتان قيل ليس الامر كذلك بل هم استحبوا للغرباء الذين قدموا لاجل الصلاة
في المسجد ان يقفوا بالقبر ويسلموا كما استحبوا لهم ان يأتوا مسجد قباء وان
يزوروا اهل البقيع وشهداء احد ، وهم لو قصدوا السفر لاجل اهل البقيع والشهداء
او لموضع غير مسجد الرسول ﷺ كان ذلك منهياً عنه عندهم لكن اذا سافروا
لاجل المسجد والصلاة فيه اتوا القبر وزاروا قبور الشهداء واهل البقيع ومسجد
قباء ضمنا وتبعا كما ان الرجل ينهى ان يسافر الى غير المساجد الثلاثة فلو سافر
الى بلد لتجارة او طلب علم او نحو ذلك كان يأتي مسجد ويزور قبوره وان
كان لم يسافر لاجل ذلك وانما الرخصة في هذا للغرباء دون اهل المدينة فاهل
المدينة يفعلون ذلك عند السفر فيحصل مقصودهم والغربا انما يقيمون بالمدينة
اياما وصار هذا مثل صلاة التطوع في مسجد رسول الله ﷺ وفي المسجد الحرام
فانهم يستحبون للغرباء ان يتطوعوا فيه ، واما اهل البلد فتطوعهم في البيوت
افضل ، قال مالك التنفل فيه للغرباء أحب الي من التنفل في البيوت وحجتهم في
ذلك ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره من المساجد واهل البلد يصلون فيه دائما
للفرض فيحصل مقصودهم بذلك وتطوعهم في البيوت افضل لما ثبت في الصحيح

عن النبي ﷺ انه قال ايها الناس افضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكتوبة ، وقال في النساء : لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن ، واما الغرباء فلا يمكنهم أن يجعلوا الفريضة فيه دائما لان الفرائض لها اوقات محدودة فيستكثروا من التنفل فيه وكذلك المسجد الحرام ولهذا استحبوا في المسجد الحرام الطواف للغرباء وفضلوه على الصلاة انتهى . وقد اختلف العلماء في جواز شد الرحال الى غير الثلاثة المساجد : المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الاقصى ، فجوز بعض العلماء ذلك كأبي حامد الغزالي وابي الحسن بن عبدوس الحراني وابي محمد بن قدامة المقدسي ومنعه بعض العلماء كابي عبد الله ابن بطة وابي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين ، وحجة هؤلاء ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا ، وهذا الحديث اتفق الائمة على صحته والعمل به فلو نذر الرجل ان يصلي في مسجد او مشهد او يعتكف فيه او يسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الائمة ، ولو نذر ان يأتي المسجد الحرام لحج او عمره وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر ان يأتي مسجد النبي ﷺ او المسجد الاقصى لصلاة او اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي واحمد ، فانهم يوجبون الوفاء بكل طاعة كما ثبت عن النبي ﷺ انه « قال من نذر ان يطيع الله فليطعه » الحديث رواه البخاري .

واما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب احد من العلماء السفر اليها اذا نذره حتى نص بعض العلماء على انه لا يسافر الى مسجد قباء لانه ليس من الثلاثة مع ان مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة لان ذلك ليس

بشد رحل كما في الصحيح « من تطهر في بيته ثم اتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة » قلوا : ولان السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين بدعة لم يفعلها احد من الصحابة ولا التابعين ولا امر بها رسول الله ﷺ ولا استحبها احد من ائمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهذا مخالف للسنة واجماع الامة . وبهذا يظهر حجة ابي محمد فان زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل وهو يسلم لهم ان السفر اليه لا يجب بالنذر .

وقوله : ان قوله لا تشد الرحال محمول على نفي الاستحباب يجاب عنه من وجهين : احدهما ان هذا تسليم منه ان هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة وطاعة ومن اعتقد في السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين انه قربة وطاعة فقد خالف الاجماع واذا سافر لا عتقاده انها طاعة فان ذلك محرم باجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم ان أحدا لا يسافر اليها الا لذلك واما اذا قدر ان شد الرحال اليها لغرض مباح فهذا جائز من هذا الباب

الوجه الثاني : ان النفي يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكروه من الاحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق اهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ولم يحتج احد من الائمة منها بشيء بل مالك امام اهل المدينة النبوية الذي هو اعلم الناس بحكم هذه المسألة كره ان يقول الرجل زرت قبر النبي ﷺ ولو كان هذا اللفظ مشروعا او مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة ، ولامام احمد رضي الله عنه اعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك الا حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « ما من رجل يسلم علي الا ارد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعلى هذا اعتمد ابو داود في سننه ، وكذلك مالك في

(الموطأ) روى عن عبد الله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر ، السلام عليك يا ابت ، ثم ينصرف وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي اينما كنتم فان صلاتكم تبلغني » وفي سنن سعيد بن منصور عن عبدالله بن حسن ابن علي بن ابي طالب انه رأى رجلاً يختلف الى قبر النبي ﷺ ويدعوا عنده فقال يا هذا ان رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً وصلو علي اينما كنتم فان صلاتكم تبلغني » فما انت ورجل بالاندلس منه الا سواء .

واما حجة المجوزين لشد الرحال الى قبور الانبياء والاولياء والصالحين فحجتهم عموم قوله ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالاحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من زارني بعد مماتي فكانما زارني في حياتي » رواه الدارقطني وابن ماجة .

واما ما ذكر بعض الناس من قوله « من حج فلم يزرني فقد جفاني » فهذا لم يروه احد من العلماء وهو مثل قوله : « من زارني ضمنت له على الله الجنة » فان هذا ايضاً باطل باتفاق العلماء ، لم يروه احد ولم يحتج به احد ، والجواب عن هذا ما تقدم بيانه في حجة من منع شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة ، والمقصود ان هذا الملحد ذكر الاجماع على ذلك من عهد الصحابة الى يومنا هذا ، وان الوهابية خرقوا هذا الاجماع وقد بينا فيما تقدم قريباً اختلاف العلماء ، وانهم لم يجمعوا على ما ادعاه الملحد بل هذا من الكذب على العلماء ، خصوصاً ، وعلى الامة عموما ولم يجمع على ذلك الا الغلاة من اهل البدع الذين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله واتبعوا غير سبيل المؤمنين فنعوذ بالله من

الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى .

فصل

اذا تحققت هذا ، فاعلم ان شيخ الاسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ولم ينه عنها ولم يكرهها بل استحبها وحض عليها في مصنفاته ، ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وسائر القبور قال رحمه الله تعالى في بعض مناسكه (باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم) اذا اشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج او بعده ، فيقول ما تقدم فاذا دخل استحب له ان يغتسل نص عليه الامام احمد فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى ، وقال : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيستقبل جدار القبر ولا يمسه ولا يقبله ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائما وجاه النبي ﷺ ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخضوع وسكون منكوس الرأس غاض الطرف مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ثم يقول « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه . السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين . أشهد ان لا إله الا الله واشهد انك رسول الله اشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى اتاك اليقين فجزاك الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته يغبطه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك

على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم احشرنا في زمرته وتوفنا على سنته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا لا نظمأ بعده أبداً » ثم يأتي ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فيقول : السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا عمر الفاروق . السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه ورحمة الله وبركاته . جزاكم الله تعالى عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيرا سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار - قال - ويزور اهل البقيع وقبور الشهداء ان امكن) هذا كلام الشيخ بحروفه وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وسائر القبور ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع انتهى .

فاذا تبين لك هذا عرفت ان مراد هؤلاء الزنادقة الملاحدة لما ينسبونه من التشنيع بان شيخ الاسلام يحرم الزيارة وانه ينهى عنها انما يريدون بذلك تنفير الناس عن الدخول في دين الله وعن اتباع ما امر الله به ورسوله مما هو مناف ومضاد لما عليه غلاة المشركين مما يفعلونه ويقولونه عند حضرة النبي صلى الله عليه وسلم من الافعال والاقوال الشركية والالفاظ المخترعة البدعية وما يقولونه ويفعلونه عند قبور الاولياء والصالحين من ذلك وكذلك ما ينسبونه عن (الوهابية) من الاكاذيب التي يشنعون بها وينفرون بها الناس عن الدخول في دين الله ورسوله ظلماً وعدواناً وهم يقولون في الزيارة ما يقوله شيخ الاسلام ابن تيمية مما تقدم بيانه وكما يقوله امامهم الامام احمد وسائر علماء السلف ومن نسب عنهم خلاف ذلك فقد افترى عليهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

قال الملحد : البحث الثالث في التوسل التوسل والاستشفاع والاستغفار، كلها الفاظ مختلفة معناها واحد عند العلماء ، لكن لما كان يتطرق لفهم العوام من التوسل ما لا يتطرق الفهم من الاستغفار والاستشفاع فذكرته في بحث على حدة وبالله نستعين. اذا نظرت بعين البصيرة رأيت ان التوسل بمعنييه اللغوي والمصطلح ناموس جعله الله فى الكون لصالح الانسان في امور حياته ومعاشه فى الدنيا لا يستغني عنه الا من عصمهم الله ، والشرع ما انكره كما انكره هؤلاء الحمقاء مع تلبيسهم فيه وعدم استغنائهم عنه ولا حسبه شركاً كما حسبوه بل أباحه ، لكن المنكر اعتقاد التأثير من غير الله وهو الشرك الخفي ، ومع انك ترى اكثر الناس واقين في هذا الشرك الخفي سيما المعتقدون بخلق الافعال ومنهم من يعتقد يقيناً بان الانسان يتصرف ويضر وينفع كما يعتقد بتأثير الامراض كالعدوى والادوية وامثالها لكنك لا تجد مؤمناً يعتقد بالرسل عليه الصلاة والسلام هكذا اعتقاداً بل غاية اعتقاده التوسل بجاهه مع التفويض لله تعالى وان سمعت من عامي كلاما يفهم منه اعتقاد التأثير فما هو الا من عجزه عن التعبير الشرعي لكن قلبه غير زائغ وان رأيته يقبل الاعتاب والابواب والجدران فليس عن اعتقاد شيء بها كما يعتقد عبدة الاوثان فهذا الاعتقاد لا يتطرق لقلب مسلم بل لا قصد له الا التبرك بها ، الى آخر ما هذي به .

والجواب ان يقال : قد بينا فيما تقدم معنى التوسل والاستشفاع وما يراد به فى عرف عباد القبور واصطلاحهم وما هو المبتدع المحرم من ذلك فاغني عن اعادته ها هنا وبينا فيما تقدم ان التوسل والاستشفاع على معتقد عباد القبور وعرفهم

واصطلاحهم انه هو الشرك الذي حرمه الله ورسوله وان لم يعتقد من دعا الانبياء والاوليا والصالحين، واستغاث بهم في مهماته وملماته وقضاء حاجاته وتفريج كرباته وشداته تأثير منهم فان هذا هو معتقد جهال الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدين كله لله واستحل بذلك دماءهم واموالهم ودعوى انها موهمة بشرك دعوى مجردة كما قد بيناه فيما مضى وبينا ان هذا هو الشرك الجلي الذي لا يستريب فيه من يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، ودعواه أنه من الشرك الخفي تلبيس وتمويه على من لا معرفة له بمدارك الاحكام ولا يفرق بين الكفر والاسلام .

فالجواب ان نقول : اذا كان قصده بهذه الافعال والاقوال الشركية التبرك. فما الفرق بين هذا وبين قول من قال من الصحابة كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، قال « خرجنا مع رسول الله ﷺ الى (حنين)ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله ﷺ : الله اكبر انها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي فقوله « وينوطون بها اسلحتهم » اي يعلقونها عليها للبركة فاخبر النبي ﷺ ان هذا الامر الذي طلبوه منه وهو اتخاذ شجرة للعكوف عندها وتعليق الاسلحة بها تبركا بها كالامر الذي طلبه بنو اسرائيل من موسى عليه السلام حيث قالوا : اجعل لنا الها كما لهم الهة ، فمن طلب من غير الله شيئا او تعلق عليه لاجل البركة فقد اتخذه الهاً مع الله بنص كتاب الله وسنة رسوله وان تغيرت الالفاظ واختلفت فان الامور بحقائقها ولا تتغير

بتغير الاسماء .

فان قيل ان بني اسرائيل لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات انواط لم يكفروا .

فالجواب ان نقول : ان بني اسرائيل لم يفعلوا وكذلك لذين سألوا النبي ﷺ ، ولا خلاف ان بني اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف ان الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات انواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب واذا تبين لك هذا فلا فرق بين هذا وهذا ولله ولي التوفيق .

واما قوله : فانظر ما اقبح تناقض الوهابية واخوانهم فمن جهة تراهم يعتقدون تأثير الاعراض ومن جهة يمنعون التوسل بالانبياء عليهم الصلاة والسلام .

فالجواب ان نقول : هذا كذب على الوهابية فانهم لا يعتقدون ان للاعراض تأثيراً بطباعها لقوله ﷺ « لا عدوي ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » لان هذا قد كان من امور الجاهلية فنفاه ﷺ ، وأما التوسل بالانبياء على اصطلاح عباد القبور والانبياء والصالحين فانه هو الشرك الجلي الذى من فعله كان مشركا بالله متخذا معه إله وان سموه توسلا وتشفعاً كما قد بينا ذلك مراراً فيما تقدم .

وأما قوله : فى توسله بالابيات التي ذكرها من قبله فهى بكلام المجانين والطغام اشبه بها من كلام اهل المعرفة بالنظام فلا نتكلف الجواب عنها ، ثم ذكر كلاماً بعد هذا لا فائدة بالجواب عنه لانه قد تقدم الجواب عنه فيما مضى .

وأما قوله : فاذا علمت هذا وفهمت كيف دخلوا بالتحريف والمغالطة على العوام فاعلم ان علماءنا ما قالوا بجواز التوسل بالانبياء والاولياء وندبوا اليه من تلقاء انفسهم حاشاهم من ذلك وهم امناء الدين وخلفاء الرسل بل أخذوه من كلام الله تعالى وكلام رسوله امراً وفعلا كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وماذا عليهم لذا لم تفهم وعول نجد وجواميس مصر وبقر الشام مقاصدهم ومآخذ اقوالهم .

فالجواب ان نقول : واذا علمت ايها المنصف ما بيناه من معني التشفع والتوسل وانه هو المعني المطبق على اقوالهم وافعالهم تبين ان التحريف والمغالطة على العوام بهم اليق وبحالهم الصق لا اهل التوحيد والايمان بالله المخلصين له في عبادته التاركين لعبادة ما سواه ومن اجاز هذا من علمائهم فقد اجاز الشرك بالله وقال على الله وعلى كتابه ورسوله من تلقاء نفسه ما لم يأذن به الله ولا شرعه رسول الله ولا فعله الصحابة ولا التابعون والمجيزون لهذا الشرك ليسوا بأمناء الله علي دينه ولا خلفاء الرسل لولم يأخذوه من كلام الله تعالى وكلام رسوله أمراً او فعلا كما سنبينه ان شاء الله تعالى وماذاعلينا اذا لم تفهم حشرات الشام وخشاشه ومن نحا نحوهم من القرود والخنازير والهمج الرعاع الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق من الفهم ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وكلامنا انما هو مع المنصف الذي يخاف الله ويتقيه :ــ

ان الكلام مع الكبار وليس مع تلك الاراذل سفلة الحيوان
اوساخ هــذا الخلق بل انتانه جيف الوجود واخبث الانتان

(فصل)

ثم ذكر الملحد كلاماً قد تقدم الجواب عن مثله مما سبق وذكر في هذا ان اقرب الخلق الى الله وسيلة نبينا محمد ﷺ ثم قال اما هو الذى قال الله له (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) اما هو الذى قال الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اما هو الذى قال الله عنه (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

فأقول : وهـذا كله حق ندين الله به ولكن لا يوجب ذلك دعاءه والاستشفاع به وطلب قضاء الحوايج منه بعد موته عليه الصلاة والسلام لأن ذلك لم يرد به كتاب ولا سنة ولم يقل به احد من الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم من الائمة المهتدين .

ثم قال الملحد : اما هو الذى امرنا الله على لسانه بقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فانظروا يا من خذلهم الله اي مقام اعظم من هذا المقام الذي علق الله تعالى محبته تعالى ومغفرته على اتباعه عليه الصلاة والسلام (أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟) فانظروا ما جا بخذلكم فى هذه الآية

والجواب ان نقول قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان المخذول الذي خذله الله وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة هو الذي خالف امر الله وعصى رسوله واتبع ما نهى عنه وتجنب ما امر الله به ورسوله فهذا هو المخذول كما قال الله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) كما قال تعالى (ولا تدع من دون

الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذن من الظالمين) اما قال (وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احداً قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا) اما قال (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) أما ثبت فى الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه (وانذر عشيرتك الاقربين) قال : يا معشر قريش - او كلمة نحوها - اشتروا انفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا . يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا . فاذا صرح - وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين وآمن الانسان انه لا يقول الا الحق ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين. اما هو الذي قال لما قال بعض اصحابه: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال ﷺ: انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله الى غير ذلك من الآيات والاحاديث التي امر الله باتباع نبيه فيها فخالف هؤلاء الملاحدة ما امر الله به ورسوله وتبعوا ما نهى الله عنه ورسوله فان من دعا غير الله والتجأ اليه واستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله او تشفع به في جلب منفعة او دفع مضرة فقد اشرك بالله في عبادته غيره واتخذه الها مع الله شاء المشرك ام ابي فانظر يا عدو الله من الذي آمن ببعض وكفر ببعض ومن الذي هو احق بهذه الآية لو ان اهل الشرك يعلمون

ثم قال الملحد : اما هو الذي قال الله تعالى له « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

وجوابه ان يقال هذه الآية نزلت في حق المنافقين وكان هذا في حياته عليه الصلاة والسلام ، فاما بعد موته فلم ينقل احد من العلماء ان من اذنب من الصحابة او غيرهم كان يأتي الى قبر النبي ﷺ فيطلب منه ويسأله ان يستغفر له وهم اعلم الناس به واعظمهم قياما بحقه واشدهم تعظيما له فكيف رغب الصحابة عن هذه الفضيلة ولم يعلموا بها وعلم بها من جاء بعدهم ممن لا يحاذيهم في العلم والفضيلة فعلموها وعملوا بها وحرمها اصحاب رسول الله ﷺ سبحان الله ما اعظم شأنه كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

ثم قال الملحد بعد ذلك اما هو الذي قال الله له « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . »

فاقول هذه الآية وكلام القسطلاني عليها لا ينكره الا من اعمى الله بصيرة قلبه وهو الحق الذي ندين الله به فاي لوم علينا واي عيب يترجه الينا اذا لم يكن منا من يجحد ذلك وينكره وحسبنا الله ونعم الوكيل .

واما قوله . فهذه البشرى ازفها لكم يا وهابيين لتكونوا على يقين ان ايمانكم بالله وبالقرآن لا يفيدكم شيئا ما زلتم معادين رسوله ومتمردين عليه فاقول : —

ما انت بالحكم الترضي حكومته ولا الاصيل ولا ذي الراي والجدل

ولله در ابن القيم حيث يقول :

ما وافق الحكم المحل ولا هو استوفى الشروط فصار ذا بطلان

« ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا »

﴿ فصل ﴾

قال الملحد : اعلم يا أخي انه لما كانت الرسالة تبليغاً بالامر والعمل فالرسول عليه الصلاة والسلام كما بلغ الامة كل أمر شفاهي كذلك بلغهم بالعمل ليكون اقتدؤهم به واخذهم عنه جامعاً بين الامر والعمل الا ما كان من مخصصاته الذاتية فكان ينهاهم عما فيه مشقة عليهم اذا قلدوه فيه ويسكت عن ما لا مشقة فيه ومن ذلك ما نحن بصدده واليك بيان ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في معني التوسل واليه استند علماؤنا وبه اقتدوا الاول في البخاري في باب تعاون المؤمنين عن محمد بن يوسف عن سفيان عن يزيد عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعرى قال وكان النبي ﷺ جالساً اذ جاء رجل يسأل او طالب حاجة فأقبل علينا ﷺ بوجهه فقال اشفعوا فلتوجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء انتهي .

والجواب ان نقول قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان رسول الله ﷺ بلغ البلاغ المبين ونصح الامة وادي الامانة وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه فصلوات الله وسلامه عليه وجزاه عن امته افضل ما جزي نبياً ورسولا عن امته فأما ماذكره هذا الملحد بقوله ومن ذلك ما نحن بصدده واليك بيان ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في معني التوسل واليه استند علماؤنا وبه اقتدو فذكر ما رواه البخاري في باب تعاون المؤمنين وهذا مما لاشك فيه ولا ارتياب انه هو محض الحق والصواب ولا ينكر هذا الا من أعمى الله بصيرة قلبه وران على قلبه سوء عمله وكسبه فان هذا من الاسباب الظاهرة العادية التي اجرى الله على أيدى العباد نفع بعضهم بعضاً بها وهذا جائز لا نزاع فيه بين

العلما. لانه من حي حاضر قادر وانما النزاع في التوسل والاستشفاع بالموتى والغائبين وهذا لم يقل بجوازه أحد من الائمة المهتدين ولا العلماء المحققين بل هذا مما ابتدعه الغلاة من المتأخرين الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين وقياس الاموات بالاحيا. قياس فاسد قال الله تعالى (وما يستوى الاحيا. ولا الاموات) الآية وقد تقدم بيان ذلك من كلام العلما. فيما مضى

وأما قوله الثاني وفي هذا الباب قال القسطلاني في قوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع سيئة يكن له كفل منها) ان الله بين في هذه الآية جواز الشفاعة في جلب نفع او دفع ضرر لم يكن فيه ابطال حق ولا منع حد شرعى ولا نفع ذاتي فان كانت فى خير كان له ثواب ذلك وان كانت في شر كان عليه من وبالها انتهى .

فالجواب أن نقول . هذا أيضاً من جنس ما قبله فان هذا استشفاع بحى حاضر قادر على ما ينفع به المسلم أخاه مما هو قادر عليه وليس في كلام القسطلاني أن هذا استشفاع بالاموات والغائبين ومالا يقدر عليه الا الله بل هذا من الاسباب العادية المقدور عليها وهذا مما لا نزاع في جوازه فالاستدلال به على جواز دعاء الاموات والغائبين مما لا يقدر عليه الا الله من باب المغالطة والتمويه وهذا لاخفاء به

وأما قوله الثالث أخرج ابن ماجه والحافظ والبيهقي عن أبي سعيد الخدري والسيوطي في الجامع الكبير عنه أيضاً وابن السني عن بلال قال كان اذا خرج عليه الصلاة والسلام الي الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا اليك فاني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك

وابتغا. مرضاتك اسألك ان تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .

والجواب أن يقال هذ الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، قال شيخ الاسلام (لكن بقدر ثبوته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم ، فالسؤال له والطاعة له سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه والتسبب به ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من افعاله واقواله فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح « اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام احمد وغيره من الائمة) الى آخر كلامه ، فتبين من كلام الشيخ ان السؤال بحق السائلين هو اجابتهم وسؤاله بحق الطائعين اثابتهم فيكون السائل بهاتين الصفتين سائلا بصفات الله فان الاجابة والاثابة من افعاله واقواله سبحانه وتعالى ،وسؤاله بأسمائه وصفاته والتوسل بهما ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى (ولله الاسما. الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبدالله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم اني اسألك بأنك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم له كفوا أحد) فقال : دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا سأل به اعطى واذا دعي به اجاب . رواه الترمذي وابو داود الى غير ذلك من الاحاديث وكذلك التوسل بالاعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة ، كما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ « بينما ثلاثة نفر يتماشون اخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا

اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه ، وهو في الصحيحين ، فليس في حديث ابي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعاه هــذا الملحد من التوســل بذوات الانبياء والاوليــاء والصالحين فضلاً عن دعائهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم وبهذا يتبين عدم معرفتهم بمعاني ما انزل الله على رسوله ومعاني كلام رسوله وان هذا المعترض واشباهه اجانب من ذلك لا عهد لهم به ولا تمييز عندهم فالله المستعان .

واما قوله في هذا الحديث : ثلاثة ادلة لنا الاول توسله عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين المعبر عنهم بالسائلين وهو افضل خلق الله واغنى الخلق عن الخلق فكيف لا نتوسل بجاهه ونحن افقر الخلق الى جاهه وبهذا نص صريح بجواز التوسل بالانبياء وما دونهم من كل مؤمن « الثاني » وهو ابلغ بالتجوز توسله عليه الصلاة والسلام بشيء مجازي وهو المخرج بنصب الميم والراء والمخرج برفع الميم وكسر الراء . « الثالث » ايراد التوسل بصيغة القسم اي قوله بحق فهذا ابلغ واعظم في التدلل على الله تعالى من صيغة الرجاء .

فالجواب ان يقال : قد كان من المعلوم عند من له ادنى ممارسة بالعلوم انه ليس لهذا المبطل متعلق في هذا الحديث بوجه من الوجوه ولا فيه ما يدل عــلى مطلوبه فانه ﷺ لم يتوسل بالمؤمنين وانما توسل بحق السائلين وحق السائلين هو الاجابة والاجابة صفة من صفات الله وكذلك حق المشاة الطائعين لله الاثابة والاثابة من صفاته تعالى فلا يكون متوسلاً باحد من الخلق .

واما قوله : الثاني وهو ابلغ بالتجوز توسله عليــه الصلاة والسلام بشيء مجازي هو المخرج بنصب الميم والراء او المخرج برفع الميم وكسر الراء .

فالجواب : ان المخرج والممشى بمعنى واحد وحق المخرج والممشى هو الاثابة

وهي من صفات الله وقد كان من المعلوم ان مخرجه الى الصلاة وممشاه اليها حقيقي لا مجازي وهذا مما يدلك على غباوته وقلة معرفته بالعلوم الشرعية والاحاديث النبوية واللغة العربية .

وقوله :الثالث ايراد التوسل بصيغة القسم اي قوله بحق فهذا ابلغ وابلغ في التدلل على الله تعالى من صيغة الرجاء .

فأقول لو كان قسما لكان قسما بما هو من صفات الله فلا متعلق لهؤلاء المحرفين لكلام الله وكلام رسوله بشيء من هذا الحديث فيكون ما فهموه باطلا مردوداً ونزيد ذلك ايضاحاً بما ذكره شمس الدين بن قيم الجوزية في «بدائع الفوائد »قال – رحمه الله – في أثناء كلام له ومنه قوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فهذا حق على نفسه فهو طلب وايجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لمعاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار ومنه قوله ﷺ في غير حديث من فعل كذا وكذا كان حقاً على الله أن يفعل به كذا وكذا في الوعد وفي الوعيد فهذا الحق الذي أحقه على نفسه ومنه الحديث الذى في السنن من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ في قول الماشين الى الصلاة اسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك فهذا حق السائلين عليه هو احقه على نفسه لا انهم هم أوجبوه ولا أحقوه بل أحق على نفسه انه يجيب من سأله كما أحق على نفسه في حديث معاذ ألا يعذب من عبده فحق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم والحقان هو الذى أحقهما وأوجبهما لا السائلون ولا العابدون : –

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
ان عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

ومنه قوله تعالى (وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن) فهذا الوعد هو الحق الذي أحقه على نفسه وأوجبه انتهى .

وأما قوله : الثالث ايراد التوسل بصيغة القسم أى قوله بحق فهذا أبلغ وأعظم في التدلل على الله من صيغة الرجاء .

فالجواب أن يقال هذا الكلام لا ينبغى أن يقال في جناب النبي ﷺ لان التدلل على الله من الاعتداء. قال ابن القيم - رحمه الله - في « بدائع الفوائد» ومن العدوان أن يدعوه غير متضرع بل دعاء مدل كالمستغني بما عنده المدل على ربه وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته فما يسئل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد ومن الاعتداء أن يعبده بما لا يشرعه ويثني عليه بما لا يثني به على نفسه ولا اذن فيه من الاعتداء فى دعاء الثناء والعبادة وهو نظير الاعتداء فى دعاء المسألة والطلب وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين أحدهما محبوب للرب تعالى مرضاة له وهو تضرعاً وخفية والثانى مكروه له مبغوضاً مسخط وهوالاعتداء فأمر بما يحبه وندب اليه وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ الزجر والتحذير وانه لا يحب فاعله ومن لم يحبه الله فأى خير يناله .

فصــــل

قال الملحد الحديث الرابع اخرج الطبرانى وابن ماجة والحاكم وأبو نعيم والسيوطي في «الجامع الكبير» كلهم عن أنس رضى الله عنه وابن عبدالبر عن

ابن عباس رضي الله عنهما حديث حضوره عليه الصلاة والسلام دفن فاطمة بنت أسد والدة سيدنا على بن ابي طالب رضى الله عنه ونزوله في قبرها وقوله اغفر لامى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوسل بنفسه والانبياء كلهم وكانوا أمواتاً الى آخر كلامه .

والجواب أن يقال : في سنده روح بن صلاح المصري ضعفه بن عدي وتصحيح الحاكم له لا يجدى شيئاً فانه جمع في مستدركه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة وقد روي فيه لجماعة من المجروحين في كتابه في الضعفاء ، وأما رواية الطبراني فيقال لهذا الملحد كم في الطبراني من حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسمائه وصفاته وانابة الوجوه اليه فما أعمي عينك عنها هل شيء أعماها سوى الجهل والهوى ! وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد ، وقال شيخ الاسلام قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت احدا قال بجوازه الا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه افضل الصلاة والسلام اترى هذا الحديث خفي على علماء الامة لم يعلموا ما دل عليه ثم لو سلمنا صحته او حسنه ففيه ما سيأتي في حديث الاعمى ان المراد بدعاء نبيك الله آخره واي وسيلة بذوات الانبياء لمن عصى امرهم وخرج عما جاؤا به من التوحيد والشرع قال شيخ الاسلام فاذا قال الداعي اسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص او محبته او طاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب انتهى .

واما قوله : فهذا رسول الله ﷺ توسل بنفسه والانبياء كلهم وكانوا امواتاً فيقال قد ذكر هذا الملحد فيما تقدم من كلامه ان رسول الله ﷺ والانبياء

كانوا احياء حياة جسمانية وانهم ليسوا باموات وفي هذا يقول و كانوا امواتاً فما اقبح هذا التناقض .

فصل

وقوله (الخامس) خرج الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني عن عثمان ابن حنيف رضي الله عنه ان رجلاً ضريراً اتى النبي ﷺ فقال ادع الله ان يعافيني فقال له : ان شئت دعوت الله وان شئت صبرت وهو خير لك ، قال الرجل : فادعه فامره ان يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو الله بقوله « اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللهم شفعه فى » فعاد الرجل وقد ابصر انتهى . واخرج هذا الحديث البخاري فى تاريخه وبن ماجة والحاكم في (المستدرك) والسيوطي في (الجامعين) وشاع هذا الدعاء بين الصحابة حتى استعملوه فيما بينهم .

والجواب ان يقال : هذا الحديث – اعني حديث الاعمى – غير محفوظ فيه مقال مشهور وفى سنده ابن جعفر عيسى بن ماهان الرازي التميمي ، قال الحافظ بن حجر في (التقريب) الاكثرون على ضعفه ، وقال احمد : والثاني ليس بالقوى وقال ابو حاتم صدوق وقال ابن المديني ثقة كان يخلط ، وقال مرة يكتب حديثه الا انه يخطي وقال القلانسي سيء الحفظ وقال بن حيان ينفرد بالمناكير عن المشاهير وقال ابو زرعة يهم كثيراً وقال الحافظ في (التقريب) ايضاً في ترجمة الرازي التميمى ابن جعفر الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن ابي عيسى عبدالله بن ماهان واصله من مرو وكان يتجر الى الرى صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين

انتهى . وعلى قدر صحته وثبوته فلا يدل على ما توهمه هذا الملحد وبيان معنى الحديث يعلم ان هؤلاء الغلاة غير صحيح ·

فقوله اللهم اني اسألك اي اطلب منك واتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله وفي ذلك قصر السؤال الذي هو اصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ، ولكنه توسل بالنبي ﷺ بدعائه ولذا قال في آخره « اللهم شفعه فى » اذ شفاعته لا تكون الا بالدعاء لربه قطعا ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذا التوسل بقوله نبيك كاف في افادة هذا المعنى ، وقوله « يا محمد اني اتوجه بك الى ربي » قال الطيبي : الباء في بك للاستعانة وقوله « اني توجهت بك » بعد قوله « اتوجه اليك » فيه معنى قوله (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) فيكون خطابا لحاضر معاين في قلبه مرتبطاً بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذي هو عين شفاعته ولذلك اتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعيه المفيد كل ذلك ان هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه فى دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه ، وقال شيخ الاسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) : والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ ان يدعو له ان يرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء امره فيه ان يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه فهذا يدل على ان النبي ﷺ شفع فيه وامره ان يسأل الله قبول شفاعته وان قوله « أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة » اي بدعائه وبشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال يامحمد يا رسول الله اني أتوجه بك الى ربي فى حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في طلب من

الله ان يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا نبي الله هذا وامثاله نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب فيخاطب المشهود في القلب كما يقول المصلي «السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته» والانسان يفعل مثل هذا كثير يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب لكونه داعياً وشافعاً مثلاً او يكون الداعي محباً له مطيعاً لامره مقتدياً به فيكون التسبب او بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام الى آخر ما قال رحمه الله اذا عرفت هذا فليس في حديث الاعمى ما يدل على التوسل به ودعائه والالتجاء اليه بعد وفاته وانما فيه انه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء. واما دعوى هذا الملحد انه شاع هذا الدعاء بين الصحابة حتى استعملوه فيما بينهم ·

فالجواب : ان هذا مما يعلم بالضرورة انه الكذاب على جميع الصحابة رضي الله عنهم ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ولما عدل الفاروق الى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بيزيد بن الاسود الجرشي ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم انيتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس ان يدعو لهم ، ومما يوضح لك الامر ان هذا الحديث غير صحيح ان رواته يختلفون في متنه وسنده مع انه لم يذكر في

شيء من الكتب المعتمدة وانما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وابو نعيم وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة والموضوعة على وجه التنبيه وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فاعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم ثم لو كان الحديث ثابتاً صحيحاً عن عثمان بن حنيف لكان قول صحابي خالفه غيره من الصحابة واذا خالفه غيره لم يكن قوله حجة على من خالفه فدعوى استعمال الصحابة له من الكذب عليهم والله اعلم .

فصل

قال الملحد : السادس روى البيهقي وابن ابي شيبة ان الناس اصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال الى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فسقاهم الله في الحال .

والجواب ان نقول قد كفانا مؤنة ايضاح عدم الاعتبار بالمنامات وانه لا يثبت بها حكم شرعي لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور ، قال الحافظ في (الفتح) وروى بن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر رضي الله عنه قال : اصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء الى قبر النبي ﷺ في المنام فقيل له ائت عمر الحديث وقد روى سيف في (الفتوح) ان الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني احد الصحابة فعلم انما روى باسناد صحيح ليس فيه ان الجائي احد الصحابة وما فيه ان الجائي احد الصحابة ضعيف غاية الضعف . قال الذهبي في (الميزان) سيف بن عمر الضبي الاسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي صنف الفتوح والردة وغير ذلك كالواقدي يروي عن هشام بن عرفه

وعبدالله بن عمرو جابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين كان اخبارياً عارفاً روى عنه عبادة بن المغلس وأبو معمر القطيعي والنظر بن حماد العتكي وجماعة قال عباس عن يحيي ضعيف وروى مطين عن يحيى فليس خير منه قال ابو داود ليس بشيء. وقال أبو حاتم متروك ، وقال ابن حبان اتهم بالزندقة وقال ابن عدي عامة حديثه منكر ، وقال السيوطى سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير يقول : سيف الضبعى تميمى كان جميع ما يقول حدثنى رجل من بنى تميم كان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة انتهى ملخصاً : قال الحافظ في (التقريب) سيف بن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الصبي ويقال غير ذلك الكوفى ضعيف فى الحديث عمدة في الاخبار أفحش ابن حبان القول فيه انتهى . وقال الذهبي في (الكاشف) قال ابن معين وغيره ضعيف وقال في الخلاصة سيف بن تميم الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفى وأبي الزبير وعن محمد ابن عيسى الطباع وأبو معمر الهذلى ضعفوه انتهي . فهذا ما قيل في حديث بلال ابن الحارث الذي رواه البيهقي وابن ابي شيبة وان كان غير حديث بلال فغاية ما فيه أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ قال شيخ الاسلام وأيضاً ما يروى أن رجلا جاء الى قبر النبي ﷺ فشكي اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له فان هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه وعليك أن تعلم أن اجابة النبي ﷺ أو غيره

لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل ﷺ: ان أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه اياها فيخرج يتأبطها ناراً فقالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل واكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من ضيق الحال لو لم يجيبوا لاضطرب ايمانهم كما أن السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا وفرق بين هذا وهذا انتهى . فتبين من كلام العلماء أن الجائي الى قبر النبي ﷺ ليس هو بلال بن الحارث كما زعمه المعترض لانه اعتمد على ان هذا فعل صحابي وحاشا لله من ذلك فانهم كانوا أعلم بالله وبدينه ورسوله وهم أبعد الناس عن سلوك ما يتوهمه الغلاة فبطلت الشبهة الشامية ولله الحمد والمنة

(فصل)

قال الملحد : السابع روي البخاري في الاستسقاء عن انس رضى الله عنه أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه وهو عام الرمادة فأخذ عمر بيد العباس رضي الله عنهما والناس خلفهما فوقف فتوسل الى الله تعالى بحرمة عم نبيه عليه الصلاة والسلام فما قفلوا حتى سقاهم الله قال القسطلاني في شرح هذا الحديث ان عمر رضى الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله كان يرى للعباس ما يري الولد للوالد فاقتدوا به في عمه واتخذوه وسيلة الى الله تعالي .

والجواب أن نقول . قد ثبت في صحيح البخاري عن انس ان عمر استسقى

بالعباس بن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، قال شيخ الاسلام فاستسقوا الله كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على لله بمخلوق كما ليس لهم ان يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين فالافضل ان يكونوا من اهل النبي ﷺ قد استسقى معاوية بيزيد بن الاسود الجرشي وقال: اللهم انا نستسقي بيزيد بن الاسود. يا يزيد ارفع يديك ، فرفع يديه ودعى الناس حتى مطروا وذهب الناس ولم يذهب احد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به انتهى . فهذا هو التوسل المشروع وهذا هو المنقول عن الصحابة لا كما يلفقه هؤلاء الغلاة من الاحاديث الموضوعة او المعلولة التي لا تثبت بها الاحكام الشرعية وما ذكره عن القسطلاني في «المواهب اللدنية» فلا شك انه من الموضوعات لانه لم يذكر بسند يعتمد على مثله وفي «المواهب اللدنية» من الموضوعات والاحاديث المعلولة والاقوال المردودة ما لا يحصى فلا يعتمد على مثل هذا النقل والله اعلم .

فصل

قال الملحد : الثامن حديث استغاثة آدم بالرسول عليهما الصلاة والسلام وهذا الحديث من نوع المتواتر عند جمهور المفسرين والمحدثين بطرق عديدة عن عمر رضي الله عنه والحجة التامة في هذا الحديث هي ان الرسول عليه الصلاة والسلام في عالم الغيب فهذا ابلغ في الحجة مما كان بعد وفاته .

والجواب ان يقال: هذا الحديث ضعيف بل موضوع فلا يعتمد عليه ولا يعول عليه قال الذهبي في (الميزان) روى عبد الله بن مسلم ابو الحارث الفهري عن اسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خبراً باطلاً فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في (دلائل النبوة) قال في مجمع الزوائد) رواه الطبراني فى (الاوسط) و (الصغير) وفيه من لا اعرفهم انتهى . وذكر الحافظ ابن عبد الهادي عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال . اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يحدثك عن أبيه عن نوح ، وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن اسلم حدثك أبوك عن ابيه عن جده ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين قال : نعم وقال ابن خزيمة عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج اهل العلم بحديثه ، وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني حدث عن أبيه لا شيء وقال ايضاً في (الصارم المنكي) واني لا تعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم الذي رواه فى التوسل وفيه قول الله لآدم : ولولا محمد ما خلقتك مع انه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جداً وقد حكم عليه بعض الائمة بالوضع وليس اسناده من الحاكم الى عبد الرحمن بن زيد صحيحاً بل هو مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه ولو كان صحيحاً الى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به لان عبد الرحمن في طريقه وقد اخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في غير موضع فانه قال في كتاب (الضعفاء) بعد ان ذكر عبد الرحمن منهم وقال ما حكيت عنه فيما تقدم انه روى عن أبيه احاديث موضوعة لا تخفي على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه في آخر الكتاب فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم

لان الجرح لا يثبت الا ببينة فهم الذين ابين جرحهم لمن طالبني به فان الجرح لا استحله تقليداً والذي اختاره لصاحب هذا الشأن ان لا يكتب حديثا واحدا من هؤلاء الذين سميتهم ، فان الراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث عني وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين» هذا كله كلام الحاكم ابي عبدالله صاحب (المستدرك) وهو متضمن ان عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل وان الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين» انتهى فتبين من كلام العلما حملة السنة واهل الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم الدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الزنادقين ان هذا الحديث موضوع مكذوب لا يعتمد عليه و قل احواله ان يكون ضعيفاً ولا نقول على رسول الله ﷺ حديث لا نجزم بصحته وثبوته وان كان قد صححه الحاكم فالجرح مقدم على التعديل مع انه قال في عبدالرحمن بن زيد بن اسلم ما قال فنأخذ بقوله مع اقوال ائمة هذا الشأن ولا نأخذ بغلطه وخطأه واذا عرفت هذا وتحققته فالصحيح المأثور عن ائمة التفسير على قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) ان هذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا مروى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتاده ومحمد بن كعب القرظى وخالد بن معدان وعطا الخراساني وعبد الرحمن بن زيد وعن ابن عباس قال علم شأن الحج وعن عبد الله بن عمر انه قال قال : يارب خطيئتي التى اخطأت شيء كتبته على قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل من نفسي ؟ قال : بل كتبته عليك قبل ان اخلقك ، قال فكما كتبته على فاغفر لي ، قال فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) وعن ابن عباس

قال آدم عليه السلام ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له بلى ونفخت في من روحك؟ قيل بلى وعطست فقلت رحمك الله وسبقت رحمتك وكتبت علي ان اعمل هذا؟ قيل له بلى قال أفرأيت ان تبت هل أنت راجعي الى الجنة ؟ قال نعم . وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد ورواه الحاكم في مستدركه الى ابن عباس . وروي ابن ابي حاتم حديثاً مرفوعاً شبيهاً بهذا وعن مجاهد قول الكلمات (اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم) هذا ما عليه المفسرون لا ما قاله هذا الاحمق فان كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة فيما ثبت عن الصحابة وعن سلف الامة وائمتها ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة او موضوعة لا تثبت عند اهل العلم والحديث وائمة التصحيح والتجريح انتهى . وقد روى في بعض طرقه هذا الحديث الموضوع انه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة محمد ﷺ مقرونا باسمه تعالى فقال يارب هذا محمد من هو قال الله ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك ذكر هذا في « المواهب اللدنية » وجوابه ان يقال هذا من غلط ما قبله من الموضوعات المكذوبات التي لا اصل لها في الكتاب والسنة ولا رواها احد ممن يعتمد عليه من الائمة فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه في الحكم والله اعلم .

فصل

قال الملحد التاسع ما رواه البخاري وجمهور اهــل الحديث في حديث الشفاعة ان الخلق بينما هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم با ابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى . كلهم يعتذرون فيقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليــه فيقول انا لها الحديث ، وقد سلم ابن تيمية بهذا الحديث ومــا كابر بانكاره .

والجواب ان نقول قال بعض المحققين من اهــل العلم في جوابــه : ان استغاثة الناس بالنبي ﷺ قبله بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة فهذه شفاعة بالدعاء والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلا وشرعا ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضا اي في مهاتهم التي يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهي الشفاعة التي هي الدعا ولذلك يقول سيد الشفعا ﷺ في آخر الحديث فاجي، فاسجد وانه يلهمه الله من الثناء والدعاء شيئاً لم يفتحه لغيره ﷺ فعند ذلك يأذن الله في الشفاعة ويقول له كماورد في الحديث: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جدا .

فصل

قال الملحد العاشر روى الطبراني عن زيد بن عقبة ان النبي ﷺ قال: «اذا اضل احدكم شيئاً او اراد عونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني فان لله عباداً لا يراهم» انتهى.

والجواب ان نقول : قد روي من طرق اخرى منها مارواه ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال «اذا انفلتت دابة احدكم في ارض فلاة فليناد يا عباد الله

احبسوها» وفي رواية «اذا اعيت فليناد ياعباد الله اعينوا» وفي رواية «فان الله حاضر سيجيبها» وكل اسانيد هذه الروايات لا تخلو من مقال وعلى تقدير صحتها فليس فيه الا نداء الاحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الاحياء عليه وذلك مما لا يجحده احد ، واين هذا من الاستغاثة باصحاب القبور من الاولياء والصالحين؟ وكون المراد بعباد الله رجال الغيب كما زعم بعض المتصوفة فهو مردود بل هو من الخرافات ومثله زعم وجود الاوتاد والاقطاب والاربعين وما اشبه ذلك ' فان قيل ان عباد الله المذكورين غائبون وأنتم تمنعون من دعاء الاموات والغائبين .

فالجواب أن نقول : هؤلاء ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم فانا لا نري الحفظه ومع ذلك فهم حاضرون ولا نري الجن ومع ذلك فهم حاضرون وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك فان علة الرؤية ليس هو الوجود فقط وايضاً فان هذا من الاسباب الظاهرة العادية ولا خلاف بين اهل العلم فى جوازها فلا حجة لهم في هذا الحديث ولا متعلق لهم فيه بوجه من الوجوه والله اعلم . وهذه الاحاديث التي ذكرها هذا الملحد التي وعد بها في فصل الزيارة انه يدحض بها حجة شيخ الاسلام ويرد بها ضلالته على زعمه وهي كما تري سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتي اذا جاءه لم يجده شيئاً وهذه حال حجة كل مشبه لا يعتمد فيها على كتاب الله وعلى ما صح من سنة رسول الله ﷺ وانما يعتمدون على مثل هذه الاحاديث الموضوعة والاكاذيب المصنوعة وعلى ما يتناولونه من الاقوال التي تأولها بعض المحرفين لمعاني كلام الله ورسوله وذلك لا يجديهم شيئا عند التحقيق اذ لا قوام له علي منهج الطريق التى سلكها المحققون من أهل الكمال والعلم والتدقيق

فصل

قال الملحد : فهذه عشرة من مئات وفي كل واحد من هذه العشرة معني من معاني التوسل ، ازيدك اقناعا ان شاء الله بمثل اضربه لك من نفسك وهو لو قال لك سلطان : قد أمرت وزيري فلانا ان يرفع لي حوائجك فاقضي منها ما أريد وأرد ما أريد فارفع أنت حوائجك وهو يرفعها الى . فهل ترى من الادب والطاعة والحزم امتثال أمره وطاعة مرسومه أم رده ومخالفته بقولك لا أفعل ذلك ولا يكون بيني وبينك واسطة لاني اعتقد أن فيه شركا بسلطانك؟ اخالك تدرك ما في هذا الرد من القبح لانك خالفت الامر وتمردت عن الطاعة واستحقرت مقام الوزير وزعمت أنك أعلم من السلطان بما يجب شركا في سلطانه ومالا يجب واعمرك ان فعلت ذلك وقعت في مثل الحفرة التى وقع فيها ابليس وانت تحسب انك احسنت صنعاً فتأمل ارشدني الله واياك والحمد الله على احسانه

والجواب ان نقول : قد بينا فيما تقدم ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم كفر اجماعا ولما ذكر شيخ الاسلام المنع والتوسل والتشفع بغير الله وان ذلك هو الذي أوقع الامم السابقة في الشرك وذكر من الآيات والاحاديث الثابتة في الصحيحين ما يدل على ذلك أنكر عليه هذا الملحد وزعم ان هذا ضلال وتحريف لكلام الله ورسوله وزعم انه سيدحض حجة شيخ الاسلام ويبين ضلاله وتحريفه لكلام الله ورسوله فذكر هذه الاحاديث الضعيفة التى لا يستدل بها الا الضعفاء المنتسبين الى العلم من الغلاة المحرفين لكلام الله ورسوله ثم أردف هذه الاحاديث بهذا المثل الذي ضربه لله

مثلا وقد قال الله تعالى «فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون» وسوي بين الله وبين خلقه فيما لا يقدر عليه الا الله ، وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين المتخذين أوليا. من دونه انهم يقولون في النار لمن يعبدونهم (تا الله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) الآية فصار بما ذكر انه يرد قول شيخ الاسلام ضحكة للساخرين وأعجوبة للمتعجبين سبحان من طبع على قلوب أعدائه فاضلهم وأعمى أبصارهم فبعداً للقوم الظالمين! وقد سبقه الى هذا المثل أناس قبله ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فاجابهم على ذلك خلفاء الرسل وورثة الانبياء ومصابيح الدجى فجزاهم الله عن الاسلام وأهله خيراً قال شيخ الاسلام وهؤلاء المشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً وفى القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوي فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس على احد وجوه ثلاثة اما لاخبارهم من احوال الناس ما لايعرفون ومن قال ان الله لا يعرف احوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة او الانبياء او غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر واخفي لا يخفى عليه خافية في الارض ولا فى السما. وهو السميع البصير يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين ٠

الوجه الثاني : ان يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع اعاديهم الا بأعوان يعينونه فلا بد له من اعوان وانصار لذله وعجزه والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل قال تعالى« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من

ظهير »وقال تعالى «الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا »وكل ما في الوجود من الاسباب فهو سبحانه خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يشفع عنده احد الا باذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما فان من يشفع عند غيره بغير اذنه فهو شريك فى حصول المطلوب لانه اثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلب منه والله سبحانه وتعالى لا شريك له بوجه من الوجوه ويسمى الشفيع شفيعا لانه يشفع غيره أي يصير له شفعا قال الله تعالى «ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» وكل من اعان غيره على امر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر لا يشفعه احد بوجه من الوجوه .

الوجه الثالث : ان يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه او من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته اما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير واما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الاسباب انما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو اذا اجرى نفع العباد بعضهم على ايدي بعض فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق فى قلب هذا المحسن والداعي والشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز ان يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده

او يعلمه ما لم يكن يعلمه او من يرجوه الرب ويخافه، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له» والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) بخلاف الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكه لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا على ملكه وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك لهم والملك يقبل شفاعتهم تارة على انعامهم عليه حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو اعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه فانه ان لم يقبل شفاعته يخاف ان لا يطيعه او ان يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل احد شفاعة احد الا لرغبة او رهبة والله تعالى لا يرجو احدا ولا يخافه ولا يحتاج الى احد بل هو الغني قال تعالى(الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) الى قوله (قالوا اتخذ الله ولدًا هو الغني له ما في السموات وما في الارض)الآية وقوله :

(وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) استفهام انكار ، أى ليس متبع الذين يدعون من دون الله شركاء حجة ولا برهاناً ما يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون بين لله تعالى أن من دعا من دون الله شركاء فليس معه علم ، ليس معه الا الظن والخرص ، والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق ، فان الخرص هنا معني الكذب ، كقوله تعالي (قتل الخراصون) ومن ظن ان (ما) هنا نافية فقد فسر الآية بما هو خطأ كما قد بسط في غير هذا الموضع · والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من

الشفاعة عند المخلوق . قال تعالى (ويعبدون من دون لله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند لله ، قل أتنبئون لله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال عن صاحب يس (وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون ، أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون اني اذن لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون) الآية وقال (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) واخبر عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وقال (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً) فأخبر ان من يدعي من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون اليه فقد نفي سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والانبياء الى ان قال : والمقصود هنا ان من اثبت بين لله تعالى وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الاوثان وكانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائط يتقربون بها الى الله تعالى وهو الشرك الذى انكره لله تعالى على النصارى حيث قال (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقد قال تعالى (واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) ثم ذكر آيات

في المعنى ، وهذ الذي قاله الشيخ لاخلاف فيه بين المسلمين ، وانما اشتبه الامر على هؤلاء الضلال لما قدم العهد ونسي العلم واعتادوا سؤال غير الله فيما يختص به تعالى ونشؤوا على ذلك وبما ذكره شيخ الاسلام كفاية لمن اراد الله هدايته، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً .

فصـــل

ثم ذكر هذ الملحد بعد هذا المثل الذي ضربه كلاما لا فائدة في جوابه ، ثم قال: البحث الرابع في الاستغفار والاستشفاع وان كان فيما تقدم عن التوسل كفاية لا ثبات جواز الاستغفار والاستشفاع لكني رأيت في كـلام الله تعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ما نفرد معناه عن معنى التوسل الذي يذهب اليه العوام كما تقدم فافردته في هذا البحث وبالله المستعان (سؤال): هل جاء في القرآن العظيم والحديث الشريف وقوع الاستشفاع والاستغفار لا مع الانبياء وغيرهم لا حـد من الناس ؟ فان قلت نعم قلنا حيث ان الوهابيـة واخوانهم لا ينكرون هذا النوع لكنهم يحظرون طلبه بواسطة احد فهل جاء في القرآن العظيم والحديث الشريف ما يبيح الطلب ؟

الجواب : ان كلا النوعـين وارد في القرآن العظيم والحديث الشريف وفي بعض ما جاء فيها ليس اباحة فقط بل امر بالطلب ولا يخفاك ان كل ما جاء بصيغة الامر قد يكون فرضا وقد يكون واجبا ، واليك بيان كل نوع على الترتيب . النوع الاول: الشاهد الاول قال الله تعالى في سورة المؤمن « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون بـه ويستغفرون للذين امنوا » الى آخر الآيات الثلاث، ففي هذه الآيات جمع امور الثلاثة التوسل بقوله « ربنا

وسعت كل شيء.) وطلب المغفرة بقولهم (فاغفر) والشفاعة بقولهم (وادخلهم وقهم السيئات) فهذا ما اخبر الله به عن حملة عرشه وغيرهم ومثل هـذا في اول سورة الشورى .

والجواب : انا قد بينا فيما تقدم الدلائل الشرعية والبراهين العقلية على بطلان دعوى هذا الملحد من جواز طلب التوسل والاستشفاع والاستغفار من الاموات والغائبين ولكن ننبه على ما ذكره في هذا البحث بعض التنبيه والاشارة على بطلان ما افتراه وادعاه على كتاب الله وسنة رسوله على جواز ذلك والامر به .

اما قوله : النوع الاول الشاهد الاول قال الله تعالى في سورة المؤمن (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ..) الى آخر كلامه فجوابه ان استغفار الملائكة للذين آمنوا امر لهم من الله سبحانه وتعالى بهذا الطلب والسؤال وهو من افضل العبادات واشرفها فان الملائكة يسألون الله ويطلبونه بفعل ما امرهم به من الاستغفار للمؤمنين ولم يطلبوا من الله سبحانه ويسألوه ان يغفرلهم بحق احد من خلقه او بجاهه من الاموات ولا من الغائبين فقياس طلب المخلوق الحي من الاموات والغائبين فيما لا يقدر عليه الا الله على طلب الملائكة الاحياء المأمورين بهذا الطلب من افسد القياس وابطل الباطل واضل الضلال ولا يقول مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان طلب الملائكة المأمورين بالاستغفار للمؤمنين اذا كان جائزا او مأمورا به انه يدل على جواز طلب الاحياء من البشر والاستغفار من الاموات والغائبين من الانبياء والاولياء وغيرهم هذا لا يقوله احد يؤمن بالله واليوم الآخر فبطل ما موه به هذا الملحد من الاستشهاد بالآية لان هذا طلب من حي قادر على ذلك مأمور به ، واما الطلب من الاموات والغائبين فلم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله احد من الصحابة ولا التابعين لانه امر غير مقدور عليه

ولا مأمور به ومن اجاز ذلك فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ولا شرعه رسول الله ﷺ لامته فيكون باطلا مردودا والذي ذكره المفسرون على هذه الآيات على قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الى آخر الايات يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الاربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين انهم يسبحون بحمد ربهم اي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لاثبات صفات المدح ويؤمنون به اي خاشعون له اذلاء بين يديه وانهم يستغفرون للذين آمنوا اي من اهل الارض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين يدعون للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله الى ان قال ولهذا يقولون اذا استغفروا للذين آمنوا (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) اي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع اعمالهم واقوالهم وحركاتهم وسكناتهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وانابوا واقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما امرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات وقهم عذاب الجحيم - اي وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الاليم - ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم - اي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك اعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم) وما التناهم من عملهم من شيء) اي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر اعينهم ، وما نقصنا العالي حتى

يساري الداني ، بل رفعنا ناقص العمل فسارايناه بكثير العمل ، تفضلاً ومنة ، وقال سعيد بن جبير : ان المؤمن اذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه واخيه اين هم ؟ فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك في العمل ، فيقول : اني انما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة ، ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم) قال مطرف بن عبدالله بن الشخير : انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ، ثم تلا هذه الآية (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم) الآية ، واغش عباده للمؤمنين الشياطين

وقوله تبارك وتعالى (انك انت العزيز الحكيم) اي الذي لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الحكيم في اقوالك وافعالك من شرعك وقدرك ، (وقهم السيئات) اي فعلها ، ووبالها ممن قمت منه (ومن تق السيئات يومئذ) اي يوم القيامة (فقد رحمته) اي لطفت به ونجيته من العقوبة (وذلك هو الفوز العظيم) انتهى من تفسير العماد بن كثير الشافعي رحمه الله تعالى ، وليس فيما ذكره المفسرون شيء مما ذكره هذا الملحد ولا فيه انه اذا سأل الملائكة ربهم للمؤمنين الاستغفار انه يجوز قياساً على هذا سؤال الاموات والغائبين من الانبياء والاولياء والصالحين الاستغفار والاستشفاع بهم ، هذا لم يقله احد من المفسرين ، وانما يقوله امثال هؤلاء الغلاة المحرفين لكلام الله ورسوله ، فلا يعتمد على قولهم وعلى نقلهم بل هو من البدع المحدثة في الاسلام فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه والله اعلم ·

ثم قال الملحد : الثاني: قال الله تعالى في سورة الشعراء عن لسان خليله ابراهيم عليه السلام (واغفر لأبي انه كان من الضالين . ولا تخزني يوم يبعثون)

فهذا الخليل عليه السلام مع علمه باصرار ابيه على الشرك ما ترك الالحاح على ربه بنجاة ابيه ، وهذا الطلب من الخليل جاء في بضع مواضع من القرآن .

والجواب ان يقال : هذا من جنس ما قبله فان الخليل عليه السلام ، انما طلب الله وسأله ، ولم يسأله باحد من الاموات والغائبين ، ثم لما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ، فأي دليل في هذا على طلب الاستغفار من الانبياء والاولياء من الاموات والغائبين لو كان اهل الشرك يعلمون ؟ وكذلك ما ذكره بقوله في سورة هود قوله تعالى (فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط) . فالله تعالى ما انكر على خليله شدة الحاحه في منع العذاب عن قوم لوط ، بل اثنى عليه بقوله (ان ابراهيم لحليم اواه منيب) وهذه المدافعة تكررت منه ايضاً عليه السلام ، فيقال لهذا الملحد : اي دليل في هذا على دعاء الاموات والغائبين ؟ غاية ما في هذه الآية دعاء ابراهيم ربه ان يدفع عنهم العذاب ، والحاحه في ذلك ، وليس فيه انه توسل باحد من الخلق الى الله ان يدفع عنهم العذاب ولا انه اذا كان دعاء الله جائزاً مأموراً به مشروعاً طاعة لله وعبادة انه يجوز للمخلوق ان يسأل الاموات والغائبين فيما لا يقدرون عليه قياساً على دعاء ابراهيم ربه ، فان هذا من افسد القياس ، فان ابراهيم دعا إلهاً حياً قادراً بيده الامر واليه يرجع الامر كله ، والمخلوق الميت ليس بيده شيء من الامر ، ولا قدرة له على شيء بعد موته ، فسبحان الله ما اعظم شأنه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) وكذلك قوله في الاستشهاد الرابع في سورة التوبة قوله تعالى (استغفر لهم او لا تستغفر لهم) الآية الى آخر كلامه . فيقال : وهذا من جنس ما قبله فان رسول الله ﷺ انما سأل الله فأي دليل في هذا على سؤال غير الله والطلب منه .

ثم قال : الخامس في سورة الاعراف (انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) فهذا موسى عليه السلام يطلب لقومه مغفرة ذنب طلبهم رؤية لله تعالى وعبادتهم العجل ، وما انكر الله عليه ذلك بل اجاب على الشروط المذكورة بعد هذه الآية .

فيقال لهذا الذي اعمى الله بصيرة قلبه : هذا من جنس ما قبله ليس فيه الا دعاء الله ، وطلبه المغفرة للمذنبين من قومه ، وهذا من افضل العبادات واجلها . ولا مانع من ذلك فان هذه عبادة مأمور بها ، واذا كان هذا عبادة لله مأمورا بها فكيف يقاس عليها سؤال المخرق الميت العاجز الذي قد انقطعت حركته وعمله وهو لم يكن طاعة لله ولا عبادة له ولا مأموراً بها ، بل هي معصية لله مخالفة ما امر الله به ورسوله ؟ وكذلك قوله : السادس في سورة نوح (رب اغفر لي) الآية وجوابه في هذا ما تقدم ، وكذلك قوله : السابع في آخر سورة المائدة قول المسيح عليه السلام (ان تعذبهم فانهم عبادك) الآية فهذا المسيح عليه السلام يطلب المغفرة لقومه ، فهذه شفقة الانبياء والرسل ورحمتهم بأممهم ، عظيم ما يفعلون ، وقبيح ما يعتقدون ، وأي خسران أقبح ممن يحيد عن سنتهم ولا يجعلهم وسيلة الى ربه ، وجوابه عن هذه ما تقدم من الاجوبة ، ونقول : اي خسارة أخسر من خسارة من سوى بين الله وبين خلقه وجعلهم وسيلة ووسايط فيما لا يقدر عليه الا الله وقد امر الله بدعائه واستغفاره ونهى ان يدعى معه أحد غيره ، فكيف يقاس ما نهى عنه على ما أمر به ، فان هذ طاعة ، وهذه معصية ، ثم ذكر آيات في النوع الثاني في استغفار المؤمنين على نحو ما سبق . ثم قال : هذا استنباط القاه الله في روعي ولم اره في كلام احد . فهذا يكفي في جوابه انه مما القي في روعه ولم يقله احد قبله فكان من

وحي الشيطان والقائه ، قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والانس يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه) الآية ولو كان هذا لاستنباط مما يذكره العلماء ويجوز الاستدلال به لسبقه الى ذلك سابق ، ولو واحدا ، فكيف ولم يسبقه اليه احد ، وهذا يكفي في بطلانه وعدم ادراكه للعلوم الشرعية ، والاقوال المرضية ، ثم ذكر من الاحاديث ما رواه مسلم رحمه الله عن عمر رضي الله عنه حديثا طويلا ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال لعمر وعلي رضي الله عنهما « اذا لقيتما أويس القرني فاسألاه ان يستغفر لكما » الحديث بتمامه ، وكذلك ما ذكر من السير وأخبار الصحابة ووفود المسلمين ، وسؤالهم من النبي ﷺ الاستغفار فهذا كله لا حجة فيه فانه سؤال من حي قادر ، على الدعاء . وعلى ما ينفع المسلم به اخاه المسلم ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول ادع الله ، كما كان الصحابة يسألونه في حياته ، واما بعد موته فحاشا وكلا انهم سألوه ذلك ، بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه ، وكذلك ما ذكره عن البزار وابي منصور البغدادي وابن سعد عن بن مسعود رضي الله عنه ، والسيوطي في (الجامع الصغير) عن جماعة حديث حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فان رأيت خيرا حمدت الله تعالى ، وان رأيت شرا استغفرت لكم ، وجوابه ان يقال : هذا الحديث لم يذكر له اسنادا ولا بد من ذكر اسناده ، ومعرفة رواته ، واذ لم يذكر ذلك فلا حجة فيه ، ولا يعتمد على مثله لا بعد ذكر رواته ، وانهم عدول اثبات لا مطعن فيهم ولا مغمز ، فلا يعتمد على مثله ، وعلى تقدير صحته

وثبوته فليس فيه الا انه ﷺ اذا رئى شرا استغفر لامته ، ولم يأمر عليه الصلاة والسلام من أذنب ان يسأله الاستغفار ، ولا أن يتوسل به ويستشفع به ، فلا يكون فيه حجة على طلب ما لم يأمر به ، ومن زعم ذلك فقد افترى على الله وعلى رسوله ، وقال ما لا علم له به لان ذلك لم ينقل عن احد من اصحابه ، ولو كان ذلك مشروعا مطلوبا لكانوا أسبق الناس اليه ، وارغبهم فيه ، فاذا لم يكن ذلك منقولا عن احد منهم كان ذلك دليلا على عدم مشروعيته والله اعلم ، وكذلك ما ذكر في الحديث الرابع من ان امرأة اتت النبي ﷺ فقالت له يا رسول الله صل علي وعلى زوجي ، فقال صلى الله عليه وسلم « صلى الله عليك وعلى زوجك » فهذا ليس فيه الا الدعاء لها ولزوجها ، وهذا لا ينكره احد ، ولا نزاع في جوازه في حياته ، واما بعد وفاته فممنوع لما تقدم من الادلة المانعة من ذلك ، وهذه الآيات التي ذكرها هذا الملحد كذلك ، والاحاديث التي تقدم ذكرها على تقدير صحتها وثبوتها ليس فيها ما يدل على مطلوبه ، ولكن (من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) قال الله تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا الضرب من الناس قد انتكست قلوبهم وعمي عليهم مطلوبهم وغلظ عن معرفة الله ودينه وشرعه حجابهم ، وكثر في باب العقائد الديانات اضطرابهم ، ولا عجب من ذلك فانهم قد كانوا من الهمج الرعاع ، اتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق من الفهم .

فصل

ثم قال هذا الملحد :

البحث الخامس في الصلاة على الرسول ﷺ قد علمت مما تقدم ان الوهابيين واخوانهم قالوا بتحريم الصلاة على الرسول ﷺ ، وتكفير من يفعل ذلك ، وهذا كفر صريح منهم ، لانه انكار امر واجب في محكم القرآن الى آخر ماهذى به .

والجواب ان نقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) وقد بينا فيما تقدم ان هذا من الكذب الموضوع على الوهابية ، وانه مما افتراه عليهم اعداء الله ورسوله ، الذين ينفرون الناس عن الدخول في دين الله (ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين) واذا كان ذلك كذلك فتحققت ان الوهابية لا يحرمون الصلاة على النبي ﷺ بل يوجبونها ، ويرون ان خطبة الجمعة لا تنعقد الا بذكر الصلاة على النبي ﷺ ، وانها عندهم ركن في الصلاة لا تتم الصلاة ولا تستقيم بدونها فاعلم ان من العلماء من يوجبها ، ومنهم من لا يوجبها ، ومن اوجبها منهم لم يكفر من لم يوجبها ، ولم يقل ان ذلك معاداة للنبي ﷺ ، وبغض له ، أو تنقص بحقه ، وسنذكر من كلام العلماء ما يبين ذلك ويوضحه .

قال في (الجواب الباهر) الوجه الخامس : ان الكلام في الاحكام الشرعية مثل كون الفعل واجباً او مستحباً او محرماً او مباحاً لا يستدل عليه الا بالادلة الشرعية من الكتاب والسنة ، والاجماع والاعتبار ، والادلة الشرعية كلها مأخوذة عن الرسول ﷺ ، فالمتكلمون فيها سواء اتفقوا أو اختلفوا كلهم على الايمان بالرسول وبما جاء به ووجوب اتباعه ، وان الحلال ما حلله ، والحرام

ما حرمه ، والدين ما شرعه فالكلام فيها يستلزم الايمان بالانبياء وموالاتهم ، ووجوب تصديقهم ، واتباعهم فيما اوجبوه وحرموه ، والقائل منهم عن فعل انه حرام او مباح او واجب انما يقول ان الرسول حرمه أو أباحه أو أوجبه ، ولو أضاف الايجاب والتحريم والاباحة الى غير الرسول ﷺ لم يلتفت اليه ، ولم يكن من علماء المسلمين . واهل الاسلام متفقون على هذا الاصل سنيهم وبدعيهم كلهم متفقون على وجوب ما بلغه الرسول عن الله وعلى الاستدلال بالقرآن والسنة المعلومة المفسرة لمجمل القرآن ، واما المخالفة لظاهر القرآن فمن الخوارج من نازع فيها ، وهو فاسد من وجوه كثيرة ، ومن رد نصاً انما يرده اما كونه لم يثبت عنده عن الرسول أو لكونه غير دال عنده على محل النزاع ، او لاعتقاده انه منسوخ ، ونحو ذلك كما قد بسطت الكلام على ما كتبته في (رفع الملام عن الائمة الاعلام) . بينت اعذارهم في هذا الباب ، وان كان الواجب هو اتباع ما علم من الصواب مطلقاً ، والكلام في ذلك سواء تعلق بحقوق الرب او حقوق رسوله او غير ذلك لا يدخل شيئاً من ذلك في مسائل سب الانبياء وتنقصهم ومعاداتهم ، وان كان المتكلم من هؤلاء مخطئاً فان مصيبهم ومخطئهم انما مقصوده اتباع الرسول ، وتحريم ما حرمه ، وايجاب ما اوجبه ، وتحليل ما حلله ، وهذا مستلزم الايمان بالرسول ، وموالاته وتعظيمه فكيف يتصور مع ذلك ان يكون قاصداً لمعاداته او سبه او التنقص به او غير ذلك ؟ هذا ممتنع ولهذا لم يكن في المسلمين من جعل احداً من هؤلاء سباباً للانبياء ، معادياً لهم ، وان قدر انهم اخطأوا ، وهذا أمر واضح يعرفه آحاد الطلبة فاذا تكلم العلماء في الصلاة على النبي ﷺ هل هي واجبة في الصلاة او غير واجبة في الصلاة كقول الجمهور لم يقل احد أن من لم يوجبها فقد تنقص الرسول أو سبه أو عاداه ، والذين

لم يوجبوها في الصلاة منهم من اوجبها خارج الصلاة ، ومنهم من لم يوجبها بحال ، وجعل الامر في الآية امر ندب ، وحكى الاجماع على ذلك ، وقد بالغ القاضي عياض في تضعيف قول الشافعي بايجابها في الصلاة وقال حكى الامام ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي ﷺ في التشهد غير واجبة ، قال وشذ الشافعي في ذلك فقال : من لم يصل على النبي ﷺ بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة ، وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ، قال : ولا سلف له في هذا القول ، ولا سنة يتبعها قال : وقد بالغ في انكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة ، وشنعوا عليه الخلاف الحاصل فيها ، منهم الطبري والقشيري وغير واحد ، قال : وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على النبي ﷺ ، فان ترك تارك ذلك فصلاته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة والثوري واهل الكوفة من اهل الرأي وغيرهم ، وهو قول جملة اهل العلم ، وحكي عن مالك سفيان أنها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء. قال وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة ، واوجب استحقاق الاعادة مع تركها دون النسيان ، قلت . واحمد عنه في المسألة ثلاث روايات كالأقوال الثلاثة اختار كل رواية طائفة من أصحابه ، وذكر محمد بن المواز قولا له كقول الشافعي قال . وقال الخطابي ليس بواجبه في الصلاة ، وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ، قال : ولا أعلم له فيها قدوة ، وحكى الوجوب عن أبي جعفر الباقر وانه قال لو صليت صلاة لم أصل فيها علي النبي ﷺ واهل بيته لرأيت انها لم تتم ، وقال القاضي عياض : اعلم ان الصلاة على النبي ﷺ فرض علي الجملة ، مرغب فيه غير محدود بوقت

لأمر الله تعالى بالصلاة عليه ، وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه، وحكي ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب ، وادعي فيه الاجماع فهذا بعض كلام العلماء في مثل هذه وحكايات اجماعات متناقضة ، ومع هذا فلم يقل احد أن من لم يوجب الصلاة عليه فقد تنقصه او سبه او عاداه ونحو ذلك ، فانهم كلهم قصدهم متابعته كل بحسب اجتهاده رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك تنازعوا هل تكره الصلاة عليه عند الذبح فكره ذلك مالك واحمد وغيرهما . قال القاضي عياض : وكره ابن حبيب ذكر النبي ﷺ عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب قال : ولا يصلى عليه الا على طريق الاستحباب ، وطلب الثواب ، وقال اصبغ عن ابن القاسم : موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبح والعطاس ، فلا يقال فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ، ولو قال بعد ذكر الله محمد رسول الله لم يكره تسميته له مع الله ، وقال أشهب : لا ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي ﷺ استناناً قلت : والشافعي لم يكره ذلك ، بل قال هو من الايمان ، وهو قول طائفة من اصحاب احمد كابي اسحاق بن شاقلا انتهى .

واما ما ذكر من الاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي ﷺ فلا ننكر ما ثبت بالاسانيد الصحيحة عن النبي ﷺ وعن اصحابه ، بل نؤمن بها ونصدق بها وقد الف شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في ذلك مؤلفاً سماه (جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام) وفيه ما يشفي المؤمن ويكفيه عما صنفه الغلاة ممن لا معرفة لديه بصحيح الاخبار وضعيفها ، وذكروا فيها من الاحاديث والاخبار التي لا يصح منها شيء . ولا يعتمد على نقل رواتها لانهم ليسوا من اهل العلم المحققين فلا حاجة بنا الى شيء منها ويكفينا ما ذكره

خلفاء الرسل ورثة لانبياء. الذين هم معالم الهدي ومصابيح الدجى ، الذين أزال الله بهم عن سنته تأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين وتحريف الغالين ، فهم الاسوة وبهم القدوة .

وأما ما ذكر من المؤلفات كدلائل الخيرات وغيرها مما ذكر فدلائل الخيرات قد ذكر كثير من العلماء. ان اكثر ما فيها من الموضوعات والمكذوبات وان فيها من الغلو والاطراء ما لا ينبغي المؤمن ان يقوله او يعتمد عليه لعدم صحته وثبوته ، ولمخالفته ما كان عليه العلماء المحققون من اهل السنة والجماعة وقد نهي النبي ﷺ عن اطرائه والغلو فيه ، قال ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصاري ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » والاحاديث في ذلك كثيرة .

واما قوله وكذلك شروح الصلاة المشيشية وعدة الرسائل التي للامام السيوطي ، فقد كفانا عن النظر فيها ما ألفه شمس الدين بن القيم لانه من العلماء المحققين ، والجهابذة المتقنين الذابين عن دين الله ورسوله ما انتحله المبطلون وحرفه الغالون ممن لا يوثق بنقلهم ولا يعتمد على مثلهم ، في العلوم الشرعية والمباحث الدينية .

واما قوله وللشيخ يوسف النبهاني حفظه الله فمن شاء فليرجع اليها فيستضيء من انوارها ويرتوي من رحيقها.

فالجواب : ان يقال من يوسف النبهاني وما يوسف ؟ لا اكثر الله في الناس امثاله ، وقطع دابره وشتت أوصاله ، ومن كان على طريقته ونحلتـه ، من احزابه واخوانه واهل ملته ، لانهم من الغواة الصعافقة المتمعلين ، ومن أهل

الجهالة المتمردين الغالين ، المتبعين غير سبيل المؤمنين ، والسالكين على طريق الغلاة من المشركين (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفارا) وكان هـذا الرجل المسمى بيوسف النبهاني من اهل فلسطين ، من انباط قرية اجذم من اهل حيفا ثم سكن في بيروت ، وكان قاضياً فيها يحكم بالقانون ، ويدع الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ؛ ومن العجب العجاب ان هـذا الرجل يدعى محبة النبي ﷺ ووضع فيه مدائح تجاوز فيهـا الحد وافرط فيها ، والحد ، ومع ذلك يحكم بالقانون المخالف ، لشريعة الرسول ، لمأخوذ عن حكم الافرنج من النصارى ويدع حكم الله ورسوله ، وهذا من أشنع التناقض وابشعه ، وصنف كتابا في الاستغاثة بالنبي ﷺ ، ورد عليه أئمة اهل الاسلام وبينوا ما في كتابه من الاغلاط والاوهام والغلو المفرط الذي خرج به من دين المسلمين الى دين عباد القبور من المشركين ، وكان في عقيدته على طريقة اهل الاتحاد كابن عربي وامثاله من اهل الكفر والعناد (الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد) وهم من اكفر خلق الله على الاطلاق ، ومن اهل الزندقة والنفاق ، وكان يجحد علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ، وأنه ليس فوق السماء اله يعبد ، ولا يصلى له ويسجد ، بل ليس فوقه عندهم الا العدم المحض وبيان ذلك بقوله في رائيته الصغرى :

وهم باعتقـاد الشرك اولى لقصرهم
على جهـة للعلو خالقنـا قصرا
هو الله رب الـكل جل جـلاله
فمـا جهـة بالله من جهة أحرى

تأمل تجـد هذى العوالم كلهـا
بنسبة وسع لله كالذرة الصغري
فحينئـذ أين الجهـات التى بهـا
على الله من حمق بهم حكموا الفكرا
وان اختـلافاً للجهـات محقق
فكم ذا من الاقطار قطر علا قطرا
وكل علو فهو سفل ، وعكسه
وقل نحو هـذا في اليمين وفي اليسري
فمن قال عـلو كلها فهو صادق،
وذلك قد يقضى بآلهـة اخرى
فمن يا تري بالشرك أولى اعتقادهم
اولئك ام اصحاب سنتنا الغراء.

وقد اجبته على رائيته بنحو من اربع مائة بيت ونيفاً فأدحضت حجته وبينت ضلالته ، ولله الحمد والمنة ، فهل يسوغ لمن يؤمن بالله ورسـوله واليوم الآخر ان ينقل عمن هذه حاله وهذا دينه وطريقته ونحلته او يحرض على النظر في كتبه المشتملة على الكفر بالله والشرك به ؟ ولـكن هـذا الرجل الذي ألف هـذه الرسالة ان لم يكن أسوأ حالا منه فليس دونه وهـذا الرجل وامثاله من الغلاة الضالين والغواة المبطلين من الذين قال الله فيهم (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا

بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون) .

﴿ فصل ﴾

وأما ما ذكر عن طاغيتهم وامام كفرهم وضلالهم احمد بن زيني دحلان بقوله : قال السيد احمد دحلان رحمه الله : وحاصل مذهب اهل السنة والجماعة والشيعة ايضا صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين كما دلت عليه الآيات والاحاديث التي لا تحصى ، لانا معاشر اهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله وحده ، لا شريك له ، ولا فرق عندنا في التوسل بالنبي ﷺ وغيره كما لا فرق بين كونهم احياء او أمواتا ، لانا نعلم ان لا تأثير لهم بشيء ، وتوسلنا بهم هو لكونهم مقربين عند الله ، مكرمين لديه ، ولا نرتاب بان جاههم عند الله محفوظا بعد موتهم كما كان في حياتهم وهذا ليس فيه شيء من الشرك ، لكن الشرك المحض هو عند من يجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات ، ويعتقدون ان لهم تأثيرا وبيدهم نفع وضر بل يعتقدون تأثير الاعراض والجمادات كالعدوى وامثالها والتوسل والتشفع والاستعانة كلها عندنا بمعنى واحد ، والفاعل المطلق هو الله تعالى .

والجواب : ان يقال : أولا تسمية عباد القبور اهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما انزل الله على رسوله ، وقلب للمسميات الشرعية وما يراد من الاسلام والإيمان والشرك والكفر ، قال الله تعالى (الاعراب اشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله) وهذا وامثاله اجدر من اولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود ، لغربة الاسلام ، وبعد العهد بآثار النبوة ، واهل

السنّة والجماعة هم اهل الاسلام والتوحيد ، المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة الذين لم يشوبوها ببدع اهل الاهواء واهل الكلام في ابواب العلم والاعتقادات ، ولم يخرجوا عنها في باب العلم والارادات ، كما عليه جهال اهل الطرائق والعبادات فان السنة في الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ ، وما سنه او أمر به من اصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت ، ثم خصت في بعض الاطلاقات بما كان عليه أهل السنة من اثبات الاسماء والصفات ، خلافا للجهمية المعطلة النفاة ، وخصت باثبات القدر ونفي الجبر ، خلافا للقدرية النفاة ، وللقدرية الجبرية العصاة ، وخصت ايضا على ما كان عليه السلف الصالح فى مسائل الإمامة والتفضيل ، والكف عما شجر بين اصحاب رسول الله ﷺ ، وهذا من اطلاق الاسم على بعض مسمياته لانهم يريدون بمثل هذا الاطلاق التنبيه على ان المسمى ركن اعظم وشرط اكبر ، كقوله « الحج عرفة » او لانه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم ولذلك سمى العلماء كتبهم فى هذه الاصول كتب السنة ككتاب السنة للالكائي ، والسنة لابي بكر الاثرم ، والسنة للخلال ، والسنة لابن خزيمة ، والسنة لعبد الله بن احمد ، ومنهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وغيرهم .

واذا كان الحال كما ذكرنا فقوله : وحاصل مذهب اهل السنة والجماعة والشيعة ايضا صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين ، يريد به هذا الملحد ما سيأتى فى كلامه من ان دعاء الصالحين والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه الا الله ، يسمى توسلا عنده وتشفعا ، وهذا فرار منه ان يسمي شركا وكفرا ، وهذا من جنس جهله بالاسماء والمسميات ، وسيأتيك رد كلامه هنا ، وان التوسل صار مشتركا فى

عرف كثيرين ، وان العبرة بالحقائق لا بالاسماء ، وان الله سمى هذا شركا وعبادة لغيره في مواضع من كتابه ، فاياك ان تغتر بالالحاد ، وتغيير الاسماء ، فقف مع الحدود الشرعية ، واعتبر بالحقائق تعرف ان هؤلاء مشركون وثنيون عباد قبور ، ولا يستريب في ذلك الا جاهل بأصل الاسلام لم يدر ما جاءت به الرسل الكرام وهذا الضرب من الناس اعني عباد القبور يحسنون الظن بأنفسهم ويرون انهم أهل سنة وجماعة وهكذا اهل كل ملة ونحلة وبدعة وقد قال تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً) وقال تعالى (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ، ويحسبون انهم مهتدون) وما احسن قوله في قضائه بين ابراهيم وقومه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) ومن عادة هؤلاء الزنادقة الملحدين اذا رأوا عبارة في مدح اهل السنة والجماعة وعدم تكفيرهم ادعوها لانفسهم وشيعتهم من عباد القبور والصالحين والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور . فاذا تبين لك ما ذكرنا فاعلم ان التوسل في عرف عباد القبور اليوم واصطلاحهم هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين لكونهم اسبابا ووسائل لنيل المقصود والا فهم يعتقدون ان الله هو النافع الضار وانه المتفرد بالايجاد والاعدام وان الله هو الخالق للاشياء وان الله هو رب كل شيء ومليكه ولا يعتقدون ان آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ولا استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد فمن اثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين عباد الاوثان ، واما قوله ولا فرق عندنا في التوسل بالنبي ﷺ وغيره كما لا فرق بين كونهم احياء وامواتا لانا نعلم ان لا تأثير لهم

بشيء الى آخره .

فالجواب . ان يقال هذا تخليط وهذيان فان الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الاغاثة المطلقة واما الاغاثة بالاسباب العادية وما هو فى طوق البشر وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه، والاموات لا قدرة لهم على الاسباب العادية وما هو في طوق البشر وقدرتهم والمسلمون متفقون على قول ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن يؤمنون بقوله (و لله خلقكم وما تعملون) خلق في الحي اختيارا و مشيئة بها يثاب وبها يعاقب بها يكلف والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوى صحيفته ولا يسأل ولا يستفتي ولا يرجع اليه فى شيء مما للعباد عليه قدرة وسائر الحيوان يفرقون بين الحى والميت وهؤلاء الملاحدة لا يفرقون بين الحي والميت ، قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بسمع من في القبور) واستغاثة الميت ليست سببا كاستغاثة المخلوق فيما لا يقدر عليه ولم يجعل هذا سببا الا عباد الاصنام الذين هم اضل خلق الله يجعلون الاموات سببا ووسيلة والميت ليس فى شرع الله وما جاءتنا به رسله ان يدعو لمن دعاه والكرامة ليست فعله بل هي فعل الله والمكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشيء من الشدائد بل هذا فعل المشركين حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) على ان القول باسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقة باعتبار الخلق والايجاد وان الله هو الفاعل حقيقة والى الانبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار التسبب والكسب بديهي البطلان بيانه من وجوه الاول

انه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق والايجاد وان الله هو الفاعل حقيقة كما توهم صاحب الرسالة لزم ان يكون اسناد افعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقياً فان اعتقاد اهل السنة و الجماعة ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى وهذا يقتضي ان يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الاعمال الحسنة ؛ وكذلك يتصف حقيقة بالاعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق والفجور و الزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس واكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة المتناقضة والثاني لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزم ان لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ولا كافر ولا براً ولا فاجراً ولا مصليا ولا مزكيا ولا صائما ولا حاجا ولا مجاهداً ولا زانيا ولا سارقا ولا قاتلا ولا كاذبا ، فبطل الجزاء والحساب وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به احد من المسلمين .

والثالث : ان دعوى كون الانبياء والصالحين سببا للغوث وكسبا له ، محتاج الى اقامة الدليل ودونه لا تسمع وبالجملة فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة تنادي بصوت على صاحبها بالجهل والسفه . فتبين مما تقدم الفرق بين الحي والميت وان الميت لا يقدر على شيء مما يقدر عليه الحي من الاسباب العادية ، فان الاسباب العادية التي يقدر عليها الحي وفي وسعه فهي وان حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز ، ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة وينصر اخاه ظالما او مظلوما حقيقة ، والله سبحانه

خلق العبد وما يعمل ، وهذا معروف من عقائد اهل السنة والجماعة . والمقصود ان هذا الملحد زعم ان طلب المشركين ممن يعبدونه من دون الله مـا لا يقدر عليه الا الله تعالى ليس بشرك لان الله تعالى هو الفاعل لذلك حقيقة والله سبحانه يعطي لا جلهم اكراما لهم وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله اليهم رسوله ﷺ ، فانهم كانوا يعلمون ان الله تعالى هو الخالق الموجد واما الاصنام وسائر المعبودين من دون الله فيقولون انها اسباب وسائر عادية فمن اجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبـدة الصالحين في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم . ينحرون لهم وينذرون . والدعـاء والاستغاثة والنحر والنذر كلها من اقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين الذين حكي الله تعـالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق ؟ واما قوله : ثم اطال الكلام في الرد على ما ينسب للعوام من الاقوال والاعمال التي يتوهمها الخصم من المكفرات وما هى من ذلـك بشي الى آخر كلامه

فالجواب ان نقول . قد بينا فيما تقدم ان ما يفعله عوام هؤلاء المشركين وخواصهم الغلاة من الافعال والاقوال الشركية انه هو عين الشرك المخرج من الملة ولا ينفعهم مع ذلك اعتذار هؤلاء الملاحدة عنهم ان هذا مجازي لان معهم حقيقة التوحيد والايمان وذلك انهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويصلون ويزكون ويحجون البيت الحرام وهذا لا ينفعهم مع وجود الحقيقة الكفر بالله ورسوله كما لم ينفع المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ وقد كانوا يتلفظون بالشهادتين ويصلون ويزكون ويجاهدون مع النبي ﷺ وهم مع

ذلك في الدرك الاسفل من النار وكذلك بنو عبيد القداح ملوك مصر كانوا يتلفظون بالشهادتين ويصلون الجمعة والجماعة وينصبون القضاة ويتظاهرون بالاسلام فلما اظهروا اشياء تخالف الشرع دون ما نحن فيه اجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا مابايديهم من بلدان المسلمين .

وبينا فيما تقدم ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا .

وفيما ذكرناه كفاية لمن اراد الله هدايته ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً والمقصود بما كتبناه ان يتبين لمن هداه الله وكان خلياً من التعصب وليس له قصد الا بيان الحق ووضوحه ضلال هؤلاء وتحاملهم على عباد الله الموحدين بمجرد الظلم والعدوان ومحض الأكاذيب والبهتان واما هؤلاء الذين اعمى الله بصائرهم وختم على قلوبهم فهم كما قال الله فيهم (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) ونحن نعلم انه لا يزيدهم هذا لا تكبرا وعنادا وتماديا في الباطل وارتدادا لانه قد انتكست عن معرفة الحق قلوبهم وتمادت في الباطل وعمي عليهم مطلوبهم فهم في سكرتهم يعمهون وفي ريبتهم يترددون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين . الحمد لله رب العالمين .

مسائل هامة

عن :

١ ـ التكفير والتفسيق

٢ ـ الحب والبغض في الله

٣ ـ الهجران على المعاصي

٤ ـ حكم لبس العمائم والعصائب

من تآليف

العالم العلامة ، الحبر الفهامة

الشيخ سليمان بن سحمان

رحمه الله

من مطبوعات حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز آل سعود

ايده الله تعالى

١٣٧٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين صطفى .

اما بعد : فقد تأملت ما ذكره الاخ من المسائل التي ابتلي بالخوض فيها كثير من الناس من غير معرفة ولا اتقان ولا بينه ودليل واضح من السنة والقرآن ، وقد كان غالب من يتكلم فيها بعض للتدينين من العوام الذين لا معرفة لهم بمدارك الاحكام ولا خبرة لهم بمسالك مهالكها المظلمة العظام ، وليس لهم اطلاع على ما قرره ائمة الاسلام ووضحوه فى هذه المباحث التي لا يتكلم فيها الا فحول الائمة الاعلام ، وهذه المسائل قد وضحها اهل العلم وقرروها ، وحسبنا ان نسير على منهاجهم القديم ونكتفي بما وضحوه من التعليم والتفهيم ونعوذ بالله من القول على الله بلا علم ، وهذه المسائل التي اشرت اليها لا يتكلم فيها الا العلماء من ذوي الالباب ومن رزق الفهم عن الله واوتي الحكمة وفصل الخطاب ونحن وان كنا لسنا من اهل هذا الشأن ولا ممن يجري الجواد في مثل هذا الميدان فانما نسير على منهاج اهل العلم ونتكلم عما وضحوه في هذا الباب ، ولولا ما ورد عن النبي ﷺ من الوعيد في ذلك بقوله «من سئل عن علم وهو يعلمه فكتمه الجمه الله بلجام من نار» لضربت عن الجواب صفحا ولطويت عن ذلك كشحا ولكن ما لايدرك كله لا يترك كله ولا بد من ذكر مقدمة نافعة ليعلم من نصح نفسه واراد نجاتها ان المبادرة بالتكفير والتفسيق من غير طلاع على كلام العلماء لا يتجاسر عليه الا اهل البدع الذين

مرقوا من الاسلام ولم يحققوا تفاصيل ما في هذه المسائل المهمة العظام مما قرروه وبينوه من الاحكام .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – في « منهاج السنة » بعد ان ذكر اقوال اهل البدع كالمعتزلة والخوارج والمرجئة ، وذكر كلاماً طويلاً ثم قال : « واذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء وذلك ليس في سبيل الله فكيف باهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها فانهم يفعلون ذلك شجاعة وحمية ، وربما يعاقبون لما اتبعوا اهواءهم بغير هدى من الله لا لمجرد الخطأ الذي اجتهدوا فيه . ولهذا قال الشافعي لئن اتكلم في علم يقال لي فيه اخطأت احب الي من ان اتكلم في علم يقال لي فيه كفرت . فمن عيوب اهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ومن ممادح اهل السنة انهم يخطئون ولا يكفرون وسبب ذلك ان احدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً وقد يكون كفراً لانه تبين له انه تكذيب للرسول وسب للخالق والآخر لم يتبين له ذلك فلا يلزم اذا كان هذا العالم بحاله يكفر اذا قاله ان يكفر من لم يعلم بحاله » الى آخر كلامه . والمقصود ان من مذاهب اهل البدع وطرائقهم انهم يكفر بعضهم بعضاً ومن ممادح اهل السنة انهم يخطئون ولا يكفرون فاذا تحققت هذا وجعلته نصب عينيك افادك الحذر كل الحذر من الغلو والتعمق ومجاوزة الحد في هذه المسائل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فصل

قال السائل : المسألة الاولى : ما الكفر الذي يخرج من الملة والذي لا يخرج في قولهم : الكفر كفران وكذا الفسق فسقان ؟

والجواب ان نقول : هذه المسألة قد اجاب عنها شيخنا الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن في رسالته للخطيب وذكر ما ذكر شمس الدين ابن القيم — رحمه الله - تعالى في كتاب (الصلاة) فقال رحمه تعالى : الاصل الرابع : ان الكفر نوعان : كفر عمل وكفر جحود وعناد وهو ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من اسماء الرب وصفاته وافعاله واحكامه التي اصلها توحيده وعبادته وحده لا شريك له وهذا مضاد للايمان من كل وجه . واما كفر العمل فمنه ما يضاد الايمان كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه ، واما الحكم بغير ما انزل الله وترك الصلاة فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد وكذلك قوله (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وقوله (من اتي كاهناً او اتى امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ فهذا من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه وان كان الكل يطلق عليه الكفر وقد سمي الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به كافراً بما ترك العمل به قال تعالى « واذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم عن دياركم » الى قوله (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية فأخبر سبحانه انهم اقروا بميثاقه الذي امرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به واخبر انهم عصوا امره وقتل فريق منهم فريقاً آخرين واخرجوهم من ديارهم وهذا كفر بما اخذ عليهم ثم اخبر انهم يفدون من اسر من ذلك الفريق وهذا ايمان منهم بما اخذ عليهم في الكتاب وكانوا مؤمنين بما اعملوا به من الميثاق كافرين لما تركوه منه فالايمان العملي يضاده الكفر العملي والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي ، وفي الحديث الصحيح . « سباب

المسلم فسوق وقتاله كفر ،وجعل احدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفراً ومعلوم انه انما اراد الكفر العملى لا الاعتقادي ، وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم الايمان ، وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقي هذه المسألة الا عنهم ، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقاً أخرجوا عن الملة بالكبائر وقضوا على اصحابها بالخلود في النار ، وفريقاً جعلوه مؤمنين كاملي الايمان فاولئك غلوا وهؤلاء جفوا وهدي الله أهل السنة للطريقة المثلى ، والقول الوسط ، الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل فهاهنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وظلم دون ظلم فعن ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) قال : ليس هذا هو الكفر الذى تذهبون اليه رواه عنه سفيان وعبد الرزاق ، وفي رواية اخري : كفر لا ينقل عن الملة ، وعن عطاء : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ، وهذا بين فى القرآن لمن تأمله ، فان الله سبحانه سمي الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ، وسمي الجاحد لما انزل الله علي رسوله كافراً وسمى الكافر ظالماً فى قوله (والكافرون هم الظالمون) وسمي من يتعدي حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالماً وقال (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال يونس عليه السلام (اني كنت من الظالمين) وقال آدم (ربنا ظلمنا انفسنا) وقال موسى (رب اني ظلمت نفسى) وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم) وسمى الكافر فاسقاً في قوله (وما يضل به الا الفاسقين) وقوله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون)

وسمي العاصي فاسقاً في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقال في الذين يرمون المحصنات (واولئك هم الفاسقون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا عصيان فى الحج) وليس الفسوق كالفسوق ، وكذلك الشرك شركان شرك ينقل عن الملة وهو الشرك بالله الاكبر ، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الاصغر كشرك الريا. وقال تعالى في الشرك الاكبر (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) وقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير) الآية وقال في الشرك والرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً وفي الحديث (من حلف بغير الله فقد اشرك) ومعلوم ان حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار ومن هذا قوله ﷺ (الشرك في هذه الامة اخفي مني دبيب النمل » فانظر كيف انقسم الكفر والفسوق والظلم الى ما هو كفر ينقل عن الملة والى ما ينقل عنها ، وكذلك النفاق نفاقان . نفاق اعتقاد ونفاق عمل ، ونفاق الاعتقاد مذكور فى القرآن في غير موضع ، وأوجب لهم عقاب الدرك الاسفل من النار ، ونفاق العمل جاء في قوله ﷺ « اربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتي يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر واذا ائتمن خان » وكقوله ﷺ « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد اخلف » قال بعض الافاضل : وهذا النفاق قد يجتمع مع اصل الاسلام ولكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية وان صلى وصام وزعم انه مسلم ، فان الايمان ينهي عن هذه الخلال فاذا كملت للعبد لم يكن له ما ينهاه عن شيء منها ، فهذا لا يكون الا منافقاً

خالصاً انتهى . فانظر رحمك الله الى ما ذكره العلماء من ان الكفر نوعان كفر اعتقاد ، وجحود وعناد فأما كفر الجحود والعناد فهو ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من اسماء الرب وصفاته وافعاله واحكامه التي اصلها توحيده وعبادته وحده لا شريك له ، وهذا مضاد للايمان من كل وجه ، فهذا هو الذي يخرج من الملة الاسلامية لانه يضاد الايمان من كل وجه ، واما النوع الثاني فهو كفر عمل ، وهو نوعان ايضاً : مخرج من الملة وغير مخرج منها ، فأما النوع لاول فهو يضاد الايمان كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي وسبه ، والنوع الثاني كفر عمل لا يخرج من الملة كالحكم بغير ما انزل الله وترك الصلاة ، فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد ، وكذلك قوله « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وقوله « من اتى كاهناً فصدقه واتي امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ » فهذا من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه ، وان كان الكل يطلق عليه الكفر الى اخر ما ذكر رحمه الله ، لكن ينبغي ان يعلم ان من تحاكم الى الطواغيت او حكم بغير ما انزل الله ، واعتقد ان حكمهم اكمل واحسن من حكم الله ورسوله ، فهذا ملحق الكفر الاعتقادي المخرج عن الملة كما هو مذكور في نواقض الاسلام العشرة ، واما من لم يعتقد ذلك لكن تحاكم الى الطاغوت وهو يعتقد ان حكمه باطل فهذا من الكفر العملي .

فاذا تبين لك هذا فاعلم ان الايمان اصل له شعب متعددة كل شعبة منها تسمى ايماناً فأعلاها شهادة ان لا اله الا الله ، وادناها اماطة الاذي عن الطريق ، فمنها ما يزول الايمان بزواله اجماعا كشعبة الشهادتين ويكون اليها اقرب ، ومنها

ما يلحق شعبة اماطة الاذى عن الطريق ويكون اليها اقرب ،والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه سلف الامة وائمتها ، وكذلك الكفر ايضا ذو اصل وشعب ، فكما ان شعب الايمان ايمان فشعب الكفر كفر ، والمعاصى كلها من شعب الكفر ، كما ان الطاعات كلها من شعب الايمان ولا يسوى بينها في الاسماء والاحكام ، وفرق بين من ترك الصلاة والزكاة والصيام واشرك بالله واستهان بالمصحف ، وبين من سرق او زني او شرب او انتهب او صدر منه نوع من موالاة كما جري لحاطب ، فمن سوي بين شعب الايمان في الاسماء والاحكام او سوي بين شعب الكفر في ذلك فهو مخالف الكتاب والسنة ، خارج عن سبيل سلف الامة ، داخل في عموم اهل البدع والاهواء . وقد تبين مما قدمناه من كلام ابن القيم وكلام شيخنا الشيخ عبد اللطيف ان الكفر كفران ، وان الفسق ، والشرك شركان ، والظلم ظلمان ، والنفاق نفاقان ، على ما ذكراه من التفصيل وقررا عليه من الادلة من الكتاب والسنة ، وذكرا ان هذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم اعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام وبالكفر ولوازمهما ، فلا تتلقي هذه المسألة الا عنهم ، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقاً اخرجوا من الملة بالكبائر وقضو على اصحابها بالخلود في النار وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملى الايمان فأولئك غلوا وجفوا وهدى الله اهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو فى المذاهب كالاسلام في الملل .

فصل

واما المسألة الثانيه وهو قول السائل : ما التحاكم الى الطاغوت الذي يكفر به من فطه من الذى لا يكفر :

فالجواب ان نقول : قد تقدم الجواب عن هـذه المسألة مفصلا في كلام شمس الدين بن القيم وكلام شيخنا فراجعه ، واعلم ان هذه المسائل مزلة اقدام ومفضلة افهام ، فعليك بما كان عليه السلف الصالح والصدر الاول والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

فصل

واما المسألة الثالثة وهي قول السائل : ما الاعراض الذى هو ناقض من نواقض الاسلام ما حكمه هل يطلق على معرض أم لا ؟؟

فالجواب ان نقول :

هذه المسألة هى مسألة الجاهل المعرض ، وقد ذكر اهل العلم ان الاعراض نوعان نوع يخرج من الملة ، فأما الذي يخرج من الملة فهو الاعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ، كما هو مذكور فى نواقض الاسلام العشرة ، وهـذا المعرض هو الذي لا ارادة له في تعليم الدين ، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه بل هو راض بما هو عليه من الكفر بالله والاشراك به لا يؤثر غيره ، ولا تطلب نفسه سواه . واما الذي لا يخرج من الملة فهو المعرض العاجز عن السؤال والعلم الذى يتمكن به من العلم والمعرفة مع ارادته للهدي وايثاره له ، ومحبته له ،

لكنه غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم المرشد وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) وفي طبقات المكلفين من كتاب (طريق الهجرتين) ان القسم الثاني من العاجزين عن السؤال والعلم الذي يتمكن به من العلم والمعرفة قسمان ايضاً ، احدهما مريد للهدي مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم المرشد ، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ، ومن لم تبلغه الدعوة ، الثاني معرض لا ارادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه فالاول يقول : يا رب لو اعلم لك ديناً خيراً مما انا عليه لدنت به وتركت ما انا عليه ، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي ، والثاني راض بما هو عليه لا يؤثره غيره ولا تطلب نفسه سواه ، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته ، وكلاهما عاجز وهذا لا يجب ان يلحق بالاول لما بينهما من الفرق ، فالاول كمن طلب الدين في الفترة فلم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغه الوسع في طلبه عجز الطالب وعجز المعرض ، هذا ملخص ما ذكره ابن القيم وقد ذكرنا بتمامه في جواب المسألة التي سأل عنهما احمد بن دبش فراجعه فيها ، لكن ينبغي اولا ان يعلم ان العوام من المسلمين ، وكذلك البوادي ممن كان ظاهره الاسلام لا يكلفون بمعرفة تفاصيل الايمان بالله ورسوله ، وتفاصيل ما شرعه الله من الاحكام ، لان ذلك ليس في طاقتهم ولا في وسعهم ، بل يكتفى منهم بالايمان العام المجمل كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في (كتاب الايمان) وقال في (منهاج السنه) لا ريب انه يجب على كل احد ان يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ ايمانا عاما مجملا ولا ريب ان معرفة ما جاء به الرسول ﷺ التفصيل فرض على الكفاية ، فان ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ﷺ ، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه ، وعلم الكتاب والحكمة وحفظ

الذكر والدعاء الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعاء الى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن ، ونحو ذلك مما اوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم ، واما ما وجب على اعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرتهم وحاجتهم ومعرفتهم ، وما امر به اعيانهم ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم او عن فهم دقيقة ما يجب على القادر على ذلك ، ويجب على من سمع النصوص وفهمها على التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها ، ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك انتهى والله اعلم .

(فصل)

المسألة الرابعة قول السائل : ما الشخص الذي يحب جملة ومن الذي يحب من وجه ويبغض من وجه والذى يبغض جملة ؟

والجواب ان نقول :

الشخص الذي يحب جملة هو من آمن بالله ورسوله وقام بوظائف الاسلام ومبانيه العظام علما وعملا واعتقاداً واخلص اعماله واقواله ، وانقاد لأوامر الله وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله ، واحب في الله ووالى في الله ، وابغض في الله ، وعادى في الله ، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل احد كائناً من كان الى الى غير ذلك من القيام بحقوق الاسلام وشرائعه ، واما الذي يحب من وجه ويبغض من وجه آخر فهو المسلم الذي خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير ، ويبغض ويعادي على قدرما معه من الشر ، ومن لم

يتسع قلبه لهذا كان يفسد اكثر مما يصلح وهلاكه أقرب اليه من ان يفلح واذا اردت الدليل على ذلك فهذا عبد الله (حمار) وهو رجل من اصحاب رسول الله ﷺ كان يشرب الخمر فأتي به الى رسول الله ﷺ فلعنه رجل ، وقال : ما اكثر ما يؤتي به ، فقال النبي ﷺ « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » مع انه لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه ، وتأمل قصة حاطب بن ابي بلتعة ، وما فيها من الفوائد فانه هاجر الى الله ورسوله ، وجاهد في سبيله ، لكن حدث منه انه كتب بسر رسول الله ﷺ الى المشركين من اهل مكة ، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ ومسيره لجهادهم ليتخذ بذلك يدا عندهم ، يحمي بها اهله وماله بمكة ، فنزل الوحي بخبره ، وكان قد اعطي الكتاب ضغينة جعلته فى شعرها ، فأرسل رسول الله ﷺ علياً والزبير في طلب الضغينة واخبرهما انهما يجدانها في روضة خاخ فكان ذلك فتهدداها حتى اخرجت الكتاب من ضفائرها ، فاتيا به رسول الله ﷺ فدعا حاطب بن ابي بلتعة فقال له : ما هذا ؟ فقال يا رسول الله : لم اكفر بعد ايمان ، ولم افعل هذا رغبة عن الاسلام ، وانما اردت ان تكون لى عند القوم يد أحمى بها اهلي ومالى ، فقال صلى الله عليه وسلم « صدقكم خلوا سبيله » واستأذن عمر في قتله فقال : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : (وما يدريك ان الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وانزل الله في ذلك صدر صورة الممتحنة فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء) الآيات فدخل حاطب في المخاطبة باسم الايمان ، ووصفه به وتناوله النهي بعمومه وله خصوص السبب الدال على ارادته ، مع ان في الآية الكريمة ما يشعر ان فعل حاطب نوع موالاة وانه

ابلغ بالمودة فان كل فعل ذلك قد ضل سواء السبيل لكن قوله : صدقكم خلوا سبيله ظاهر في انه لا يكفر بذلك ، اذ كان مؤمنا بالله ورسوله ، غير شاك ولا مرتاب ، وانما فعل ذلك لغرض دنيوي ، ولو كفر لما قيل : خلو سبيله لا يقال قوله ﷺ لعمر : (وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) هو المانع من تكفيره لانا نقول لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنعه من الحاق الكفر واحكامه فان الكفر يهدم ما قبله لقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقوله تعالى (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) والكفر محبط للحسنات والايمان بالاجماع ، فلا يظن هذا ومن الادلة على ذلك قوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما — الى قوله — انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) فجعلهم اخوة مع وجود الاقتتال والبغي ، وامر بالاصلاح بينهم وكان مسطح ابن اثاثة من المهاجرين والمجاهدين مع رسول الله ﷺ ، وكان ممن سعى بالافك فاقام رسول الله ﷺ الحد عليه وجلده ، وكان ابو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته وفقره ، فآلى ابو بكر ان لا ينفق عليه بعد ما قال لعائشة ما قال ، فانزل الله (ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، او ليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم) فقال ابو بكر : بلى والله ، اني احب ان يغفر الله لي فأعاد عليه نفقته ، وامثال هذا كثير لو تتبعناه لطال الكلام ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية : والمؤمن عليه ان يعادي في الله ويوالي في الله فاذا كان هناك مؤمن فعليه ان يواليه وان ظلمه فان الظلم لا يقطع الموالاة الايمانية ، قال الله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما - الى قوله — انما المومنون اخوة)

فجعلهم اخوة مع وجود الاقتتال والبغي ، وأمر بالاصلاح بينهم فليتدبر المومن الفرق بين هذين النوعين ، فما اكثر ما يلتبس احدهما بالآخر وليعلم ان المؤمن تجب موالاته وان ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وان أعطاك واحسن اليك ، فان الله بعث الرسل وانزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب له ولاوليائه ، والبغض لاعدائه والاكرام لاوليائه والاهانة لاعدائه والثواب لاوليائه والعقاب لاعدائه ، فاذا اجتمع في الرجل الوحد خير وشر ، وبر وفجور وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبا الاكرام والاهانه ، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطي ما يكفيه من بيت المال لحاجته ، هذا هو الاصل الذي اتفق عليه اهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه ، فلم يجعلوا الناس الا مستحقاً للثواب فقط أو مستحقاً للعقاب فقط . واهل السنة يقولون : ان الله يعذب بالنار من اهل الكبائر من يعذبه ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له في الشفاعة ، بفضله ورحمته كما استفاضت بذلك السنة عن النبي ﷺ والله اعلم .

وقال رحمه الله في موضع آخر ، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم واحبه ووالاه ، واعطى الحق حقه فيعظم الحق ويرحم الخلق ، ويعلم ان الرجل الواحد يكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ، ويبغض من وجه ، هذا هو مذهب اهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم ، كما بسط هذا في موضعه والله اعلم انتهى .

فانظر رحمك الله الى ما قرره شيخ الاسلام في مسألة الهجر ان الرجل

الواحد قد يجتمع فيه خير وشر ، وبر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة فيستحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ويستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبان الاكرام والاهانة ، الى آخر كلامه ، فمن اهمل هذا ولم يراع حقوق المسلم التي يستحق بها الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، وكذلك لم يراع ما فيه من الشر والمعصية والفجور والبدعة وغير ذلك فيعامله بما يستحقه من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فمن ترك هذا واهمله ، سلك مسلك اهل البدع من الخوارج والمعتزلة ومن حذا حذوهم ولا بد . وتأمل قوله هذا هو الاصل الذي اتفق عليه اهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه فلم يجعلوا الناس الا مستحقا للثواب فقط ، او مستحقا للعقاب فقط فان هـذا مخالف لما قاله اهل السنة والجماعة ، ثم نظر الى ما يفعله غالب من يستعمل الهجر من الناس هل هو متبع لما عليه اهل السنة والجماعة او متبع لما عليه اهل البدع من الخوارج وغيرهم ، وكذلك تأمل قوله رضي الله عنه ومن سلك طريق الاعتدال - الى قوله - ويعلم ان الرجل الواحد يكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ويبغض من وجه آخر الى آخر كلامه - يتبين لك معنى ما قدمته لك مما عليه اهل السنة والجماعة ومن خالفهم .

واما الذي يبغض جملة فهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وانه كله بقضاء الله وقدره وانكر

البعث بعد الموت وترك احد اركان الاسلام الخمسة واشرك بالله سبحانه في عبادته احدا من الانبياء والاولياء والصالحين وصرف لهم نوعا من انواع العبادة كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة والذبح والنذر والانابة والذل والخضوع والخشوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق على غير الله في جميع الطلبات وكشف الكربات واغاثة اللهفات وجميع ما كان يفعله عباد القبور اليوم عند ضرائح الاولياء والصالحين وجميع المعبودات وكذلك من الحد في اسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين وانتحل ما كان عليه اهل البدع والاهواء المظلة وكذلك من قامت به نواقض الاسلام العشرة أواحدها وبالجملة فهو من ترك جميع المأمورات وارتكب جميع المحضورات والله اعلم .

فصل

(المسألة الخامسة) قول السائل : والهجر هل هو في حق الكافر او المسلم واذا كان في حق المسلم العاصي فما القدر الذي ينبغي ان يهجر لاجله وهل يفرق بين الاحوال والاشخاص والازمان وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

والجواب ان نقول : اعلم يا اخي اولا ان الهجر ان لم يقصد به الانسان بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والاحسان اليهم لم يكن عمله صالحا واذا غلظ في ذم بدعة او معصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد كما في نصوص الوعيد وغيرها وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرا والمقصود بذلك ردعه وردع امثاله للرحمة والاحسان لا للتشفي والانتقام كما هجر النبي ﷺ اصحابه الثلاثة الذين خلفوا لما جاء المتخلفون عن الغزاة يعتذرون ويحلفون وكانوا يكذبون

وهؤلاء الثلاثة صدقوا وعوقبوا بالهجر ثم تاب الله عليهم ببركة الصدق اذا تحققت هذا فالهجر المشروع انما هو في حق العصاة المذنبين لا في حق الكافر فان عقوبته على كفره اعظم من الهجر وهجر العصاة المذنبين من اهل الاسلام انما هو على وجه التأديب فيراعي الهاجر المصلحة الراجحة في الهجر او الترك كما سيأتي بيانه وهذه المسئلة قد كفانا الجواب عنها شيخ الاسلام ابن تيمية — قدس الله روحه فقال الهجر الشرعي نوعان . احدهما بمعني الترك للمنكرات والثاني بمعنى العقوبة عليها فالاول هو المذكور في قوله تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقوله (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم) الآية فهذا يراد به أنه لا يري المنكرات بخلاف من حضر عندهم للانكار عليهم او حضر بغير اختياره ولهذا يقال حاضر المنكر كفاعله وفي الحديث من كان يؤمن بالله اليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر وهذا الهجر من جنس هجر الانسان نفسه لفعل المنكرات قال النبي ﷺ « المهاجر من هجر ما نهي الله عنه » ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق الى دار الاسلام والايمان فانه هجر المقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به ومن هذا قوله « والرجز فاهجر » النوع الثاني : الهجر على وجه التأديب وهو هجر من يظهر المنكرات فيهجر حتي يتوب منها كما هجر النبي ﷺ المسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى انزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين من غير عذر ولم يهجر من اظهر الخير وان كان منافقاً فهذا الهجر بمنزلة التعزير . والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل

المحرمات كتارك الصلاة والزكاة والمتظاهر بالمظالم والفواحش والداعى الى البدع المخالفة للكتاب والسنة واجماع سلف الامة التى ظهر انها بدعة وهذا حقيقة قول من قال من السلف والائمة ان الدعاة الى البدعة لا تقبل شهادتهم ولا يصلى خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون فهذا عقوبتهم حتى ينتهوا ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية لان الداعية اظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فانه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله مع علمه بحال كثير منهم ولهذا جاء في الحديث ان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ولكن اذا اعلنت ولم تنكر ضرت العامة وذلك لان النبي ﷺ قال «ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده» فالمنكرات الظاهرة يجب انكارها بخلاف الباطنة فان عقوبتها على صاحبها خاصة وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين فى قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فان المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله فان كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضى هجره الى ضعف الشر وخفته كان مشروعاً وان كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس انفع والهجر لبعض الناس انفع من التاليف ولهذا كان النبي ﷺ يتألف اقواماً ويهجر آخرين وقد يكون المؤلفة قلوبهم اشر حالا في الدين من المهجورين كما ان الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من اكثر المؤلفة قلوبهم لكن اولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثيرون فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم ولهذا كان

المشروع في العدو القتال تارة والمهادنة تارة واخذ الجزية تارة كل ذلك بحسب المصالح والاحوال وجواب الائمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبنى على هـذا الاصل ولهذا كان يفرق بين الاماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة والتجهم بخراسان والتشيع بالكوفة وبين ما ليس كذلك ويفرق بين الائمة المطاعين وغيرهم واذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله اوصل الطرق اليه واذا عرف هذا فالهجرة الشرعية هي من الاعمال التي امر الله بها ورسوله والطاعات لا بد ان تكون خالصة لله وان تكون موافقة لامره فتكون خالصة لله صوابا فمن هجر لهوى نفسه او هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا. وما اكثر ما تفعل النفوس ماتهواه ظانة انها تفعله طاعة لله والهجر لاجل حظ النفس لا يجوز اكثر من ثلاث كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال « لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا عن هذا ويصد هذا عن هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» فلم يرخص في هذا الهجر اكثر من ثلاث كما لم يرخص في احداد غير الزوجة اكثر من ثلاث، وفي الصحيح عنه ﷺ انه قال « تفتح ابواب الجنة كل يوم اثنين وخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً الا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء. فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا » فهذا لحق الانسان حرام وانما رخص في بعضه كما رخص للزوج ان يهجر امرأته في المضجع اذا نشزت وكما رخص في هجر الثلاث فينبغي ان يفرق بين الهجر لحق الله وبين الهجر لحق النفس فالاول مأمور به . والثاني منهي عنه لان المؤمنين اخوة وقد قال ﷺ « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » وقال ﷺ في الحديث الذي في السنن « ألا انبئكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهى

عن المنكر قالوا : بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» وقال في الحديث الصحيح (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وهذا لان الهجر من باب العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد في سبيل الله وهذا يفعل لان تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله والمؤمن عليه ان يعادي في الله ويوالي في الله فاذا كان هناك مؤمن فعليه ان يواليه وان ظلمه فان الظلم لا يقطع الموالاة الايمانية قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) الى قوله (انما المؤمنون اخوة) فجعلهم اخوة مع وجود الاقتتال والبغي وامر بالاصلاح بينهم فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين فما اكثر ما يلتبس احدهما بالآخر وليعلم ان المؤمن تجب موالاته وان ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وان اعطاك واحسن اليك فان الله بعث الرسل وانزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لاوليائه والبغض لاعدائه والاكرام لاوليائه والاهانة لاعدائه والثواب لاوليائه والعقاب لاعدائه فاذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وبر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبا الاكرام والاهانة فيجتمع له من هذا هذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى ما يكفيه من بيت المال لحاجته هذا هو الاصل الذي اتفق عليه اهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم فلم يجعلوا الناس الا مستحقا للثواب فقط او مستحقا للعقاب فقط واهل السنة يقولون ان الله يعذب بالنار من اهل الكبائر من يعذب ثم يخرجهم

منها بشفاعة من يأذن له في الشفاعة وبفضله ورحمته كما استفاضت بذلك السنة عن النبي ﷺ والله اعلم ما انتهى .

واما قول السائل : واذا كان في حق المسلم العاصي فما القدر الذي ينبغي ان يهجر لاجله .

فنقول : القدر الذي ينبغي ان يهجر لاجله هو ما تقدم ذكره من هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها لكن ينبغي ان يعلم ان الذنوب والمعاصي متفاوتة في الحد والمقدار فمنها ما هو من قسم الكبائر ومنها ما هو من قسم الصغائر فيهجر العاصي على قدر ما ارتكبه من الذنب (ولكل درجات مما عملوا) ولا يسوي بين الذنوب في الهجر ويجعل ذلك بابا واحدا الا جاهل لان الهجر من باب التأديب والمقصود به بيان الحق ورحمة الخلق والمسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره واذا افضى ذلك الى التقاطع والتدابر والتباغض والتحاسد لم يكن الهجر مشروعا لان مفسدته ارجح من مصلحته وقد بلغني ان بعض هؤلاء الهاجرين لمن يرتكب شيئاً من الذنوب والمعاصي اذا قال لهم المهجور استغفر الله واتوب اليه واقر على نفسه بالذنب وتاب الى الله منه لم يقبلوا ذلك منه بل يستمرون على هجره ومعاداته وهذا خلاف ما شرعه الله ورسوله بل هذا من باب التشفي والانتقام لا من باب الرحمة والاحسان بالمسلم والواجب ان ينصح الرجل اخاه المسلم عن هذا الذنب فان تاب منه فهو المطلوب وان لم يتب واستمر على معصية هجره حتى يتوب منها ان كانت المصلحة في حقه ارجح وان لم ينزجر عنها وكانت المفسدة في حقه ارجح من المصلحة لم يكن الهجر مشروعا كما ذكر ذلك شيخ الاسلام .

وقوله : وهل يفرق بين الاحوال والاشخاص والازمان ؟

فاقول نعم يفرق بين الازمان فزمان يهجر فيه وزمان لا يهجر فيه وذلك اذا كان الناس حدثا عهد بجاهلية فينبغي ان يراعى في حقهم الاصلح وهو التأليف وترغيبهم في الاسلام ودخولهم فيه وعدم تنفيرهم وليعلموا ان هذه الملة المحمدية حنيفية في الدين سمحة في العمل كما قال ﷺ لما جاء الحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد فقام ينظر اليهم وقال لتعلم يهود ان في ديننا فسحة اني بعثت بحنيفية سمحة ففي مثل هذه الازمان لا يستعمل الهجر مع كل احد لئلا يحصل بذلك عدم رغبة في الدخول في الاسلام وتنفير عنه وكذلك الاشخاص شخص يهجر وشخص لا يهجر كما قال شيخ الاسلام وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فان المقصود زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله فان كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره الى ضعف الشر وخفته كان مشروعا وان كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس انفع والهجر لبعض الناس انفع من التأليف الى آخر كلامه واذا كان ذلك كذلك فهجر القادات والاكابر الذين يخاف من هجرهم عدم قبول وانقياد ويرون ان في ذلك غضاضة عليهم ونقصا في حقهم وربما يحصل بذلك منهم تعدٍ بيد او لسان فلا ينبغي هجرهم لان من القواعد الشرعية ان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وكذلك الاحوال يراعي فيها الاصلح كما يراعي في الازمان والاشخاص كما قال شيخ الاسلام وهذا كما كان المشروع في العدو القتال تارة والمهادنة تارة واخذ الجزية تارة كل ذلك بحسب المصالح والاحوال الى آخر كلامه فتأمله يزل عنك اشكالات طال ما اعشت عيون كثير من خفافيش الابصار

الذين لا معرفة لهم بمدارك الاحكام ولا اطلاع لهم على ما ذكره ائمة اهل الاسلام والله المستعان .

﴿ فصـــل ﴾

اذا تحققت هذا وعرفت ما ذكره شيخ الاسلام من الهجر المشروع وغير المشروع فاعلم يا اخي ان كثيراً من الناس يهجرون على غير السنة وعلى غـير ما شرعه الله ورسوله ويحبون ويوالون ويبغضون ويعادون على ذلك وذلك ان بعض الناس ممن ينتسب الى طلب العلم والمعرفة احدث لمن يدخل في هذا الدين شعاراً لم يشرعه الله ولا رسوله ولا ذكره المحققون اهل العلم لا في قديم الزمان ولا في حديثه وذلك انهم يلزمون من دخل في هذا الدين ان يلبس عصابة على رأسه ويسمونها العمامة وان ذلك من سنة رسول الله ﷺ فمن لبسها كان من الاخوان الداخلين في هذا الدين ومن لم يلبسها فليس منهم لانه لم يلبس السنة وهذا لم يقل به احد من العلماء ولا شرعه الله ولا رسوله بل هـذا استحسان منهم وظن انه من السنة وليس هذا من السنة في شي. وبيان ذلك من وجوه.

الوجه الاول : ان رسول الله ﷺ مكث قبل النبوة اربعين سنة ولباسه لباس العرب المعتاد من الازر والسراويل والاردية والعمائم وغيرها ،ولما اكرمه الله بالرسالة والنبوة ورحم الله الخلق ببعثه ودخل الناس في دين الله افواجـا وشرع الشرائع وسن السنن لامته لم يشرع لهم لباساً غير لباسهم المعتـاد ولا جعل للمسلمين شعاراً يتميز به المسلمون من الكفار بل استمروا على هذا اللباس المعروف المعتاد الى انقراض القرون الاربعة وما شاء الله بعدها لم يحدثوا لباساً يخالف لباس العرب ولم يكن من عادتهم لبس المحارم والقتر والمشالح والعبي كما هو لبس العرب اليوم من الحاضرة والبادية .

الوجه الثاني : ان هذه العصائب على المحارم والغتر وغيرها التي يسمرنها العمائم ان كان المقصود بجعلها على الرؤوس وعلى المحارم الاقتداء برسول الله ﷺ في لباسه فهذه لم تكن هي العمائم التي كان رسول الله ﷺ وأصحابه وسائر العرب يلبسونها بل تلك كانت ساترة لجميع الرأس وعلى القلانس كما قال ﷺ «فرق ما بيننا وبين الاعاجم العمائم على القلانس» والقلنسوة هي الطاقية في عرفنا وعادة العرب في العمامة انهم يجعلونها محنكة ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى – في « اقتضاء الصراط المستقيم » قال الميموني : رأيت ابا عبدالله عمامته تحت ذقنه ويكره غير ذلك وقال العرب عمتها تحت اذقانها وقال احمد في رواية الحسن بن محمد يكره ان لا تكون العمامة تحت الحنك كراهة شديدة وقال انما يتعمم بمثل ذلك اليهود والنصارى والمجوس انتهى . فذكر رحمه الله ان العمامة من غير تحنيك من زي اليهود والنصارى والمجوس وقد امرنا بمخالفتهم وكان رسول الله ﷺ يلتحي بها تحت الحنك كما ذكر ذلك ابن القيم - رحمه الله - في « الهدى النبوي » فلاي شيء لم يقتدوا برسول الله ﷺ في هذا اللباس على هذا الوضع ان كان المقصود الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثالث : ان يقال لمن احدث هذه العصائب لو كانت العمائم المعروفة على ما وصفنا ما وجه تخصيص هذه العمائم بالسنية من بين سائر لباس النبي ﷺ من الاردية والقمص والسراويل والازر وغيرها واللائق بالمقتدي ان يلبس جميع ما يلبسه صلى الله عليه وسلم ولا يجعل بعضه مسنوناً وبعضه مهجوراً متروكاً ؟ .

الوجه الرابع : انه لما احدث بعض الفقهاء من الحنابلة وغيرهم شعاراً يتميزبه

المصاب من غيره فيعزى انكر ذلك المحققون من اهل العلم الذين لهم قدم صدق في العالمين .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في « عدة الصابرين » : واما قول كثير من الفقهاء من اصحابنا وغيرهم لا بأس ان يجعل المصاب على رأسه ثوباً يعرف به قالوا لان التعزية سنة وفي ذلك تيسير لمعرفته يعزى ففيه نظر وانكره شيخنا ولا ريب ان السلف لم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك ولا نقل هذا عن احد من الصحابة والتابعين والآثار المتقدمة كلها صريحة في رد هـذا القول وقد كره اسحاق ابن راهوية ان يترك الرجل لبس ما عادته لبسه وقال هو من السلب وبالجملة فعادتهم انهم لم يكونوا يغيرون شيئاً من زيهم قبل المصيبة ولا يتركون ما كانوا يعملونه فهذا مناف للصبر والله اعلم انتهى .

فتبين مما ذكره ابن القيم ان احداث هذا الشعار عند المصيبة لم يكن السلف يفعلون شيئاً من ذلك ولا نقل هذا عن احد من الصحابة والتابعين فكذلك هذه العصائب المحدثة التي زعموا انه يتميز بها من دخل في هـذا الدين عن من لم يدخل فيه احداث شعار في الاسلام لم يفعله الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم من العلماء . ومن زعم ذلك فعليه الدليل وليبين لنا من ذكره من العلماء في اي زمان وفي أي كتاب وفي أي باب من أبواب العلم .

الوجه الخامس : أن لبس العمائم والاردية والازر وغيرها هو من العادات التي هي من قسم المباحات التي لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها لا من قسم العبادات كالسنن التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها وقد انكر بعض الجهمية من اهل (عمان) على المسلمين لبس المحارم وشرب القهوة وزعم ان هذه بدعة

فأجابه شيخنا الشيخ عبد اللطيف بقوله . وهذا من ادله جهله وعدم معرفته للاحكام الشرعية والمقاصد النبوية فان الكلام في العبادات لا في العادات والمباحث الدينية نوع والعادات الطبيعية نوع آخر فما اقتضته العادة من اكل وشرب ومركب ولباس ونحو ذلك ليس الكلام فيه والبدعة ما ليس لها اصل فى الكتاب والسنة ولم يرد بها دليل شرعى من هديه ﷺ وهدي اصحابه واما ما له اصل كارث ذوى الارحام وجمع المصحف والزيادة في حد الشارب وقتل الزنديق ونحو ذلك فهذا وان لم يفعل في وقته ﷺ فقد دل عليه الدليل الشرعي وبهذا التقريب تنحل اشكالات طال ما عرضت في المقام .

وقال رحمه الله في رده على البولاقي (صاحب مصر) في قوله : —

وها أنتمو قد تفعلون كغيركم
حوادث قد جاءت عن الاب والجد
كحرب ببارود وشرب لقهوة
وكم بدع زادت عن الحد والعد

قال رحمه الله تعالى : —

واعجب شيء ان عددت لقهوه
مع الحرب بالبارود في بدع الضد
وقد كان في الاعراض ستر جهالة
غدوت بها من اشهر الناس في البلد
فما بدع فى الدين تلك وانما
يراد بها الاحداث في قرب العبد

قد تبين بما ذكره الشيخ ان العادات الطبيعية كالمآكل والمشارب والملابس والمراكب وغيرها نوع والمباحث الدينية والمقاصد النبوية نوع آخر فلا يجعل ما هو من قسم العادات الطبيعية من العبادات الشرعية الدينية الا جاهل مفرط في الجهل وأما ما يوردونه من الاحاديث في فضل العمائم فلا يصح منها شيء ولو صحت لكانت محمولة على غير ما توهموه وعلى غير ما فهموه . وقد بلغني عن بعض الاخوان انهم ينكرون ما كان يعتاده المسلمون من لبس العقال سواء كان ذلك العقال اسود أو احمر أو ابيض ويهجرون من لبسه ويعللون ذلك بأنه لم يلبسه رسول الله ﷺ ولا اصحابه ولم يكن ذلك يلبس في عهدهم ولا هو من هديهم واذا كانت هذه العلة هي المانعة من لبسه فيكون حراما ولابسه قد خالف السنة . فيقال لهم : وكذلك لم يكن الرسول ﷺ ولا اصحابه ولا التابعون لهم باحسان يلبسون هذه (المشالح) الاحمر منها ولا الابيض ولا الاسود والعبي على اختلاف الوانها والكل من هذه الملابس صوف طاهر ؟ وكذلك لم يكونوا يلبسون الغتر الشمغ على اختلاف الوانها فلاي شيء كانت هذه الملابس حلالا مباحاً لبسها وهذه العقل محرمة أو مكروهة لا يجوز لبسها والعلة في الجميع واحدة على زعمهم مع أن هذا لم ينقل عن احد من العلماء تحريمه ولا كراهته وقد أظهر الله شيخ الاسلام (محمد بن عبد الوهاب) فدعي الناس الى توحيد الله وعبادته وقد كانوا قبل ظهوره في أمر دينهم على جهالة جهلاء وضلالة ظلماء . فدعاهم لى الله والى توحيده وكانوا قبل دعوته يعبدون الاولياء والصالحين والاحجار والاشجار والغيران وغير ذلك من المعبودات التى كانوا يعبدونها من دون الله فدعى الناس الى توحيده وعبادته وبين لهم الاحكام والشرائع والسنن حتي ظهر دين الله وانتشر في البلاد والعباد ولم يكن فى

وقته احد يلبس هذه العصائب ولا امر الناس بلبسها ولا ذكر انها من السنن ولا انكر على الناس ما كانوا يعتادونه من هذه الملابس كالعقل وغيرها لانها من العادات الطبيعية لا العبادات الدينية : —

فخير الامور السالفات على الهدى وشر الامور المحدثات البدائع

الوجه السادس : ان السنة فى الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وما سنه أو أمر به من اصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت وعلى هذا فيكون الاصل في موضوعها هو ابتداء فعل او قول لم يكن قبل ذلك مقولا ولا مفعولا ثم صار بعد الامر بذلك مسنونا مشروعاً لان العبادات مبناها على الامر وبيان ذلك ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا اذا فات احد منهم بعض الصلاة مع رسول الله ﷺ قضاها قبل السلام فجا. معاذ رضي الله عنه وقد فاته بعض الصلاة مع رسول الله ﷺ فلما سلم رسول الله ﷺ وفرغ من الصلاة قام معاذ فقضى ما فاته منها فقال رسول الله ﷺ «ان معاذا قد سن لكم سنة فاتبعوها» هذا هو المعروف من لفظ السنة وموضوعها وهذا بخلاف العمائم فان رسول الله ﷺ لم يسن لأمته لبسها بل كانت هي عادة العرب قبل الاسلام وبعده فما وجه تسميتها بالسنة وتخصيصها لو كانوا يعلمون واذا كانوا لا يعلمون انها ليست سنة فهلا سألوا اذا لم يعلموا فانما دواء العي السؤال والله اعلم .

واما قول السائل : وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فنقول : الكلام فيه كالكلام فى الازمان والاشخاص والاحوال يراعي فيه ما هو الاصلح والارجح وهو على المراتب الثلاث باليد فان عجز عن ذلك فباللسان فان عجز عنه فبالقلب وذلك اضعف الايمان ولكن ينبغى للآمر والناهى ان

يكون عليا فيما يأمر به عليا فيا ينهي عنه حليا فيايأمر به حليافيماينهي عنه رفيقاً فيايأمربه رفيقاًينهي عنه فمن اهمل كان فساده اكثر من صلاحه والله اعلم .

فصل

واما قوله : « وهل اذا خرج بعض من نزل في دار الهجرة الى البادية لاجل غنمه في وقت من الاوقات وهو يريد الرجوع يقع عليه وعيد من تعرب بعد الهجرة أم لا ؟ ».

فالجواب ان يقال : إذا خرج بعض من نزل في دار الهجرة الى البادية لاجل غنمه ومن نيته الرجوع الى مسكنه وداره التي هاجر اليها لا يقع عليه وعيد من تعرب بعد الهجرة لأن رسول الله ﷺ قال « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » وهذا الذي خرج الى غنمه ليصلحها ويتعاهد احوالها ثم يرجع الى مهاجره ليس من نيته التعرب بعد الهجرة ولا رغبة عن الاسلام واهله فلا يدخل في الوعيد وقد اعتزل سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ايام الفتنة التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في قصر له في البادية فقيل له في ذلك فقال :

عوي الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوي

وصوت انسان فكدت اطير !

ولم ينكر عليه احد من الصحابة ولا قال له احد انك تعربت بعد الهجرة وتركت دار الهجرة لان رسول الله ﷺ قد اذن في مثل هذا كما هو مذكور

في محله في غير هذا الموضع وهذا الذي ذكرناه عن بعض الاخوان لم يكن منا رجماً بالغيب بل قد جاءوا الينا وسألوا الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف عن هذه المسائل وعن هذه العصائب بخصوصها . فاخبرهم انها ليست من السنة في شيء وانما هي من العادات الطبيعية لا من العبادات الدينية الشرعية واغلظ لهم القول لما سألوه عن بعض هذه المسائل وامرهم ان يتعلموا اصل دينهم الذى يدخلهم الله به الجنة وينجيهم به من النار فاذا تمكن هذا الدين من قلوبهم فالجواب عن هذه المسائل وغيرها ممكن سهل وقد نفع الله به كثيراً من الاخوان الداخلين في هذا الدين فانزجروا عن تلك الورطات التي من سلكها افضت به الى مفاوز الهلكات ولولا ما دفع الله باغلاظه لهم عنها لاتسع الخرق على الواقع فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً .

فصل

ولما انتهينا الى هذا الموضع من تسويد هـذه الامورات قدم الينا بعض الاخوان وافداً الى الامام ومعه ورقة فى فضل العمامة يزعم انها من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية – قدس الله روحه فلما تأملتها لم اجد فيها من كلام شيخ الاسلام لفظاً صريحاً الا ما نقله شارح (الاقناع) عن شيخ الاسلام انه قال اطالتها - أي الذؤابة بلا اسبال وان ارخى طرفها فحسن فان كان فيها من كلام شيخ الاسلام شيء غير هذا فهو لم يعينه ولم يفصله عن غيره حتي يعلم ذلك، ونحن نبين ان شاء الله تعالى ما في هذا الكلام من الخطأ وما يناقضه من كلام شيخ الاسلام وهذا نص ما نقله في هذه الورقة قال فيها فائدة : فى فضل العمامة من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وقدس روحه في ان الاقتداء بأعمال

الرسول ﷺ من الامور المشروعة مقرر في علم الاصول ولا سيا فيا يظهر فيه قصد القربة كما ورد في ارسال الذؤابة في الحديث الذي رواه مسلم عن جعفر ابن عمر بن حريث عن ابيه قال كاني انظر الي رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سودا. قد ارخى طرفها بين كتفيه .

والجواب عن هذا من وجوه :

الوجه الاول : ان هذا الكلام لا يدل على فضل العمامة وانما فيه ان الاقتدا. بأفعال الرسول ﷺ من الامور المشروعة مقرر في علم الاصول لا سيا فيا يظهر فيه قصد القربة كما ورد في ارسال الذؤابة في الحديث الذي رواه مسلم وهذا لا اشكال فيه فان ارسال الذؤابة في العمامة مما سنه رسول الله ﷺ وشرعه فالاقتدا. به في ارسال الذؤابة لمن كان يعتاد لبسها مسنون مشروع وهذا يدل على فضل ارخا. الذؤابة بين الكتفين لا على فضل العمامة لان لبس العمامة من العادات الطبيعية لا من العبادات الدينية الشرعية وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها هو وسائر العرب قبل ان ينزل عليه الوحي وقبل ان يشرع الشرائع ويسن السنن

الوجه الثاني : ان لابس هذه العصائب على الفتر وغيرها لم يكن مقتديا برسول الله ﷺ لان العمامة التي كان يلبسها رسول الله ﷺ كانت ساترة لجميع الرأس وكان يلتحي بها تحت الحنك وهذا بخلاف هذه العصائب واسم العمامة لا يقع الا على ما وصفنا .

الوجه الثالث : ان لبس العمائم والازر والاردية وغيرها لم يكن من خصائص الرسول ﷺ واصحابه بل كان هذا لباسه مع سائر العرب كما ذكر

ذلك شيخ الاسلام فأي قربة او فضيلة فى الاقتداء فيما كان فعله مشتركا بينه ﷺ وبين سائر العرب مسلمهم وكافرهم ؟

الوجه الرابع : انا لا ننكر جعل هذه العصائب على القتر مطلقا وانما انكرنا زعمهم انها سنة رسول الله ﷺ التي سنها لامته وشرعها وجعل ذلك شعارا يتميز به من دخل فى هذا الدين عن من لم يدخل فيه كما بينا بطلان ذلك فيما تقدم وسنبينه فيما بعد إن شاء الله .

واما قوله : وفي (الشمائل) عن هارون الهمداني باسناده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك قال عبيد الله رأيت سالما والقاسم يفعلانه .

فاقول وهذا ليس فيه الا ارخاء الذؤابة بين كتفيه ﷺ وهذا حق ولا شك فيه ولا ارتياب ان رسول الله ﷺ يفعله والفضيلة انما هي في الاقتداء به في ارسال العمامة بين الكتفين .

واما قوله : وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال عممني رسول الله ﷺ يوم غدير (خم) بعمامة فسدل طرفها على كتفي وقال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معتمين بهذه العمة وان العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين .

فاقول : هذا الحديث فيه الفاظ تخالف ما ثبت عن النبي ﷺ وتخالف ما ذكره شيخ الاسلام وغيره من العلماء . وهي قوله « ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معتمين بهذه العمة وان العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين قال ابن القيم — رحمه الله تعالى — في « الهدى النبوي » لما ذكر ما رواه مسلم

في صحيحه عن عمرو بن حريث قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه وفي مسلم إيضا عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء. ولم يذكر في حديث جابر ذؤابة فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه وقد يقال انه دخل مكة وعليه اهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه وكان شيخنا ابو العباس ابن تيمية قدس الله روحه يذكر في سبب الذؤابة امرا بديعا وهو ان النبي ﷺ انما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى؟ قلت لا ادري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السموات والارض الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الحال ارخى الذؤابة بين كتفيه وهذا من العلم الذي ينكره السنة الجهال وقلوبهم ولم ار هذه الفائدة في شأن الذؤابة لغيره

فذكر – رحمه الله تعالى — أن سبب ارخاء الذؤابة كان صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى وفيه فوضع يده بين كتفي قال فمن تلك الحال ارخى الذؤابة وهذا الناقل ذكر وفي الحديث الذي ذكره عن عبد الرحمن بن عوف ان سبب ارخاء الذؤابة لما عممه بها انها كانت عمة الملائكة الذين امده الله بهم يوم بدر ويوم حنين ولو كان هذا هو السبب في ارخاء الذؤابة لذكره ابن القيم رحمه الله تعالى مع ان هذا الحديث لم يعزه الى كتاب ولا بد من عزوه الى كتاب من دواوين اهل الحديث المعروفة المشهورة مع تعديل رواته توثيقهم والا فلا نسلم صحته وذكر في هذا الحديث ان العامة حاجزة بين المسلمين والمشركين فلا ادري ما اراد بهذا الكلام وهل ذلك

ثابت عن النبي ﷺ ام لا ؟ ثم قال ابن وضاح وساق بسنده عن عاصم بن محمد عن أبيه قال : رأيت علي ابن الزبير عمامة سوداء قد أرخاها من خلفه قدر ذراع ، وهذا الحديث فيه ان العمامة التي رآها على ابن الزبير عمامة سوداء. وهؤلاء لا يلبسون العمائم السود ولا يعصبون بها رؤوسهم وغاية ما فيه انه أرخاها قدر ذراع وهذا لا ينكره احد . ثم قال وقال عثمان بن ابراهيم رأيت ابن عمر يحف شاربه ويرخي عمامته من خلفه ، الى ان قال : وقال بعضهم بين الكتفين وهو قول الجمهور ونص مالك انها تكون بين اليدين ثم قال الا لون انها تكون قدر اربع اصابع وقيل الى نصف الظهر وقيل القعدة انتهى وهذا الذي ذكره عن ابن وضاح ان كان النقل عنه ثابتا بذلك ليس فيه الا ارخاء الذؤابة وفضيلة الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في ارخائها لا في سنية العمامة

واما قوله قال في (الاقناع) وشرحه :ويسن ارخاء الذؤابة خلفه نص عليه قال الشيخ اطالتها اي الذؤابة بلا اسبال وان ارخا طرفيها بين كتفيه فحسن .

فاقول هذا حق ولا نزاع فيه فانه لم يذكر في الاقناع ولا في شرحه الا ان ارخاء الذؤابة سنة لقوله ويسن ارخاء الذؤابة اما العمامة فلم يذكر في شأنها شيء. لانه قد كان من المعلوم عندهم ان الرسول لم يشرعها لامته ولا سنها لهم بل كان عادة العرب لبسها في الجاهلية والاسلام .

واما قوله: قال الآجري وارخاها ابن الزبير من خلفه قدر ذراع وعن انس نحوه ذكره في الادب ويسن تحنيكها اي العمامة لان عمائم المسلمين كانت كذلك على عهد رسول الله ﷺ وعدد لف العمامة كيف شاء. قاله في (المبدع)

وغيره وروى ابن حبان في كتاب (اخلاق النبي ﷺ) من حديث عمر كان رسول الله ﷺ يقيم فيدير كور العمامة على رأسه ويغرزها لمن ورائه ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه انتهى .

فالجواب ان نقول : وهذا كله انما هو فى سنية ارخاء الذؤابة من خلفه وهذا لا نزاع فيه ولا ينكره منا احد وليس في جميع ما اورده ها هنا من الاحاديث وكلام العلماء حرف واحد يدل على مشروعية لبس العمامة وان رسول الله ﷺ سنها لامته قبل ان لم تكن قبل ذلك بل فيه ما ذكرنا آنفاً ولما بلغني خبر هذه الورقة وانها من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ظننت انه قد جاء بما يناقض ما عندنا في ذلك فلما تأملتها اذ هو قد جاء بكلام لا ادرى اهو من كلام شيخ الاسلام ام لا وباحاديث لا تدل على ما فهمه منها فاخطأ في مفهومه حيث وضع الاحاديث وكلام العلماء في غير موضعها واستدل بها على غير ماتدل عليه فلم يأت الامر من بابه ولا اقر الحق في نصابه فجعل ما ورد من الاحاديث فى الذؤابة وما ذكره العلماء فى ذلك نصاً في مشروعية العمامة ولبسها وهم لم يقتدوا برسول الله ﷺ فيما كان يعتاده من لباسه في العمامة وانها ساترة لجميع الرأس وانه كان يلتحي بها تحت الحنك ويتعمم بها على القلنسوة وقد قال صلى الله عليه وسلم « فرق ما بيننا وبين الاعاجم العمائم على القلانس » ولم يقتدوا به في لبس الرداء والازار وغير ذلك مما كان يعتاده من لباسه هو واصحابه رضي الله عنهم وتركوا هذا كله وعدلوا الى وضع عصابة على غتر زعموا انها هى العمامة التي كان رسول الله ﷺ يلبسها هو واصحابه وجعلوا ذلك شعاراً يتميز به من دخل في هذا الدين عن من لم يدخل فيه وهذا هو الذي انكرناه وقد ذكر

شيخ الاسلام في (الاختيارات) ما نصه : ان اللباس والزي الذي يتخذه بعض النساك من الفقراء والصوفية والفقهاء وغيرهم بحيث يصير شعاراً فارقاً كما امر اهل الذمة بالتميز عن المسلمين في شعورهم وملابسهم فيه مسألتان المسألة الاولى هل يشرع ذلك استحباباً لتميز الفقير والفقيه من غيره فان طائفة من المتأخرين استحبوا ذلك واكثر الائمة لا يستحبون ذلك بل قد كانوا يكرهونه لما فيه من التمييز عن الامة وبثوب الشهرة الى ان قال : وايضاً فالتقيد بهذه اللبسة بحيث يكره اللابس غيرها او يكره اصحابه ان لا يلبسوا غيرها هو ايضا منهي عنه . فذكر — رحمه الله — ان اللباس والزي الذي يتخذه بعض النساك من الفقراء والصوفية والفقهاء وغيرهم بحيث يصير شعارا فارقا الى آخره ان اكثر الائمة لا يستحبونه بل كانوا يكرهونه لما فيه من التمييز عن الامة وذكر ايضا ان التقيد بهذه اللبسة بحيث يكره اللابس غيرها او يكره اصحابه ان لا يلبسوا غيرها هو ايضا منهي عنه وهؤلاء ينكرون ما كان يعتاده المسلمون من اللباس كالعقال وغيره ويعللون ذلك لانه لباس الجند في هذه الازمان كما ذكروا ذلك في نظمهم وزعموا انه لا يلبس ذلك الا اهل الطغيان من الجند الذين هم المجاهدون اليوم في سبيل الله ويسمونهم (الزكرت) ظلما وعدوانا وتجاوزاً للحد في المقال بغير بينة من الله ولا برهان ثم اوهموا من سمع هذا الكلام ان هذه الابيات الآتي ذكرها من كلام بعض العلماء الذين تقدم ذكرهم بقولهم وقال بعضهم وهذا تدليس وتلبيس منهم وايهام لمن لا معرفة لديه ولو انهم قالوا : وقال بعض الشعراء أو قال فلان ابن فلان شعرا لكان هذا هو الحق وسلموا بذلك عن التلبيس والايهام: ثم ذكر أبياتا متكسرة واهية المباني ركيكة المعاني لا تليق الا بعقل من

انشأها لقصر باعه وعدم اطلاعه وقد قال الخليل بن احمد :

الشعر صعب وطويل سلمه اذاارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به تحت الحضيض قدمه

فلو انه اقتدر على النثر لكان استرله، وهذا نص الابيات التي ذكرها :

يا منكراً فضل العامة انها من هدي من قد خص بالقرآن
وكذلك كان الصحابة بعده والتابعون لهم على الاحسان
وكذاك كانت للافاضل بعدهم وسما وزيا سائر الازمان
والله ما في لبسها من ريبة لم تبتدع يا معشر الاخوان
ليست كلبس الجند في ازماننا حاشا وربي كيف يستويان
هذي شعار ذوي التقى وذا ك للتركرت وكل ذي طغيان

والجواب ان نقول :

يا ذاكراً فضل العامة انها من هدي من قد خص بالقرآن
لم تأت بالتحقيق فيما قلته في فضلها بل جئت بالنكران
ان العامة لبسها من هديه في العادة المعلومة التبيان
مثل الرداء وكالازار وغيره من هديه الموصوف بالاحسان
لاشك في هذا ولكن لم يرد فى فضلها ما قيل بالحسبان
والفضل في تلك الاحاديث التي اوردتها معلومة البرهان

ارخاؤها اعنى الذؤابة خلفه ... لا في اعتياد عمامة الانسان
ان العمامة لبسها متقدم ... فيما مضى من سالف الازمان
قبل النبوة ثم فيما بعدها ... لا يختفى الا على العميان
والمصطفى سن الذؤابة بعد ذا ... فيما حكاه العالم الرباني
اعني ابا لعباس احمد ذي التقى ... من فاق في علم وفي اتقان
لكنكم لم تقتدوا بنبيكم ... في لبسها يا معشر الاخوان
ليست محنكة وليست كلها ... للراس ساترة وذا الوصفان
لابد في لبس العمامة منهما ... في العادة المعلومة التبيان
انتم جعلتم (غترة) من فوقها ... تلك العصابة يا ذوي العرفان
والمصطفى والصحب كان معمهم ... فوق (القلانس) ايسرذا نكران
فتركتموا هذا وجئتم غيره ... بعصابة زيا بلا برهان
وجعلتموا هذا شعاراً فارقاً ... بين الافاضل عن ذوي الطغيان
كالمسلمين ذوي الجهاد وغيرهم ... اللابسي زياً من الالوان
مثل (العقال) وغيره من زيهم ... مما ابيح لسائر الانسان
يا ويلكم من قال هذا قبلكم ... من كل ذي علم وذي عرفان
هذا كلام الشيخ فيما قد مضى ... في النهي عن هذا عن الاعيان
من كل ذي فقه وعلم بالذي ... قد قاله من خص بالقرآن
هذا ولم ننكر عليكم لبسها ... اعني العصائب معشر الاخوان
لكنما الانكار منا جعلكم ... هذا شعارا عن ذوي الطغيان
ان لا يصيروا مثل هذا الجند في ... هذا اللباس بغير ما برهان
بل بالتعمق والتعسف منكمو ... بالرأي تشريعاً من الشيطان

ان لم يكن هذا ابتداعاً منكمو ... في الدين لم يشرع فيا أخواني
هاتوا دليلا واضحاً من سنة ... أو من كلام ائمة العرفان
فالحق مقبول وليس يرده ... من كان ذا علم وذا اتقان
هذي الروافض والاعاجم كلهم ... يتعممون أهم ذوو ايمان ؟
وكذا اليهود فان تلك شعارهم ... من غير تحنيك لذي الاذقان
أفعندكم من كان هذا زيه ... وشعاره من امة الكفران
من خير خلق لله من اهل التقى ... ان كان هذا الزي ذا فرقان
والمسلمون التاركون للبسها ... هم أهل هذا الشر والطغيان
اذ لم يكن هذا الشعار لباسهم ... مع سائر الاخوان في البلدان
والله ما هذي مقالة منصف ... أو خائف من ربه الديان
ولقد علمتم ان من اخواننا ... اهل التقي والعلم والعرفان
والمنتمين لكل خير في الورى ... في سائر الاوطان والبلدان
جم غفير لم يكن ذا زيهم ... من قبل هذا الآن والازمان
حتى اتيتم فابتدعتم هذه ... من غير تحقيق ولا برهان
والله ما هذي العصائب سنة ... قد سنها المبعوث بالقرآن
كلا ولا هذا الشعار بسنة ... معروفة معلومة التبيان
كلا ولا هذا التعمق قد أتى ... عن فاضل أو عالم رباني
فاتوا بحجتكم على ما قلتموا ... أو فارعووا يا معشر الاخوان
هذا الذي أدى اليه علمنا ... وبه ندين الله كل أوان
ثم الصلاة على النبي (محمد) ... ازكي الورى المولود من (عدنان)
والآل والصحب الكرام جميعهم ... والتابعين لهم على الاحسان

فصل

ولما فرغنا من تسويد هذه الاوراق وكنا في حال تسديدها قد احسنا الظن بمن نقلها وبقي في النفس اشكال وتردد هل هذا النقل كله من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - ام لا حتى بلغني انه انما نقل هذه الورقة من مجموع المنقور في مجموعه وقابلنا بينه وبين هذه الورقة المنقولة بمحضر من الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق فاذ هو قد كتب عن (مجموع المنقور) ما ظن انه له وحذف منه ما تيقن انه عليه لا له وهذا بخلاف ما عليه اهل السنة والجماعة قال الامام عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله - اهل السنة يكتبون ما لهم وما عليهم واهل البدع لا يكتبون الا مالهم . وهذا نص ما ذكره (المنقور) في مجموعه قال : ومما انتقاه القاضي من خط ابي حفص العكبري باسناده الى انس بن مالك رأيت رسول الله ﷺ يسجد على كور عمامته وباسناده اليه اذا سمعت النداء فاجب وعليك السكينة فان اصبحت فرجة والا فلا تضيق على اخيك واقر ما تسمع اذنيك واقر ما تسمع اذنيك ولا تؤذ جارك وصل صلاة مودع ومنها ايضا سئل ابن تيمية عمن يقرأ وهو يلحن ، فاجاب ان قدر على التصحيح صحح وان عجز فلا بأس بقراءته حسب استطاعته ومن كلام له ايضا : وبعد فالاقتداء بافعال رسول الله ﷺ من الامور المشروعة كما هو مقرر في علم الاصول لا سيما ما يظهر فيه قصد القربة كما ورد في ارسال الذوابة في الحديث الذي رواه مسلم عن جعفر وابن حريث عن أبيه : كاني انظر الى رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه وفي (الشمائل) عن هارون الهمداني باسناده الى ابن عمر كان رسول الله ﷺ اذا اعتم سدل عمامته بين

كتفيه قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك قال عبيد الله رأيت سالما والقاسم يفعلانه وعن عبد الرحمن بن عوف عممني رسول الله ﷺ فسدلها بين يدي ومن خلفي وعن علي قال : عممني رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعمامة فسدل طرفيها على منكبي ثم قال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معتمين بهذه العمة وان العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين .قال ابن وضاح حدثني موسى حدثنا وكيع حدثنا عاصم بن محمد عن ابيه قال رأيت على ابن الزبير عمامة سوداء قد ارخاها من خلفه قدر ذراع قال عثمان بن ابراهيم رأيت عمر يحف شاربه ويرخي عمامته من خلفه الى ان قال فهذه الاثار متعاضدة مع ما تقدمها من الاحاديث وهي دالة على استحباب الرسم بالذؤابة لذي الولايات والمناصب والمشار اليهم من اهل العلم ليكون ذلك شعاراً لهم ولا يستحب ذلك لآحاد الناس ولهذا البسها رسول الله ﷺ عليا يوم غدير خم وكان فيما بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فخطب رسول الله ﷺ قائماً وعلي الى جانبه واقفاً وبرأ ساحته مما كان نسب اليه من معاشرة امارة اليمن فان بعض الجيش نقم عليه اشيا. تعاطاها هنا من اخذه تلك الجارية من الخمس ومن نزعه الحلل من اللباس لما صرفها اليهم نائبه فتكلموا فيه وهم قادمون الى حجة الوداع فلم يفرغ رسول الله ﷺ ايام الحج لازاحة ذلك من اذهانهم فلما قفل راجعاً الى المدينة ومر بهذا الموضع ورآه مناسباً لذلك خطب الناس هنالك وبرأ ساحة علي مما نسبوه اليه وهكذا عبد الرحمن انما البسه الذؤابة لما بعثه اميراً على تلك السرية وهكذا يستحب هذا للخطباء وللعلماء. شعاراً وعلماً عليهم في صفتها قال بعضهم : تكون بين الكتفين وهو قول الجمهور ونص مالك انها تكون بين اليدين قال الاولون قدر اربع اصابع

بين الكتفين وقيل الى نصف الظهر قيل القعدة انتهى. مـــا ذكره المنقور في مجموعه . ونحن نبين ما في ورقته من التدليس والتلبيس والايهام وما فيهـــا من الغلط والكذب على الائمة الاعلام وننبه على ما حذفه وتركه مما نقله من مجموع المنقور مما هو عليه لانه فاما ما ذكره من التدليس والتلبيس والايهام فهو قوله فائدة في فضل العمامة من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – وقدس روحه – وهذا لم يذكره الشيخ (احمد بن محمد المنقور) في مجموعه فاوهم السامع لهذا الكلام ان شيخ الاسلام ذكر هذا في فضل العمامة وهو انما قاله من تلقاء نفسه وليس هو من كلام شيخ الاسلام ولا من كلام المنقور تدليساً وتلبيساً على خفافيش الابصار وكذلك اوهم السامع ان هذه الورقة كلها من اولها الى آخرها من كلام شيخ الاسلام وهو كذب عليه لم تكن هذه الورقة كلها من كلام شيخ الاسلام والذي ذكره احمد بن محمـــد الى انس بن مالك فذكره ثم قال ومنها اي مما انتقاه القاضي ايضاً : سئل ابن تيمية عمن يقرأ ؟ وهو يلحن فاجاب : ان قدر على التصحيح صحح الى آخره ثم قال : ومن كلام له ايضاً : وبعد فالاقتداء بافعال الرسول ﷺ من الامور المشروعة الى آخره والظاهر من سياق الكلام ان هذا كله مما انتقاه القاضي من خط ابي حفص العكبري وليس فيه من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية شيء صريح الا قوله : ومنها ايضاً سئل ابن تيمية عمن يقرأ وهو يلحن الى آخره فان كان ما ذكره بقوله ومن كلامه ايضاً من كلام شيخ الاسلام لا من كلام القاضي الذي انتقـــاه من خط ابي حفص العكبري فهو انما يدل على فضيلة الذؤابة بين كتفيه لا على فضل العمامة ومشروعية لبسها ويكون منتهى ذلك النقل عنه الى قوله . قال عبد الله رأيت سالماً والقاسم يفعلانه .

واما قوله : وفي الشمائل عن هارون الهمداني باسناده الى ابن عمر كان رسول الله ﷺ اذا اعتم الى آخره ، فهذا الحديث قد ذكره الترمذي في الشمائل وليس فيه الا مشروع ارسال الذؤابة كما تقدم بيانه . واما قوله : وعن عبد الرحمن بن عوف عممني رسول الله ﷺ فسدلها بين يدي ومن خلفي . وهذا الحديث لم نجده في الشمائل في باب ما جاء في عمامة النبي ﷺ الا ان يكون في غير هذا الموضع فلا ادري . واما قوله وعن علي قال : عممني رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعمامة فسدل طرفها على منكبي ثم قال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة متعممين بهذه العمه وان العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين .

فأقول : وهذا ايضاً لم نجده في الشمائل على هذا الوضع الذي ذكروه والذي ذكره الترمذي رحمه الله في جامعه في ابواب اللباس في باب ما جاء في العمامة السوداء فذكر حديث جابر في دخوله مكة يوم الفتح قال وفي الباب عن عمرو ابن حريث وابن عباس وركانة حديث جابر حديث حسن صحيح ثم ذكر حديث هارون ثم قال : وفي الباب عن علي ولا يصح حديث علي هذا من قبل اسناده . فذكر رحمه الله ان حديث علي هذا لا يصح من قبل اسناده وقد نسبه هذا الناقل في ورقته عن عبد الرحمن بن عوف اما غلطاً واما تدليساً وتلبيساً على من لا معرفة لديه ومثل هذا الحديث لا يعتمد عليه ولا يذكر الا مع بيان عدم صحته واما بدون ذلك فلا يجوز كما ذكره شيخ الاسلام وغيره من العلماء . وهؤلاء انما ذكروه من اجل ان فيه مقالا لا ان العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين ، وهذا مع ان الحديث لا يصح ولا يعتمد عليه قد كان من المعلوم بالاضطرار ان المشركين كانوا يلبسون العمائم كما ان المسلمين يلبسونها وكذلك الائمة ، فأي فرق وحاجز بين المشركين والمسلمين حينئذ يتميز به هؤلاء لو

كانوا يعلمون ؟

﴿ فصل ﴾

وأما ما حذفه مما نقله من (مجموع المنقور) لما ذكر كلام ابن وضاح الى قوله قال عثمان بن ابراهيم : رأيت ابن عمر يحف شاربه ويرخي عمامته ثم قال الى ان قال : فهذه الآثار متعاضدة مع ما تقدمها من الاحاديث وهى دالة على على استحباب الرسم بالذؤابة لذي الولايات والمناصب والمشار اليهم من اهل العلم ليكون ذلك شعاراً لهم ولا يستحب ذلك لآحاد الناس ، ولهذا لبسها رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم وكان فيما بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع في اليوم الثامن عشرين ذي الحجة فخطب رسول الله ﷺ قائماً الى جانبه واقفاً وبرأ ساحته مما كان نسب اليه في مباشرته امرأة من اليمن فان بعض الجيش نقم عليه اشياء تعاطاها هذا من اخذه تلك الجارية الخمس ومن نزعه الحلل من اللباس لما صرفها اليهم نائبه فتكلموا فيه وهم قادمون الى حجة الوداع فلم يفرغ رسول الله ﷺ ايام الحج لازاحة ذلك من اذهانهم فلما قفل راجعاً الى المدينة ومر بهذا الموضع ورآه مناسباً لذلك خطب الناس هنالك وبرأ ساحته مما نسبوه اليه وهكذا يستحب هذا للخطباء وللعلماء شعاراً وعلماً عليهم في صفتها انتهى وهذا كله خوفه من كلام ابن وضاح الذي ذكره (المنقور) في مجموعه وهذه هي طريقة داود بن جرجيس فيما ينقله من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ويتصرف فيه وكذلك عثمان بن منصور فيما ينقله عن شيخ الاسلام فنعوذ بالله من هذه الطريقة الضالة الكاذبة الخاطئة .

ثم ذكر قول ابن وضاح حيث قال :وقال بعضهم بين الكتفين وهو قول

الجمهور ونص مالك انها تكون بين اليدين ثم قال الارلون انهـا تكون قدر اربع اصابع وقيل الى نصف الظهر وقيل القعدة انتهى . وهذا آخر ما ذكره المنقور في مجموعه وقد زعم صاحب الورقة ان كلام ابن وضاح هـذا مما نقله شيخ الاسلام عنه فذكر منه ما ظن انه موافق له وانه له لا عليه وحذف منه ما يخالف رأيه حيث قال فهذه الآثار متعاضدة مع ما تقدمهـا من الاحاديث وهي دالة على استحباب الرسم بالذوابة لذي الولايات والمناصب والمشار اليهم من اهل العلم ليكون ذلك شعاراً لهم ولا يستحب ذلك لآحاد الناس الى آخره فلو كان هذا النقل ثابتـاً عند شيخ الاسلام لكان مناقضاً لمـا ذكره في (الاختيارات)حيث قال ان اللباس والزي الذي يتخذه بعض النساك من الفقراء والصوفية والفقهاء وغيرهم بحيث يصير شعاراً فارقا كما امر اهل الذمة بالتميز عن المسلمين في شعورهم وملابسهم فيه مسألتان ، المسألة الاولى هل يشرع ذلك استحبابا بالتميز للفقير والفقيه من غيره فان طائفة من المتأخرين استحبوا ذلك واكثر الائمة لا يستحبون ذلك بل قد كانوا يكرهونه لما فيه من التميز عن الامة بثوب الشهرة .اقول هذا فيه تفصيل في كراهته واباحته واستحبابه فانه يجمع من وجه ويفرق من وجه ،ثم ذكر المسألة الثانية :ان لبس المرقعـات والمصبغات والصوف الى آخرها وهذه المسألة ليس النزاع فيها فلا حاجـة الى ذكرها هنا.فذكر رحمه الله ان هذا استحباب طائفة من المتأخرين واما اكثر الائمة فانهم لا يستحبون ذلك بل قد كانوا يكرهونه لما فيه من التميز عن الامة وبثوب الشهرة وقد اعاذ الله شيخ الاسلام من التناقض في اقواله وان ذلك لا يليق بامامته وجلالته ومكانته من العلم ، ثم تأمل ما تركه هؤلاء وحذفوه من كلام ابن وضاح حيث ذكر ان استحباب الرسم بالذؤابـة لذي

الولايات والمناصب والمشار اليهم من اهل العلم ليكون ذلك شعاراً لهم ولا يستحب ذلك لآحاد الناس فذكر ان هذا خاص بهؤلاء . وانه لا يستحب ذلك لآحاد الناس ثم اخذوا المبنى مما حذفوه وجعلوه رسماً وشعاراً لكل احد ممن يدخل في هذا الدين وان لم يكونوا من اهل الولايات والمناصب والعلماء والخطباء . فلم يتقيدوا بما ذكره اهل العلم من المتأخرين ان كان مرجوحاً ولم يقتدوا برسول الله ﷺ واصحابه وسائر العرب في لباسهم من الاردية والعمائم الساترة لجميع الرأس وكونها محنكة بل جعلوا مكان ذلك عصائب جعلوا لها ذوابة وظنوا انهم قد اخذوا بالسنة في ذلك وليس هذا من السنة في شيء وقد تبين لك ان شيخ الاسلام ابن تيمية مع اكثر الائمة لا يستحبون هذا هذا الزي وهذا الشعار بل قد كانوا يكرهونه لما فيه من التمييز عن الامة وتبين لك ايضاً من سياق الاحاديث وكلام العلماء ان هذا في ارسال الذوابة لا في مشروعية العمامة لانه قد كان من المعلوم عندهم ان لبس العمائم من عادة العرب في الجاهلية والاسلام وليست شعاراً لاهل الولايات والمناصب والمشار اليهم من اهل العلم وانما الشعار الخاص بهم الرسم بالذوابة فقط

فصل

وأما قوله : قال في (الاقناع) وشرحه الى آخر ما نقل فهذا كله ليس من كلام شيخ الاسلام الذي نقله المنقور ، وفيه ويسن تحنيك العمامة الى آخر ما ذكره عن ابن مفلح وهؤلاء لا يحنكون العصائب وقد ذكر اهل العلم ان تحنيك العمائم مسنون لان عمائم المسلمين كانت كذلك على عهد رسول الله ﷺ وقد تقدم ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم » انه قال

قال الميموني : رأيت ابا عبدالله عمامته تحت ذقنه ويكره غيرّ ذلك وقال العرب اعمتها تحت ذقانها وقال احمد في رواية الحسن بن محمد يكره ان لا تكون العمامة تحت الحنك كراهة شديدة وقال انما يتعمم بمثل ذلك اليهود والنصارى والمجوس انتهى ، فتبين لك من صنيع هؤلاء انه لو كان المقصود منهم الاقتداء برسول الله ﷺ في هديه وفي لباسه لفعلوا كما فعل ولم يبتدعوا زيا وشعارا يخالف هديه فهذا ما تيسر لي من الجواب مع تكدر البال وكثرة الاشغال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين الحمد لله وحده .

(تنبيه) ذكر الشيخ صديق بن حسن في كتابه (الدين الخالص) في صفحة سبع واربعين وخمسمائة على قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ركانة أن النبي ﷺ قال « فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس » رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اسناده وليس بالقائم انتهى وفيه دلالة على ان الكفار والمشركين يستعملون العمائم بلا قلنسوة وان المسلمين زيهم ان يلبسوها عليها وليس فيه ان لبس القلانس ممنوع بل فيه فضيلة العمامة عليها وان لا يكون الاقتصار على واحد منها ابدا بل يجمع بينها ليتميز عن اقوام لا يلبسون العمائم اصلا ويقتصرون على القلانس فقط كالنصارى ومن ضاهاهم من اجيال اخرى وعن ارهاط لا يلبسون القلانس بل يستعملون العمائم فقط كالهنود ومنهم من لا يلبس قلنسوة ولا عمامة بل يبقى مكشوف الرأس ابدا كاناس بنجالة في الهند ومنهم من يجمع بينها لكن على زي الاعاجم دون العرب ومراده ﷺ بالعمائم في هذا الحديث هي التي كان يلبسها هو واصحابه وتابعوهم وهي مضبوط مصرح

بها في كتب السنة المطهرة طولا وعرضا مع بيان شأن الربط وما يتصل به قال الجزري :قد تتبعت الكتب لاقف على قدر عمامة النبي ﷺ فلم اقف حتى اخبرني من اثق به انه وقف على كلام النووي انه ذكر كان له ﷺ عمامة قصيرة هي سبعة اذرع وعمامة طويلة مقدارها اثنا عشر ذراعا قال في المرقاة نعمم عـلى القلانس وهم يكتفون بالعمائم انتهى واما اليوم فاني رأيت العرب ومن يساكنهم في الحرمين الشريفين ادام الله شرفهما احدثوا لها اشكالا غير الشكل المأثور وافرطوا فيها وفي غيرها من اللباس والثياب حتى خرجوا عن زي الاسلام السالف واختاروا ما شاؤا من القلانس والعمائم قال علي القاري في حق اهل مكة في زمنه :عمائم كالابراج وكمائم كالاخراج انتهى وما اصدقه في هذه المقالة فقد وجدناهم كذلك بل وجدناهم فوق ذلك لانه مضى على زمنه مئون وللدهر في كل عصر فنون وشئون كما قيل في كل بلد من بلادهم مائة مشيئة ومئة لسان ولا يقف عند حد احد من نوع انسان وما شاء الله كان انتهى .

فبين رحمه الله ان اسم العمامة لا يقع الا عـلى ما كان يلبسه رسول ﷺ واصحابه التابعون وغير ذلك المحدث من العمائم التي احدثت بعد ذلك وجعل لها اشكالا غير الشكل المأثور فهي من المبتدعات المحدثة التي تخالف زي العرب وما كان عليه رسول الله ﷺ واصحابه والله يقول الحق وهـو يهدي السبيل وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين .

(تم بحمد الله)

الفهرس

صفحة

صفحة